علم الاجتماع الديني

د. مهدى محمد القصاص
أستاذ علم الاجتماع المساعد
كلية الآداب – جامعة المنصورة

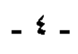
٢٠٠٨



بسم الله الرحمن الرحيم

(يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل
لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)

صدق الله العظيم
(سورة الحجرات، آية ١٣)



الدين لازمة من لوازم الجماعات البشرية ...

ولم يكن الدين لازمه من لوازم الجماعات البشرية لأنه مصلحة وطنية، أو حاجة نوعية .. لأن الدين قد وجد قبل وجود الأوطان ... ولأن الحاجة النوعية "بيولوجية " تتحقق أغراضها فى كل زمن، وتتوافر أسبابها فى كل حالة ولا يزال الإنسان بعد تحقق أغراضها، وتوافر وسائلها فى حاجة إلى الدين .

وغرائز الإنسان النوعية واحدة فى كل فرد من أفراد النوع، وكل سلالة من سلالاته ... ولكنه فى الدين يختلف أكبر اختلاف، لأنه يتجه من الدين إلى غاية لا تنحصر فى النوع ولا تتوقف على غرائزه دون غيرها، وليس الغرض منها حفظ النوع وكفى ... بل تقرير مكانه فى هذا الكون، أو فى هذه الحياة.

فالإنسان يتعلق من النوع بالحياة. ولكنه يتعلق من الدين بمعنى الحياة ولن يوجد إنسان ليس له نوع، أو غريزة نوع، أو آداب نوع، لأن وشيجة النوع ليست مما ينفصل عنه باختياره. ولكن قد يوجد إنسان يفوته معنى الحياة على أنه إعراض عن الحياة الفردية، وعن الحياة النوعية، وتوجه إلى ضرب آخر من الحياة.

وقد يتحول الإنسان من عقيدة إلى عقيدة، فلا يقال إذن أنه تحول من غريزة نوعية إلى غريزة نوعية، لأن هذه الغريزة لا تقبل التحول ولا التحويل، بل يقال إذن أنه آمن بعلاقة جديدة بين الخلائق جميعاً، وبين الحياة أو مصدر الحياة والإنسان إذا طلب من الدين الحياة الأبدية، فهو لا يطلب ذلك لأنه فرد من أفراد نوع .. فإن النوع قد يبقى ألوف السنين، وقد يقدر

الإنسان أنه مكفول البقاء بغير انتهاء، ثم لا يغنيه كل ذلك عن طلب الحيـــاة الأبدية، لأنه يريد لحياته معنى لا يزول، ويريد أن يتصل بحياة الكون كلـــه فى أوسع مداه.

وليست العقيدة لازمة من لوازم الجماعات البشرية لأنهم يريدون منها دروسا علمية أو حيلا صناعية .. فإن قوة الصناعة والعلم كامنة فى الإنسان، لا تلجئه إلى قوة أخرى خارج الإنسان وأن ألف إنسان قـــد يعلمـــون علمـــا واحدا، ولا يعتقدون عقيدة واحدة بل ينكر أحدهم عقيدة الآخر أشد الإنكار .

كما أن العلاقة بين العالم والمعلوم قد تكون علاقة غريب بغريـــب. وقد يعلم الإنسان أسرارا من الكون، وهو يشعر بأنه غريب عنه أو عارض فيه .. فإذا اعتقد فإنما يعتقد لأنه يريد أن يشعر بأنه ليس فى الكون بالغريب، ويؤمن بأنه موصول الحياة بحياته وليس بالعارض فيه .. ولـــيس مقيـــاس العقيدة الصالحة مقياس الدروس العلمية والحيل الـــصناعية، وإنمـــا حـــسب العقيدة الصالحة من اصلاح أنها تنهض بالعقل والقريحة، ولا تـــصدها عـــن سبيل العلم والصناعة، ولا تحول بين معتقديها، وبين التقدم فى الحـــضارة، وأطوار الاجتماع وينبغى أن يلاحظ فى هذا الصلاح أن الجماعات البشرية لا تعيش عمر إنسان واحد، ولا تنحصر فى طبقة واحدة ..

فالعقيدة التى تصلح لعشرة أجيال يشترك فيها عشرة أجيال يختلفون فى كثير من الأحوال والعادات.

والعقيدة التى يدين بها الملايين، يـــشترك فيهـــا الخاصـــة والعامـــة والأعلياء والأدنياء، ولا تصاغ منها نسخة مستقلة لكل طبقة أو لكل فريـــق فالذى يطلب من العقيدة الصالحة أن تصلح لكل هؤلاء مجتمعين، وأن تصلح

لأعمار بعد أعمار لأنها ليس مما يخلع تارة بعد تارة، ولا مما يستبدل ببرامج السنوات ونصوص الدساتير.

إن العقيدة الدينية هي فلسفة الحياة بالنسبة إلى الأمم التي تدين بها، وأنها لا تعارض الفلسفة في جوهرها، وأن الفلسفة تصلح للاعتقاد كما تصلح العقيدة للفلسفة، واستشهدنا على ذلك بآيات كثيرة من القرآن الكريم يستخرج منها المسلم فلسفة قرآنية، لا تحول بينه وبين البحث في غرض من أغراض الفكر والضمير ..

وأيا كانت العلاقة بين موضوع الفلسفة، وموضوع الدين، فليس في وسع فيلسوف صادق النظر أن ينسى أن الأديان قد وجدت بين جميع البشر، وأنها – من ثم – حقيقة كونية لا يستخف بها عقل يفقه معنى ما يراه من ظواهر هذه الحياة

فإذا أجمع الناس على الاعتقاد كيفما كان اختلافهم في الجنس، والزمن، والموطن، والمصلحة – فليس هذا عمل فرد، ولا هو مما يقع بين الحين والحين عرضا واتفاقا من فعل الحيلة والتدبير، ولكنه باعث من صميم قوى الكون، لا يفلح الرسل والأنبياء في نشر دعوته ما لم يكن في تلك الدعوى مطابقة لحكمة الخلق، وسر التكوين ..

وكل اعتراض يعترض به المنكرون على حقائق الأديان لا يقام له وزن، في مواجهة هذه الظاهرة الواقعة التي لاشك فيها ..

بل هو لا ينفي الوحي الالهي كما تخيلوه، أو كما يمكن أن يتخيلوه ولا يبطل ضرورة الاعتقاد بين الجماعات البشرية بحال من الأحوال ..

أنهم يتخذون من عقائد بعض العامة، أو عقائد بعض الخاصة، دليلا على أنها أمور لا تصدر من عند الله، الذى يصفه أصحاب الأديـان بـالعلم والحكمة والقدرة على هداية العقول إلى الصواب فى الكبير والصغير ..

فإذا كان هذا هو المبطل للوحى الالهى، فكيف يثبت الوحى الالهـى فى قياس أولئك الفلاسفة أو العلماء ؟ ..

أيثبت بعقيدة يدين بها العامة كما يدين بها الخاصة، وتطابق الدروس العلمية اليوم، كما تطابقها عندما تنقض نفسها بكشف جديد ؟ ..

أيثبت بعيدة تدخل المعمل الصناعى – أو العلمى – كل سنة أو كـل بـضع سنوات للفحص والامتحان ؟ ..

أيثبت بعقيدة ليست بعقيدة، ولكنها مجموعة من الأزيـاء الموسـيقية التى يغيرها الإنسان تارة بعد تارة، ولا يمزجها ببواطن الضمير ؟ .. كلا .. فإن الوحى الالهى – متى يثبت – لا يثبت على النحو الذى تخيلوه بل علـى النحو الذى عهدنا عليه الأديان، مع اختلاف العقـول واخـتلاف الأجيـال واختلاف المعلومات ..

عقيدة هى عقيدة، وايمان هو ايمان .. وبعد ذلـك موافقـة لـدواعى الحياة ومطالب الفكر وخلجات الشعور. وهكذا تصح العقيدة إن صحت على الإطلاق، وهكذا يكون الإيمان، إن كان إيمان ..

قد رأيت أناسا يبطلون الأديان فى العصر الحديث باسم الفلسفة المادية، فـإذا بهم يستعيرون من الدين كل خاصة من خواصه، وكل لازمة من لوازمـه، ولايستغنون عما فيه من عناصر الإيمان والاعتقاد، التي لا سند لهـا غيـر مجرد التصديق والشعور، ثم يجردونه من قوته التى يبثها في أعماق النفس، لأنهم اصطنعوه اصطناعا، ولم يرجعوا به إلى مصدره الأصيل ..

فالمؤمنون بهذه الفلسفة المادية، يطلبون من شيعتهم أن يكفروا بكل شئ غير المادة ، وأن يعتقدوا أن الأكوان تنشأ من هذه المادة ، في دورات مسلسلة ، تنحل كل دورة منها في نهايتها لتعود إلى التركيب في دورة جديدة ، وهكذا دواليك ، ثم دواليك إلى غير انتهاء ..

ويطلبون منهم أن ينتظروا النعيم المقيم ، على هذه الأرض ، متى صحت نبوءتهم عن زوال الطبقات الاجتماعية فإن زالت الطبقات الاجتماعية فى هذه السنة أو بعدها ببضع سنوات فتلك بداية الفردوس الأبدى، الذى يدوم ما دامت الأرض والسماوات، وتنتهى إليه أطوار التاريخ، كما تنتهى بيوم القيامة، فى عقيدة المؤمنين بالأديان ..

ولا يكلف دين من الأديان أتباعه تصديقا أغرب من هذا التصديق، ولا تسليما أتم من هذا التسليم ..

ولا يخلو دين الفلسفة المادية من شيطانه، وهو " الرأسمالية " الخبيثة العسراء .. فكل ما فى الدنيا من عمل سوء، أو فكرة سوء، فهو كيد من هذا الشيطان الماكر المريد ..

وكل ما فيها من عمل سوء أو فكرة سوء يزول ويحول، وتحل فى مكانه بركات الفلسفة المادية ورضوانها، متى سار الأمر إلى ملائكة الرحمة، وذهب ذلك الشيطان إلى قرارة الجحيم ..

ولما طبقت هذه العقيدة فى البلاد الروسية – على أيدى أصحاب الفلسفة المادية – خيل إليهم أنهم ظفروا بحقيقة الحقائق واستغنوا بها عن كل ما اعتقده الإنسان فى جميع الأزمان، ولا سيما عقائد الأديان والأوطان ..

وادخروها للزمن كله، بل للأبد كله .. ولكنهم لم يصطدموا صدمهم الأولى فى الحرب العالمية الأخيرة حتى أفلست " عقيدة الأبد " كل الإفلاس

ولجئوا إلى الوطن يستعيدون مثله، وإلى الديانة يستجدونها ويتمسحون بهـــا. فنادوا " بالجهاد القومى " ورحبوا بالصلوات فى المعابد، وشجعوا المـــصلين على ارتيادها، واجتمع رؤساء القساوسة فـــى حـــضرة زعمـــاء المـــذهب الشيوعى، ليعلنوا العودة بمجلس الكنيسة إلى نظامه القديم ..

وفحوى هذه العبرة البالغة أن أسرار العقيدة أعمق وأصدق مما يدور بأوهام منكريها، وأنها ذخيرة من القوة وحوافز الحياة تمد الجماعات البشرية بزاد صالح لا يستمده من غيرها، وأن هذه الذخيرة " الـــضرورية " خلقـــت لتعمل عملها، ولم تخلق ليعبث بها العابثون، كلما طاف بأحدهم طائف مـــن الوهم، أو طارت برأسه نزعة عارضة، لا تثبت على امتحان و فـــى هـــذا العصر الذى تتصارع فيه معانى الحياة بين الإيمان والتعطيل، وبين الـــروح والمادة، وبين الأمل والقنوط، تلوذ الجماعات الإسلامية بعقيدتها المثلـــى ولا تخطئ الملاذ .. لأنها عقيدة تعطيها كل ما يعطيه الدين من خير، ولا تحرمها شيئا من خيرات العلم والحضارة ..(١)

المراجع

١- عباس محمود العقاد، الفلسفة القرآنية، الأعمال الكاملـــة، دار الهـــلال، ١٩٨٨، ص ص ٥-١٠.



الفصل الأول
ماهية علم الاجتماع الديني



مقدمه

يؤدي تنوع الأديان إلي مشكلة أن التعريف الذي قد يستنبط مـــن ديـــن معين لا ينطبق بالضرورة علي أديان أخري، وعلي أية حـــال، فـــان عـــالم الاجتماع الديني يواجه هذه المشكلة ويعتبرها نقطة بداية قبل شـــروعه فـــي تحليل الدين، وقد ترتب علي هذه المشكلة أن ظهرت اتجاهات أخري تحاول الابتعاد. عن إعطاء تعريف رسمي صوري للدين ومحاولة تحديد جوانـــب التدين ، فهناك جوانب روحية اجتماعية وثقافية أخري للسلوك الديني. ولهذا فعالم الاجتماع مطالب بتحديد الجوانب التي تدرس من الظاهرة الدينية سواء للفرد أو للمجتمع ككل. أيضا قد يثير عالم الاجتماع التساؤل عن دور العامل الديني في التأثير علي الجوانب الأخرى من الحياة الاجتماعيـــة، إذ أن هـــذا العامل الديني قد يعد متغيرا مستقلا أو تابعا في التحليل والتفـــسير العلمـــي. وكما سوف نري، هناك العديد من المحاولات التي تسعي إلي إيجاد تفـــسير علي لعلاقة الدين بالأنشطة الاجتماعية، خاصة الأنشطة الاقتصادية. وأخيرا فان عالم الاجتماع يواجه بنظريات تحاول تفسير الظاهرة الدينية، ومعظم هذه النظريات مستمد أصلا من الدراسات الانثروبولوجية. وعلي الرغم من تشابه العلمين في الاهتمام بتناول الظاهرة الدينية مع الاختلاف في مجال الدراسة، وعلي الرغم، أيضا، من تأثير علماء الاجتماع المبكرين بهذه الأطر النظرية إلا أن معظم الأبحاث المعاصرة تحاول إيجاد أطر نظرية بديلة تعبـــر عـــن جوهر علم الاجتماع الديني.[١]

أولاً: إشكالية التعريف

الدين من الظواهر التي يصعب وضع مدلول محدد لها. وهذا يرجع إلي عديد من الاعتبارات . فمن الضروري شمول تعريف الـــدين علـــي أرقـــي

وأدني صورة له لتنطبق علي كل المجتمعـات الإنـسانية رغـم اخـتلاف ظروفها.

كما أن عدم الاتفاق من جانب العلماء علي ماهية الدين البدائي، ومـدي التفرقة بينه وبين غيره من الأديان شكل صعوبة لوضع تعريف محدد للدين، هذا بالإضافة إلي أن ظاهرة الدين تناولها كثير من العلمـاء فـي مختلـف التخصصات.

ولذا وجدنا أنفسنا أمام عديد من وجهات النظر، وعديد من المنطلقـات التي عالج من خلالها طائفة كبيرة من العلماء ظاهرة الدين.

ورغم تعدد المنطلقات واختلاف وجهات النظر فـي تنـاول ومعالجـة الظاهرة الدينية، إلا أن هناك شبه إجماع من جانب علماء الاجتمـاع علـي شيئين أساسيين هما:

أولا: اتسام الظاهرة الدينية بالعالمية.

ثانيا: الوظيفة الاجتماعية للدين كواقع اجتماعي يمارسه الأفراد والجماعـات في المجتمعات.

أولا: لقد أصبح من المؤكد اتسام الظاهرة الدينية بالعالميـة university فالظاهرة الدينية لازمت الإنسانية منذ نشأتها الأولي. بحيث لا يوجد مجتمـع من المجتمعات إلا وقام هيكله الاجتماعي علي أساس ديني.

فلا شك أن الإنسان البدائي– في جميع أرجاء المعمورة– كانت تحيط به ظواهر كثيرة منها ما يتعلق بالطبيعة ومنها ما يتصل بالإنسان نفسه (كالموت مثلا). هذه الظواهر كان تفكير الإنسان البدائي يعجز عن تأويلها وتفـسيرها كما لم يكن أمامه من الوسائل التي تعينه علي وضع تفسير لها.

ولذا كان الخيال أيسر وسيلة يلجأ إليها الإنسان ومن هنا أوجد تفسيرات عديدة نسب جزءا منها لقوي غير منظور.(٢)

تعريف علم الاجتماع الدين

قبل أن نستعرض تعريفا علميا لعلم الاجتماع الديني نود أن نوضـــح أن النظام الديني يعتبر من أهم النظم الاجتماعية وأخطرها شأنا في حياه الفـــرد والمجتمع لما يؤديه من وظائف هامه.

فالعاطفة الدينية تعتبر من أهم المشاعر الإنسانية التي تؤثر تأثيرا بالغـــا في حياه الفرد والمجتمع، ولذلك اهتم علماء الاجتماع بدراسة هذا النظام، فقد وضعه عالم الاجتماع إميل دوركايم علي قمة النظم الاجتماعية وقـــرر فـــي دراساته إن الأشكال الأولية لمختلف مظاهر النشاط الإجتماعي كانت منبثقة ومتأثرة بالحياة الدينية وقد عرفت المدرسة الاجتماعية الدين بأنه "مجموعـــة متماسكة من العقائد والعبادات المتصلة بالعالم القدسي والتي تـــنظم ســـلوك الإنسان حيال هذا العالم بحيث تؤلف هذه المجموعة وحده دينيه تنظم حيـــاه كل من يؤمنون بها".

وإذا استعرضنا التعريف السابق للدين نجد أنه يؤكد علي العقائد الدينيـــة والمقصود بها مجموعة التصورات الفكرية المشتركة التي تؤمن بها جماعة إنسانية (يقابلها عند المسلمين الأصول)، والعبادات وهي عبارة عن الطقوس والشعائر والعمليات التعبدية.

وتسهم العقائد المشتركة والعبادات التي يزاولها أفراد الجماعة في إيجاد وحدة روحية تؤدي إلي ترابط روحي واجتماعي بين افرد المجتمع.

ويعتبر علم الاجتماع الديني Sociology of Religion فرعا هاما من فروع علم الاجتماع، ويتناول هذا العلم دراسة النظم الدينيـــة الـــسائدة فـــي

المجتمعات الإنسانية البدائية والمتحضرة ويهتم بدراسة العلاقات المتبادلة والمتفاعلة بين الدين Religion من ناحية والمجتمع Society من ناحية أخري، ودراسة صور التفاعل بينهما. وقد قدم علم الإجتماعي الديني افتراضا أساسيا فحواه أن الدوافع الدينية والأفكار والنظم تؤثر وتتأثر بالقوي الاجتماعية والتنظيم الإجتماعي والتدرج الطبقي. ويعتبر علم الاجتماع الديني أهم فرع من فروع علم الاجتماع لأنه مصدر الحياة الاجتماعية كلها.

وقد أوضح عالم الاجتماع نوتنجهام Nottingham أن عالم الاجتماع الديني يهتم بالدين كمظهر لسلوك الجماعة والأدوار التي لعبتها الديانات علي مر العصور.

وقد أشار أحد علماء الاجتماع أن علم الاجتماع الديني هو العلم الذي يهتم بالدراسة العلمية لتأثير المجتمع والثقافة والشخصية في الدين، كما يدرس أيضا تأثير الدين في المجتمع والثقافة والشخصية.

ويعرف البعض علم الاجتماع الديني بأنه العلم الذي يختص بدراسة النشاط الديني للمجتمعات، والعوامل الاجتماعية التي أدت إلي اختلاف الشعائر الدينية باختلاف المجتمعات وعلاقة هذه الشعائر بالأوضاع الثقافية السائدة في كل مجتمع وتأثرها بعادات الناس وتقاليدهم:

وبوجه عام فإن علم الاجتماع الديني يهتم بدراسة النظم الاجتماعية Social Institution المتعلقة بالعقائد والعبادات وفهم العالم القدسي وما تشمل عليه الديانة التي تسير عليها المجتمع من قواعد وتعاليم.

وإذا إستعرضنا أهم مجالات علم الاجتماع الديني نجد أنه يتضمن طائفة من البحوث تشتمل علي وظائف الطقوس في المجتمع والتأثيرات الجماعية في الدين ودراسه الفرق والحركات الدينية وأثرها في المجتمعات ، ودور

الدين في الحفاظ علي الكيان الإجتماعي للمجتمع ومدي مساهمته في الرقـــي الروحي والحفاظ علي التماسك الاجتماعي.

وان اهتمام عالم الاجتماع بالدين يتركز علي الوظيفة العامة للدين فـــي المجتمعات الإنسانية فهو يهتم بالدين علي أنه جانب من جوانب سلوك أنشطة الجماعة، والدور الذي لعبه الدين، ومازال يلعبه في تدعيم أو إعاقة استمرار الجماعات الإنسانية. وأن علم الاجتماع الديني هو واحد من العلوم التي تهتم بدراسة الدين في المجتمعات المختلفة، وانه ليس علما دينيـا ولكنـه علمـا سوسيولوجيا.(٣)

ويذهب البعض إلي انه ليس من المفيد أن نتعمـق بـشدة فـي مـشكلة التعريف والمفاهيم في علم الاجتماع الديني. فكل منا يعرف ما هـو الـدين، ولكن علينا أن نجعل هذه المعرفة أمرا منظما. بمعني أن نسعى إلي الوصول إلي شبه إجماع علي حدود موضوع الدين– الذي يحتوي علي تنوع هائـل– قبل أن نبدأ في تحليله فنحن في حاجة إلي قواعد منظمة لاستخداماتنا للفظـة الدين. ونحن نقرر أنه ليس هناك تعريف مطلق لأي ظاهرة متضمنا فيهـا . فنحن إذن في حاجة إلي تعريف عام يشمل معظم الأفكـار الرئيـسية لهـذا المفهوم ويحتوي كل التنوعات الهامة والخاصة بالظاهرة الدينية.

وقد عبر ماكس فيبر عن المشكلة التي تواجه الباحث في تعريفه للـدين عندما بدأ كتابه عن الاجتماع الديني بهذه العبارة " لنعرف الدين – لنقول ما هو– أمر غير ممكن في بداية هذه الدراسة. فالتعريف ربما يمكن التوصـل إليه عند نهاية هذه الدراسة" وكما يلاحظ بيرجر فان فيبر حتى فـي نهايـة دراسته لم يعط لقارئه التعريف المرتقب.(٤)

والحق أن قول فيبر هذا يعبر عن المشكلة الخاصة بـالتعريف والتـي تواجه عالم الاجتماع. فالذين انشغلوا بمشكله التعريف غالبا ما يعارضـون التعريفات بعضها بآخر، ولهذا يغلب علي محاولتهم الاهتمام بلا شيء سوي التلاعب بالألفاظ. فهناك الكثير من الفروق التي تميز تعريفات الدين، ويرجع السبب في ذلك إلي أن الذين يحاولون تعريف الظاهرة الدينية تختلف ثقافاتهم. فهناك– مثلا– مجموعة من الكتاب الذين يحاولون تعريف الظاهرة الدينيـة بلغه ماينبغي أن تكون عليه الظاهرة ولاشك أن هذا النوع من التعريفـات لا يمثل أية قيمه بالنسبة لعلماء العلوم الاجتماعية. وهناك جماعه أخري تحاول أن تحدد تعريفها من بيانات مستمده من تعبيرات خاصة بظـاهره معينـه . وهذا النوع من التعريفات أيضا ليس بذي فائدة لعلماء العلوم الاجتماعية أمـا المجموعة الثالثه فهي التي تحاول أن تقدم تعريفات بعد القيام بدراسات لعدد من مظاهر الظاهرة ومعرفه ماهو شائع بينهما. وهذا النوع من التعريفات و هو الذي يهتم به عالم الاجتماع.

إذن فالمشكلة التي تواجه عالم الاجتماع الديني هي إيجاد تعريف للـدين يتناسب مع اهتماماته، أعني تعريف محدد يكون بمثابة أداة تحليليه تفيده في فهم أشكال معينه من الحياة الدينية. كذلك يجب أن يكون هذا التعريف مـن الاتساع والشمول بحيث يشتمل علي كل أنواع السلوك الديني فـي مختلـف الظروف. ولكن لماذا ينبغي إن يكون هناك مفهوم واسع وشامل للدين؟ الحق أن هذا التعريف مطلب أساسي، طالما أن السلوك الديني يبدو وكأنه عام بين كل الكائنات الإنسانية. فلم تكتشف بعد أي جماعه إنسانيه دون أن يكون لها سلوكا يعرف بأنه سلوك "ديني" ولاشك أن مظاهر السلوك الديني قد تكـون

متداخلة مع الجوانب الاخري والهامة للسلوك الإنساني وأنه مـن الـصعب التمييز بين ماهو ديني فيها عن غيره.[٥]

ثـانـيـا : أهميه دراسة الـديـن

بادئ ذي بدء لابد أن نوضح في عجالة سريعة أن الدين من أهم الأنساق الإجتماعيـه SOCIAL Systems الموجـودة داخـل أي مجتمـع مـن المجتمعات.

ويعتبر الدين ظاهره اجتماعيه Social Phenomenon ملازمه لنـشأه وقيام أي مجتمع بشري ، وهو من الجوانب الرئيسية التي تلعب دورا هامـا في حياه كل من الفرد والجماعة والمجتمع.

وعلم الاجتماع الديني يعتبر مبحثا هاما من مباحـث علـم الاجتمـاع، وميدانا للبحث والإستقصاء والتحليل السوسيولوجي. ويمكن حـصر أهميـه دراسة الدين من الوجهة الإجتماعيه فيما يلي:

١ – إن الظاهرة الدينية تتسم بالعالمية:

تتسم الظاهرة الدينية بالعالمية، حيث نجدها ملازمه لنشأه الإنسانية فـي أشكالها الأولي، حيث لا نجد مجتمع من المجتمعات يخلـو مـن الاهتمـام بالظاهرة الدينية.

ومما هو جدير بالذكر أن المجتمعات البشرية علـي اخـتلاف نـشأتها وتطورها قد آمنت أن هناك قوي عليا تهيمن علي العالم الدنيوي، وأن خوف الإنسان من هذه القوي العليا، جعله يتقدم إليها بالقرابين والعطايا لإرضائها، حتى يعيش في سلام ووئام مع هذه القوي.

وعلي هذا يعتبر الخوف من أهم الأسباب الرئيسية لاتجاه الإنسان نحـــو الدين وذلك للتغلب علي هذا الخوف المسيطر علي الإنسان من القوي العليا. وعلى هذا فإن ظاهرة الدين لازمت البشرية في نشأتها وتطورها.

٢ – الوظيفة الإجتماعيه للدين:

مما لاشك فيه أن الدين يؤدي وظائف اجتماعيه هامه للفرد والجماعـــة والمجتمع. فهو يحقق للفرد إشباعات نفسيه هامه، فيحقق له الاستقرار النفسي ومن ثم تحقيق الذات وتأكيدها، والسمو النفسي والاجتماعي والرضا النفسي والاجتماعي، والهدوء النفسي والاطمئنان والارتياح النفسي والاجتماعي.

ويحقق الدين للأفراد الذين يدينون به نوعا من الاســـتقرار والتـــضامن الإجتماعي . ويحقق الدين كذلك بين مريديه نوعا من التماســـك والتـــضامن ويخلق نسقا قيميا يتمسك به أفراد هذا الدين.

وقد تظهر بعض الجوانب السلبية لعدم التمـــسك بـــآداب الـــدين وهـــذه السلبيات تؤثر علي عناصر البناء الإجتماعي وأحيانا تـــؤدي إلـــي إحـــداث الصراع والتفكك الإجتماعي وسوء التنظيم الإجتمـــاعي فـــي العديـــد مـــن المجتمعات التي تؤمن بهذا الدين.(٦)

٣ – دور الدين وأهميته في التغيير الإجتماعي:

مما لاشك فيه أن الدين يلعب دورا هاما في مجال التغييـــر الإجتمـــاعي Social Change حيث يقع علي الدين ورجاله دورا هاما في المساهمة في إحداث التغيير الاجتماعي. ويعتبر الدين سلاحا ناجحا في إحـــداث التغييـــر الإجتماعي المنشود ذلك لان الأفراد يؤمنون كثيرا بأهمية الدين ودوره فـــي علاج العديد من المشكلات الإجتماعيه التي تجابه حياتهم ومجتمعاتهم.

٤ – دور الدين في التنمية الإجتماعيه والاقتصادية:

يؤكد العديد من علماء علم اجتماع التنمية علي أهميه الوازع الديني في تطوير المجتمعات وتنميتها الإجتماعيه والإقتصاديه حيث يلعب دورا هاما في المساهمة في التنمية.

ويسهم الدين بدور هام في حل العديد من المشكلات الإجتماعيه في العديد من المجتمعات ذلك أن للدين دور رئيسي وفعال في التغلب علي الصعاب التي تعوق تطور وتنميه هذه المجتمعات. بل يؤكد علماء التنمية الإقتصاديه والإجتماعيه علي أهميه الدين ودوره في إحداث الترابط والتكامل بين القيم الدينيه من جهة، والتنمية الاجتماعية والإقتصاديه من جهة أخري.

٥– دور الدين وأهميته في التغلب علي المظاهر الباثولوجيه في المجتمع:

يلعب الدين دورا رئيسيا وهاما في التغلب علي كافه المظاهر الباثولوجيه (المرضية) في المجتمع حيث أنه من الأسلحة الناجحة والفعالة في علاج هذه المظاهر المرضية التي يعاني منها المجتمع. ويلعب الدين دورا مؤثرا في التغلب علي هذه المظاهر الباثولوجيه كالبغاء، انتشار الجرائم، الانحرافات السلوكية وتعاطي المخدرات والهيروين وغيرها من الظواهر الباثولوجيه.

٦– دور الدين في مواجهه الحركات الإلحادية في المجتمعات:

يلعب الدين دورا حيويا وهاما في التصدي للعديد من الحركات الإلحادية في الدين. حيث يوضح رجال الدين الصورة الصحيحة للأديان وإبراز قيمة الأديان وأهميتها في حياة الفرد والمجتمع وإيضاح صور الإلحاد المختلفة التي تنخر في البنيان الإجتماعي للمجتمع وضعف الوازع الديني لدي أفراد المجتمع. وتزويد الأفراد بالقيم الدينية وتبصيرهم بحقائق الدين الصحيح.

ومما هو جدير بالذكر أن المسجد والكنيسة ودور العبادة الأخرى ووسائل الأعلام المرئية والمسموعة تلعب دورا هاما في مواجهه هذه الحركات.[٧]

ثالثا: مفهوم التدين

تشهد الكتابات المعاصرة في علم الاجتماع الديني عدم رضا عن تعريفات الدين التي انتشرت منذ الخمسينيات من هذا القرن. وقد أدي هذا بلنسكي وجلوك إلي تحديد واستخدام الجوانب الخاصة بالتدين religiosity في البحث الامبريقي، بمعني الأطر الخاصة بالتحليل والتي تقترح بوضوح أن هناك جوانب منفصلة لتدين الشخص. وهذه الجوانب للتدين قد تكون مستقلة عن بعضها بعضا، وقد يكون الشخص متميزا في جانب واحد وليس كذلك في الجوانب الأخرى، وعلى الرغم من التقدم المنهجي والبحثي إلا أن استخدام جوانب التدين مازال غير مرض من الناحية الأكاديمية. وتواجه المحاولات التي تبذل للبحث في جوانب الدين بالعديد من الصعوبات خاصة المشاكل المتعلقة بقياس التدين، وكذلك العلاقة بين قياس تدين الفرد و تدين النسق ككل.

وهناك مشكلة أخرى تقابل الباحثين عن جوانب التدين، وهى تلك التي تتعلق بمفهوم التدين، فقد جرت العادة في البحوث الامبريقية في علم الاجتماع الديني أن تستخدم لفظة التدين لتعنى الحضور الى دور العبادة أو العضوية في التنظيمات الدينية. ولاشك أن هذه الجوانب غير كافية. فهي لا تفرق بين التوجية نحو التنظيم الديني وبين التوجيه نحو نسق الاعتقاد لتنظيم ديني كذلك فان بعدى الحضور والتردد على دور العبادة والانتماء الى تنظيم ديني معين غير كافيين لتوضيح معنى الدين ووظائفه الاساسية والتي قد

تكون وراء مثل هذه الممارسات المتعلقة بالاهتمام بالمطلق وما هـو فـوق طبيعي.[٨]

ولكن البحث عن جوانب التدين لا يعني سـرد الخـصائص المتعلقـة بالانتماء أو التميز الديني. فقد تميز تراث علم الاجتماع الديني بمحاوله تحليل ظاهرة التدين إلى هذه المكونات، أكثر من الاهتمام بالمفهوم ككل.

ولقد حاول لنسكي أن يحدد بعض جوانب التدين فميز بين أربعـة جوانـب رئيسيه هي، المرافقة Associtianism، الطائفية Communalism (يشير إلى الجوانب الاجتماعيـة) والتقليديـة Orthodoxy، والتكريـسية Devotionalism (يشير إلى الجوانب الثقافية). وبالنسبة إلى لنـسكي فـان الفرد الذي لا يحرز أي درجه في هذه الجوانب يعد غير متدين ولكـن هـذا يتعارض مع تعريف لنسكي للمتدين ومؤداه: أن أي إنسان عاقل وعضو في أي مجتمع إنساني يعتبر متدينا.

ويقدم لنا جلوك جوانب أخري للتدين أكثر تقبلا لأنهـا محـدده فـي مقولات من القيم والمنظورات الدينيه والتي تقف علي النقـيض مـن القـيم اللادينيه أو العلمانية. وهذه الجوانب الخمس هي المعايـشة Experiential أي التجربـة أو المـشاعر الدينيـه الذاتيـة، الـشعائرية Pituallstic أي الممارسات الخاصة المتوقعة من الأفراد أو المعتنقين للعقيدة، الإيديولوجيـة Ideological أي الاعتقادات الحقيقية التي يعتنقها المنتمون إليها، والفكريـة Intellcetual أي المعرفة الخاصة بالاعتقادات المتصلة بالعقيدة، والترابطية Consequential أي الآثار العلمانية المترتبة علي الاعتقـاد والممارسـة والتجربة الدينية ولعل المشكلة التي تواجة هذه الجوانب الخمس هي مـشكلة

عزلة الجوانب بعضها عن بعض خاصة الجانب الإيديولوجي عن الجانـــب الفكري. (٩)

رابعا : إشكالية التفسير:

الحق أن الباحثين في مجال علم الاجتماع الديني قد أعطوا مـــشكلة تفـــسير الاعتقادات الدينية اهتماماتهم، وذلك بالتحقيق من الظروف التي تؤدي إلـــى ظهورها أو اختفائها والبحث عن العوامل الأساسية بـــين هـــذه الظـــروف. ومعظم التفسيرات العامة للدين تري أن الاعتقادات الدينية توجد عندما تشعر الكائنات الإنسانية بأنها غير قادرة علي التحكم في مصيرها الذاتي. وقد أتخذ التفسير الحديث للظاهرة الدينية اتجاها آخر وذلك بوضع فـــروض خاصـــة بالوظائف التي تؤديها الاعتقادات والقيم الدينية بالنسبة للنسق الاجتماعي الذي تظهر فيه. ولا تعني الوظيفة هنا الاعتقاد في التفسير العلمي، بمعني إذا كان من أهم الوظائف الرئيسية للدين ، تقليل القلق عند الإنسان، فلا يعني هذا أن القلق سبب وجود الدين ويحاول عالم الاجتماع أن يعطي تفسيرا في بحثه عن الظروف التي تظهر وتتغير فيها التنظيمات الدينية. فالكثير الآن معروف عن الظروف التي تستمر فيها الفرق الدينية والخصائص المميزة للطائفية وذلـــك بإرجاعها إلى النسق الثقافي والاجتماعي في المجتمع، فالتفسير هنا يتـــضمن تحديدا للخصائص الداخلية للحركة الدينية والظروف الاجتماعيـــة والثقافيـــة التي تواجهها وطبيعة وظروف المجتمع ككل.

ولعل أشهر التفسيرات للظواهر الدينية كما عرضنا فيما سبق، تفـــسير ماكس فيبر للدين البروتستانتي علي أنه العامل الأساسي في خلق روح معينة للتوجيهات الرأسمالية الحديثة. وقد استمرت المناقشات الخاصة بالفوارق بين الكاثوليك والبروتستانت في الإنجاز الاقتـــصادي أو الإنجـــازات الاخـــري

خاصة، في الولايات المتحدة الأمريكية، كذلك فقد بينا محاولة لنسكي لمعرفة دور الانتماء الديني في المجالات الرئيسية للحياة الأمريكية. حيث أن هنـــاك اختلافا بين الكاثوليك والبروتستانت البيض في أن الكاثوليك أقل دافعيه نحو الأمور الاقتصادية والتعليمية والعلمية ويفضلون تدخل الدولـــة أكثـــر مـــن البروتستانت . وقد بينا كذلك أن هناك انتقادات وجهت إلى لنسكي ممثلة في محاولة جريلي Greeley الذي انتقد نتائج لنسكي من حيث أن العينة التـــي اعتمد عليها غير ممثلة، كذلك لم يراع لنسكي الاختلاف العنـــصري داخـــل الجماعات الكاثوليكية علي أية حال، فان مثل هذه الدراسات تثيـــر التـــساؤل حول أسباب الاختلافات الدينية وهل يرجع ذلك إلـــى اللاهـــوت والأخـــلاق الخاصة بالدين أم أن مرد ذلك إلى التجارب الاجتماعيـــة للجماعـــة والتـــي بدورها تعد نتيجة للأحداث التاريخية.

علي أية حال، تؤكد هذه الدراســـات علـــي التفرقـــة بـــين الجوانـــب الاجتماعية والثقافية للأنشطة الدينية ، كما أنها هي وغيرها من الدراســـات الاخري تبين دور "العامل الديني" كعامل أساسي ومستقل في التأثير علي كل من موجهات السلوك الاجتماعي للفـــرد وعلـــي النـــسق القيمـــي والثقـــافي للمجتمع.(١٠)

خامسا : وظائف الدين

هناك وظائف عديدة يؤديها الدين يمكن إيجاز بعضها فيما يلي:-

١ – التأكيد علي قيمة وأهمية غايات الجماعة وتفـــضيلها علـــي الرغبـــات الفردية. ذلك أن الدين بطبيعته المشتملة علي الإيمان يقدم شـــرحا لإعـــلاء غايات الجماعة وأهدافها فوق غايات الفرد.

٢ – يقدم الدين وظيفة هامه للأفراد فعن طريـــق أداء وممارســـة الطقـــوس والشعائر الجماعية فإن الدين يقدم الوسيلة التي بها تتجدد باستمرار المشاعر العامة المألوفة للجماعة.

٣ – يزود الدين الجماعة عن طريق أغراضه المقدسة بمرجع واضح ودليل ثابت للقيم التي يلتف حولها الأفراد داخل المجتمع.

٤ – يزود الدين الجماعة بمصدر دائم لا ينضب من الثواب علي عمل الخير ومن العقاب علي عمل الشر.

٥ – يؤدي الدين دورا اجتماعيا هاما في التماسك الإجتمـــاعي بـــين أفـــراد المجتمع، حيث أن أداء الـــشعائر والمناســـك المرتبطـــة بالـــدين والتكافـــل الإجتماعي تؤدي إلي توثيق الروابط بين أفراد المجتمع لذلك أصـــبح الـــدين يساهم مساهمة ضرورية في تكامل المجتمع.

الـديـن والـضبط الاجـتـمـاعـي

يعتبر الدين Religion من أهم مصادر الضبط الاجتمـــاعي Social Control في أي ثقافة من الثقافات. وتتمثل مصادر الضبط الإجتماعي فـــي الأعراف Mores والقانون Law والقيم Values والثقافة Culture وآداب السلوك والرأي العام Openion والأسرة Family والتعلـــيم Instruction والتربية Education.

وإذا استعرضنا التعريفات المختلفة للـــضبط الإجتمـــاعي فـــي الأدب الإجتماعي نجد له تعريفات عديدة. ومن أهم هـــذه التعريفـــات "أن الـــضبط الاجتماعي هو القوة التي يمارسها المجتمع علي أفراده والطرق التي يسلكها للهيمنة والإشراف علي سلوكهم وأساليب تفكيرهم وطرق أعمـــالهم بقـــصد

الحفاظ علي هيكل البنيان الإجتماعي وعلي الأوضاع والـنظم الاجتماعيـة والبعد بها عن عوامل الانحراف".

وإذا استعرضنا تعريف الدين من وجهة نظر المدرسة الاجتماعية نجد "أنه مجموعة متماسكة من العقائد والعبادات المتصلة بالعالم القدسي والتـي تنظم سلوك الفرد حيال هذا العالم بحيث تؤلف هذه المجموعة وحـدة دينيـة تنظم حياة من يؤمنون بها".

وإذا حللنا مفهومي الدين والضبط الإجتماعي نجد أن هذين المفهومين يتفقان في تنظيم سلوك الأفراد والبعد بالفرد عن الانحراف والحفـاظ علـي التماسك الإجتماعي داخل المجتمع. ومن هنا تبرز العلاقة بين الدين والضبط الاجتماعي.

وإذا استعرضنا الأدب الاجتماعي نجد أن عـالم الاجتمـاع الـشهير هربرت سبنسر Spencer قد استخدم مصطلح "الضبط الاجتماعي" في كتابة مبادئ علم الاجتماع عندما كان يتحدث عن نظريته في "الحكومة الطقوسية" Ceremonial Government وقد أكد في معـرض نظريتـه أن الـنظم الطقوسية والدينية والسياسية تعتبر من أهم وسائل الضبط الإجتماعي لأنهـا في نظرة منظمة للسلوك الإنساني عن طريق الكف مـن ناحيـة والتوجيـه والإرشاد من ناحية أخري. وأنه كلما تطـورت المجتمعـات حلـت الـنظم السياسية والدينية محل الطقوس في ضبط سلوك الأفراد.

هذا وقد أسهم العلاَّمة العربي "ابن خلدون" في إيضاح العلاقة بين الدين والسياسة ودورها في الضبط الاجتماعي. فقد أشار ابن خلدون إلي أن الدين يعتبر من وسائل الضبط الاجتماعي فالدين هو الشرع المنزل من عنـد الله.

بينما السياسة هي أن يراعي الأفراد المصالح علي العموم ومصالح السلطان في استقامة ملكه علي الخصوص.

ومن أهم وسائل الضبط الاجتماعي في رأي ابن خلدون الدين والقانون والآداب والعادات والأعراف والتقاليد.

هذا ويعتبر عالم الاجتماع إدوارد روس Ross من العلماء الذين اهتموا بدراسة الضبط الاجتماعي وأهميته بالنسبة للفرد والمجتمع.

وأوضح "روس" أن أهم وسائل الضبط الاجتماعي في المجتمعات هي: الرأي العام، القانون، الأعراف، الدين والشعائر، والفن والقيم الاجتماعية وبخاصة العناصر الأخلاقية.

مما سبق نستطيع أن نوضح أن هناك علاقة عضوية بين الدن والضبط الاجتماعي فالدين أداه رئيسية من أدوات الضبط لسلوك الأفراد داخل أي مجتمع من المجتمعات.(١١)

سادسا: الدين والسحر

إن معالجة مالينوفسكي لوظيفة الدين والسحر انبثقت من دراسته عن قبائل التروبرياند. وقد ركز مالينوفسكي علي تفكير التروبرياندي في إدراك التميز بين العناصر الواقعية للتجارب اليومية ، وبين القوي فوق الواقعية التي تفوق الضبط الإنساني . فالعناصر الواقعية هي العمل والمعرفة، والقوي الفوق الواقعية والتي تفوق الضبط الإنساني تتمثل في السحر. وقد أوضح مالينوفسكي ذلك عندما شرح أن سكان هذه الجزر لديهم معرفة واقعية ومهارات ، فيما يختص بالصيد، وزراعة الحدائق التي تقوم عليها معيشتهم. و التروبرياندي لا يستند نجاحه كله إلى السحر. فهو على وعي بالعوامل والأحوال البيئية وبمجهداته الفيزيقية والعقلية. ففي حالة ذبول وتلف الزرع

فإنه لا يرجع إلى السحر، ولكن إلى العمل الذي وراءه المعرفة والجهد الإنساني، ولكن التروبرياندي يدرك أيضا أنه على الرغم من كل معرفة وجهد. فالنجاح قد لا يستمر لأن النتائج تتأثر بقوى خارجة عن نطاق ضبطه. فالمحصول الوفير أو النقص من المحصول، قد يكون نتيجة لعوامل غير معروفة، وغير قابلة للضبط، ومن هنا يؤتى بالسحر.

وقد حلل مالينوفسكي أيضا نظام صيد السمك عن التروبرياند وذكر أن صيد الأسماك في المجاري المائية الداخلية ليس محاطا بالمخاطر، ولذلك فالتروبرياندي يقوم بصيده بناء على جهده ومعرفته. أما الصيد في البحار المفتوحة العميقة فهو محاط بالمخاطر ولذلك يقام له طقوس سحرية لتحقيق الأمن والإنتاج الوفير.[١٢]

لقد ميز مالينوفسكي بين الدين والسحر. فقد أشار إلى أن السحر له نهاية في المهمة التي قام من أجلها. وقارن بين الطقوس السحرية التي تقام لمنع موت الطفل وبين الطقوس الدينية التي تقام لتبارك مولد الطفل. فالأولى (الطقوس السحرية) لها غرض عملي محدد ويكون معروفا للقائمين بهذه الطقوس. أما الطقوس الدينية فهي ليست وسيلة لغاية بل هي غاية في حد ذاتها. فالطقوس الدينية تعبر عن مشاعر. ويوجز مالينوفسكي أوجه التشابه والاختلاف بين الدين، والسحر فيما يلي:

- يتشابه الدين والسحر في أن كلا منهما يقوم بوظيفته في مواقف الضغوط العاطفية.
- كل واحد يشكل مجالات لهروب الأفراد إليها من مواقف الضغوط لما تقدمه من طقوس، ومعتقدات، تعكس سيطرة ما هو وراء الطبيعة.
- كل واحد يركز على الميثولوجيا.

- كل واحد يوجد في مناخ إعجازي.
- كل واحد محاط بالتابو "المحرمات" والملاحظات التي تميز أفعاله عن غيرها في العالم الدنيوي.

ويختلف السحر عن الدين في:

- السحر يهدف إلى غاية عملية، في حين أن الدين هو غاية في حد ذاته.
- المعتقدات السحرية بسيطة، في حين أن الدين يقدم جوانب وأغراضاً متعددة، ومعقدة، فهو أكثر تنوعاً وأكثر خلقاً.
- السحر يمد القدرات العملية للإنسان، فوظيفته إضفاء القدسية على تفاؤل الإنسان، ليزيد من إيمانه بانتصار الأمل على الخوف.
- الدين يمد الناحية الأخلاقية في الإنسان عن طريق تزويده بالاتجاهات العقلية القيمة؛ مثل الشجاعة والثقة في حالات الصراع مع المصاعب وفي حالات الموت.(١٣)

المراجع

١- محمد أحمد بيومى ، علم الاجتماع الدين ، دار المعرفة الجامعية ، ط٢، ١٩٨٥ ، ص١٧٢

- انظر حول ثقافة الحوار في مرجعيتنا الدينية والفكرية في : محمد زرمان ، الحوار مع الذات ، أوراق المؤتمر العلمي الثامن ، كليـــة الآداب والفنـــون جامعة فيلادلفيا ، عمان، الأردن، ٢٠٠٤ ، ص ص ١٢٩ – ١٧٠

٢- سامية مصطفي الخشاب ، علم الاجتماع الإســلامي ، دار المعــارف ، ١٩٨١ ، ص ص ١٣ – ١٤ .

٣- مديحة سيد أحمد ، علم الاجتماع الديني ، ص ص ١٥ – ١٩ .

٤- محمد أحمد بيومي ، علم الاجتماع الديني ومشكلات العــالم الإســلامي، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢، ص ص ١٩٠ – ١٩١.

- انظر حول نشأه التفكير الالهي في الحضارات الشرقية: مصطفي حــسن النشار، فكرة الألوهية: عند أفلاطون وأثرها في الفلسفة الاسلاميه والغربية ، ط ٢، مكتبه مد بولي، ١٩٩٨ ، ص ص ١٧ – ٢٥ .

٥- محمد أحمد بيومي ، علم الاجتماع الديني ومشكلات العــالم الإســلامي، المرجع السابق ، ص ص ١٩٢– ١٩٥.

٦- مديحه سيد أحمد ، مرجع سابق ، ص ص ٣٩ – ٤٠ .

٧- مرجع السابق ، ص ص ٤١ – ٤٢.

- انظر حول الأسس الاجتماعية للظاهرة الدينية، راجع: حيدر إبراهيم علي ، ندوه الدين في المجتمع العربي، الجمعية العربية لعلم الاجتمــاع، ابريــل ١٩٨٩.

٨- محمد أحمد بيومي ، علم الاجتماع الديني ، مرجــع ســابق ، ص ص ١٨٤- ١٨٥.

- انظر حول التدين الشعبي في القرية المصرية : عبد الباسط عبد المعطي و التدين والإبداع: الوعي الشعبي في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١، ص ص ٧٣ - ١٠٦.

٩- محمد أحمد بيومي ، علم الاجتماع الديني، مرجع سابق ، ص ص ١٨٤ - ١٨٥.

١٠- محمد أحمد بيومي ، علم الاجتماع الديني ومشكلات العالم الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ص ٢٠٢ - ٢٠٤ .

انظر: حول الأحياء الديني بين الشباب، علي ليلة، الشباب العربي: تــأملات في ظواهر الأحياء الديني والعنف، دارلمعــارف ، ط٢ ، ١٩٩٣ ، ص ص ٣١٩ - ٣٥٦.

١١- مديحة سيد أحمد ، مرجع سابق ، ص ص ٤٣ - ٤٧.

- انظر حول الدين والسياسة ووظائفه، محمد حــسين فــضل الله، الــدين والمجتمع والسياسة في عالم متبدل، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، صيف ١٩٩٨، ص ص ٩ - ٢٨.

١٢- سامية مصطفى الشاب، دراسات في علم الاجتماع الــديني، الكتــاب الأول، علم الاجتماع الديني، دار المعارف، ١٩٩٣، ص ٦٢

- انظر حول المجتمع والدين والتقاليد، عاطف عطيــة، المجتمــع الــديني والتقاليد، منشورات جروس برس، طرابلس- لبنــان ط١، ١٩٩٢، ص ص ٢١- ٧٤.

١٣- المرجع السابق، ص ٦٣

- انظر: من الأسطورة إلى الدين في: غانم هنا، ندوة الدين فـــي المجتمـــع العربي، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، ابريل ١٩٨٩.



الفصل الثاني
الدين كموضوع للبحث السوسيولوجي

مقدمة

أولا: نشأة الدين

ثانياً: نظرة دوركايم للدين.

ثالثاً: علم الاجتماع الدينى.

رابعاً: مضمون الدين ووظائفه.

خامساً: الانتماءات الدينية.

سادساً: وظائف الدين المجتمعية.



يعد الدين أحد العوامل الأساسية – بل والجوهرية – فى الحياة الإجتماعية، إذا لا يخفى دوره على أحد فى مجال التكامل والتساند الإجتماعيين، كما أن الولاء الإجتماعى للمجتمع وللجماعة هو فى أصله ولاء دينى، بمعنى أن الدين يمس جميع مظاهر الحياة الاجتماعية فى المجتمع ويصبغها بصبغته، كما يؤثر على جميع مقومات الثقافة الأساسية.

وعلى ذلك يمكن تعريف علم الاجتماع الدينى بأنه : علم وصفى تقريرى يرمى إلى دراسة المجتمعات الدينية (من نظم وظواهر وعبارات وطقوس دينية) ودراسة علمية تحليلية لبيان ما هو كائن، وليس لبيان ما ينبغى أن يكون .

وبغض النظر عن الدخول فى تفصيلات النماذج الدينية المختلفة التى تدل على حالة " التفاعل المستمر " بين الدين والمجتمع، وتبرز مدى تغلغل وفاعلية الضوابط الدينية فى تنظيم الحياة الاجتماعية، فإنه من الأهمية أن نؤكد أن مهمة الدين الاجتماعية تنحصر فى المحافظة على النظام والاتساق الاجتماعي وتقوية الروابط الاجتماعية إذ بفضل الدين يشعر المجتمع بوحدته الخاصة فى صورة اتحاد فى الطقوس والممارسات الدينية وامتثال للضوابط الدينية حتى تصبح بمثابة عادات اجتماعية لها قوة إلزامية، غير أنها تستند إلى جزاء يمكن وصفه بأنه " فوق اجتماعى ". وفى ضوء هذا أيضا يبدو وأن قاعدة السلوك الخلقى لا تقوى على البقاء بدون تأييد المعتقد الدينى. وهذا يعنى أن الدين والدور الاجتماعى للدين سوف يستمر رغم تغير أشكاله، طالما أن هناك مجتمعا إنسانيا وطالما أن هناك بشرا يمارسون أنشطة مختلفة سياسية كانت أو اقتصادية أو اجتماعية أو جمالية .... إلخ

لاشك أن الوضع الطبقى للفرد يؤثر على سلوكه واتجاهاته وتطلعاته بالنسبة لحياته الراهنة أو مستقبله، والتباين فى الطبقات الاجتماعية يمكن أن يتضح فى أبعاد دينية متعددة منها : التباين فى الانتماءات إلى الجماعات الدينية المختلفة – التباين فى الدافع إلى الإنضمام للجماعات الدينية – نمط ودرجة الإحتواء لأنشطة الجماعات الدينية – تصور وإدراك وظائف وأغراض الدين للأفراد – المعرفة الدينية .

فقد أظهرت نتائج الأبحاث التى أجريت عن العلاقة بين الدين والطبقات الاجتماعية أن المعنى الدينى يتباين بالنسبة للطبقات الإجتماعية، هذا يعنى أن الدين يتجه لينجز وظائف مختلفة للأفراد فى مختلف الطبقات أى بمعنى أخر أن الأفراد يسعون إلى تحقيق أشياء فى الدين اعتمادا على موقعها فى النسق الطبقى

أولاً: نشأة الدين

وضعت نظريات عدة لتفسير نشأة الدين، وقد تناول بعض الباحثين عند الكلام عن هذه النشأة التلاحم بين التنظيم الدينى والتنظيم المجتمعى متساءلين هل فجر التنظمين واحد بمعنى أن الدين والمجتمع سارا فى ركب البشرية من مهدها، أو أن الإنسان عاش فترة من الزمن انعدام فيها لديه كل اعتقاد دينى، والواقع أن الدين قد سار مع البشرية جنبا إلى جنب، ويمكننا أن نستدل على ذلك من تتبع تاريخ البشرية الموغل فى القديم وفى ملاحظة المجتمعات البدائية المعاصرة فقدماء المصرين اختلطت حضارتهم بالتدين وبالإيمان بوجود قوة أعلى من قوة البشر، وبالرغم من إغراقهم فى الشرك إلا أن واحدا من فراعينهم وهو إخناتون هب يدعو إلى نوع من التوحيد، أما الفرس فقد كانوا فى غامر تاريخهم يدينون بديانة تنادى بوجود الهين أحدهما

يختص بالخير والآخر بالشر. وقد كان للدين نصيب كبير في تراث الإغريق، ويبدو لنا ذلك واضحا عند عدد من فلاسفتهم كأرسطو وأفلوطين وغيرهما، وما تزال آثار المعابد الرومانية شاهدة على معتقداتها الدينية قبل دخول روما فى المسيحية. كما أن المجتمعات البدائية المعاصرة والتى تعد بمثابة معمل سحيق فى القدم لبعض الظواهر والتجارب المجتمعية مازالت متمسكة بعقائد دينية تعود إلى العصر الحجرى كالتوتمية أو الأرواحية مثلا[1].

١ – أديان البشر الرئيسية المعاصرة

تعرف المجتمعات فى العالم بعقيدتها التى تدين بها والتى تتركز حولها أنماطها العلاقية ونظرتها إلى الكون وممارستها لشعائرها الدينية وعبادتها. وفى تصنيفنا لأديان البشر الرئيسة نقوم بذلك على عادة على النحو الآتى:

أ- ديانات التوحيد السماوية الثلاث التى تؤمن باله واحد وهى الإسلام، والمسيحية واليهودية كما أنزلتا.

ب- أديان الشرك التى تؤمن بعدة آلهة وفى مقدمة هذه الأديان الدين الهندوكى أو الهندوسى الذى يؤمن بوجود عدة آلهة من تدرج هرمى والهندوكية من العقائد الموغلة فى القدم وترجع من حيث النشأة إلى العصر الحجرى .

ج- وهناك مجموعة أخرى من الأديان يمكن أن نطلق عليها " الأديان الطريقية " وهى البوذية والكونفوشيوسية والطاوية وهذه الأديان الثلاثة تركز على السلوك والخلق أكثر من تركيزها على العقيدة

والمبدأ كما تعنى بالتكيف مع الحاضر أكثر من التطلع إلـــى التغيـــر المستقبلى لأن جل همها ينصب على ما مضى وليس على مـــا هـــو آت.

د- أما عبادة الأجداد فيتمثل فى العقيدة الشنتوية وهى عقيدة اليابان وقد انبثقت من عبادة الأجداد ومن ركائزها الولاء للدولـــة ممثلـــة فـــى الإمبراطور وقد تأثرت هذه العقيدة بعد الحرب العالمية الثانية فيمـــا يتعلق بتقديس الإمبراطور ومازالت نسبة كبيرة من ســـكان الجـــزر اليابانية، ترى السير على النهج الدينى القديم فى عبادة أرواح الأجداد التى ترعى الأفراد والجماعات .

ه- وبالإضافة إلى هذه الأديان الرئيسية التى ينتشر معتنقوها على وجه الأرض فى توزيع إيكولوجى فريد نجد أن هناك أيضا مـــا يـــسمى بالأديان البدائية أى الأديان التى يدين بها الأقوام البـــدائيون الـــذين يعيشون على ما يشبه الصور الأولى للحياة البشرية لأسباب ثقافيـــة وبيئية من أهمها عزلتهم النسبية الجغرافية والحاضر الثقافى الـــذى كانوا يضربونه حول أنفسهم توجسا ونفورا من الغرباء .

ديانات أهم الأديان البدائية، الأروحية أو مذهب حيوية المادة الحنيف (كنايا إيرلنا Animism) أى الاعتقاد بأن لكل ما فى الكون، وحتى الكـــون ذاته، روحا أو نفسا وبعبارة أخرى إن الروح أو النفس لدى الأرواحيين هى المبدأ الحيوى المنظم للدنيا ومن العلماء الذين عكفوا على دراسة هذا الـــدين البدائى السير إدوارد تيلر وفى رأيه أن بعض الظواهر التى يمكن وصـــفها بالعمومية أو العالمية، كالأحلام والموت والرؤيا والاشباح وغيرهـــا كانـــت دافعا للبدائيين للأخذ بفكرة الروح التى فى استطاعتها الإنسلاخ عن البدن فى

ظروف معينة كما أن من الميسور عن طريق بعـض الطقـوس تـسكينها وتحضيرها فى مناسبات معينة كالأزمات والأمراض وما ماثل ذلك .

أما الدين البدائى الآخر فهـو التوتميـة (Totemism) ويعتبرهـا البعض مرحلة أرقى مما سبقها فى التدين البدائى وتدور حول فكـرة "القـوة ذات القداسة" المعروفة باسم " مانا " والتى تحل فى أشياء أو كائنات حية من الموجودة فى البيئة أو الوسط كالحيوان أو النبات وأحيانا المكان نفسه. هـذا الشئ أو الكائن الحى المعتقد بحلول القوة المقدسة فيه يكون محـل التـوقير والإجلال ويحاط بالمهارة اللائقة به، وفى نفس الوقت يكون أساسا لطقوسهم ومحورا لشعائرهم ورباطا انتمائيا يربطهم بعضهم ببعض.

وكان " اميل دور كايم " فى مقدمة من اهتمـوا بدراسـة وتحليـل " التوتمية " وفى نظره أن البدائيين ينظرون إلى الثعبان أو التمساح أو الطائر أو النبات الذى يغرسونه باعتباره توتما لهم من ناحية القوة التى تحل فيـه، فالذين توتمهم الثعلب لا يعبدون هذا الحيوان ولكنهم فـى زعـم دور كـايم يعبدون القوة المقدسة التى هو رمزها ومظهرها لأنها تقف خلفه دائما، ولذلك يقتضى التعرف فيها الاندماج الروحى مع الرمز الذى اتخذته والشئ الـذى تمثلت فيه. والتوتم فى نظر دوركايم له دور قرابـى بالإضـافة إلـى دوره الرئيسى فى العقيدة التوتمية، فأعضاء القبيلة الواحدة يشتركون فـى تقـديس توتمها ويتخذون مكانتهم القرابية بموجب رابطة النسخ القرابى التوتمى تقديرا للانتمائية الدينية[٢].

لذلك فالدين لا يعتبر موضوعاً من موضوعات العلـم – وبخاصـة عندما تتعلق المسائل الدينية بالغيبات كالإيمان بالملائكـة، وبـاليوم الآخـر وبالبعث وبالجنة والنار .....

وترفض بعض الأنشطة الدينية أن تكون محلا للبيانات الإحصائية ومن أن تتأثر بالزمن فتتغير أو تتبدل بحيث تكون لها ظواهر مختلفة في المراحل الزمنية المتابعة .

فترفض الأنشطة الدينية المبذولة فى ميدان العقيدة أن تكون ميدانا للبيانات الاحصائية من حيث أن الأنشطة تكون فى الغالب : أنشطة قلبية عاطفية تقوم على تقوى الله وخشية عقابه، أو أنشطة ذهنية عقلية تدور حول التفكير فى ذات الله وصفاته، وما إلى ذلك .

إن هذه الأنشطة القلبية والذهنية ليست محلا للإحصاء بحال من الأحوال – لاسيما وهى تتعلق بالإيمان الغيبى بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

وترفض الأنشطة الدينية فى ميدان العبادات أن توضع في الأطر الزمنية التى تبرز ما فيها من ظواهر التغير والتبدل بفعل الزمن فإن الفروض الدينية الى وضعها الله سبحانه وتعالى في ميادين : الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج وهى فى كل دين منذ نشأة هذا الدين، إلى يوم الدين ..

والدين ليس مجالا من مجالات الحياة كالاقتصاد والسياسة والتربية والتعليم، والأمن والثقافة والإعلام. وما إلى ذلك وإنما هو الأساس فى البناء الإنسانى مهما يكن المجال الذى يعمل فيه الإنسان، ومن هنا يمكن القول بالعلاقة بين الدين وأى نشاط يبذله الإنسان فى أى مجال من مجالات الحياة .

وقد كان الناس فيما مضى يربطون بين هذه الأنشطة المختلفة والدين. فكانت هناك المستشفيات والمدارس التى تنشئها الجمعيات الدينية وتخصصها الأبناء الطوائف الدينية. ولكن سيطرة النظم المدنية على الحياة

فى المجتمع قضت على كل ذلك وأحالت هذه المؤسسات الدينية إلى مؤسسات مدنية، فنقلت المستشفيات إلى وزارة الصحة ونقلت المدارس إلى وزارة التربية التعليم.

لقد قضى التنظيم الحديث للدولة على كل المؤسسات التى تنظم علاقة الإنسان بالإنسان فى ميدان الخدمات الاجتماعية وأحل محلها مؤسسات مدينة لا تفرق فى الخدمات الاجتماعية بين إنسان وإنسان بسبب الدين .

ولقد بقى هذا التنظيم الحديث للدولة بعيدا عن كل ما يمس علاقة الإنسان بالله، وترك هذه القضية للمؤسسات الدينية التى تتحمل مسئوليات ذلك، مثل المساجد والكنائس والجمعيات الدينية والطرق الصوفية والطوائف المسيحية ..[٣]

٢ – حتمية التدين

فى كافة المجتمعات توجد عقائد ترتبط بعبادات وممارسات وتصرفات توجه الناس وترسم لهم طريقهم فى الحياة الدنيا وتفسر لهم مصيرهم بعد الموت، وهذه العقائد وما يتصل بها أو يترتب عليها ترتبط بقوة قاهر تملك الضر والنفع لهؤلاء الناس وهى فى غنى عنهم وهم فى نفس الوقت ليسوا فى غنى عنها كما أنهم لاحول لهم ولا قوة إزاءها وليس أمامهم إذا ما وقر الإيمان بها فى نفوسهم وتغلغل فى أعماقهم إلا التماس رضاها باتباع أوامرها واجتناب سخطها وغضبها بترك ما نهت عنه .

والاعتقاد الدينى فطرة فى النفس البشرية، وهو ضرورة تحتمها الطبيعة الانسانية بامكاناتها وافتقاراتها المادية والمعنوية، وفى رأى كثير من العلماء، وخاصة المعنيين بالسلوك الإنسانى منهم، أن العقيدة الدينية هى الملاذ الدى يلجأ إليه الإنسان فى الملمات وهى الحصن الذى يحميه من العواصف والنزوات والهزات .

وبالنسبة لحتمية التدين الإنسانى ودوره فى حياة الناس يقدم بعض علماء الاجتماع ومنهم جيرهارد وجين لنسكى تعريفا واسعا كل السعة يتضمن أن الدين " هو النظرة التى تنظر بها جماعة من الناس إلى الوجود وما يترتب على هذه النظرة من ممارسات " وبذلك يدخلون فى عداد المذاهب والعقائد ما يطلقون عليه اصطلاح المذاهب غير السماوية أى التى لا تؤمن بوجود إله واحد أو عدة آلهة كالأيدلوجى الشيوعى والفلسفة الإنسانية إلى جانب الأديان السماوية الأخرى كالإسلام والمسحية واليهودية (٤).

وحجة المنادين بالتوسع فى تعريف الدين على النحو المشار إليه، ترجع فى زعمهم إلى ما نجم عن الثقافة الإنسانية من تطلع لاكتشاف أسرار الكون وللإجابة بصفة خاصة على العديد من التساؤلات التى تستهل بكلمة لماذا. لماذا لا ينزل المطر ولماذا يموت الناس ولماذا يتفاوت البشر فى حظوظ الحياة ومتاعها، وفى زعمهم أن الأيديولوجيات والعلوم، صنعية والإنجازات البشرية يمكن أن تجيب على مثل هذه الأسئلة تسكينا للنفوس وشفاء لغليلها وهو زعم باطل ووهم غير صحيح وإجابة غير شافية على التساؤلات المحيرة التى شغلت وتشتغل بال الإنسان، والتى يقف العلم الوضعى المحدود أمامها مبهوتاً ومستسلما فى نفس الوقت، ومن ثم لامناص للبشر من (الإيمان). إننا فى عصرنا الحالى أقدر ممن سبقونا على إدراك قصور العلم وحدوده، وبعبارة أخرى إن طبيعة العلم صارت أكثر وضوحا وأن رأى العالم المحايد لا يكفى لتكوين قرار نهائى يبين موقف الإنسان من الكون ويرد على الإستفهامات المحيرة التى شغلت بال البشر منذ القدم وستظل تشغل بالهم وخاطرهم مالم يعتصموا بالدين وينهلوا من ينابيعه

ويرتووا من جداوله التى تهدى السبل وتروى الظمأ " وما أوتيتم من العلم إلا قليلا " .

يقوم الدين بدور هام فى البنيان الذى تقوم عليه كافة النظم الإجتماعية الأخرى. ويختلف الدين من هذه الوجه عن التنظيمات الجزئية الأخرى فهو مثلا يختلف عن الدولة أو الحكومة حيث ترتكز كل منهما على توزيع ظاهرة القوة أو السلطة، والتحكم فيها، كما يختلف عن الاقتصاد الذى يعنى بالعمل والإنتاج والتبادل، وبعبارة موجزة لا يعد الدين مرادفا أو بديلا لأى نظام بعينه من النظم الاجتماعية أنه متغلغل فيها جميعا بقدر متفاوت بتفاوت المجتمعات وتباين شرائعها وعقائدها الدينية .

<u>٣- الدين والثقافة</u>

يرى بعض علماء الاجتماع أن الدين يعد ركيزة الثقافة فى المجتمع، وكما تتعرض الثقافة للتقبل والمقاومة فى بعض المجتمعات تتعرض بعض العقائد الدينية لمثل ذلك أيضا ، والدين والثقافة فى زعم علماء آخرين كلاهما يفك أسر الفكر البشرى ويحرر الناس من القلق، كما أن محتويات كليهما تنتقل عن جيل إلى آخر ومن مجتمع لآخر بالاحتكاك ووسائل الاتصال المختلفة، وثمة أوجه شبه اخرى بين الدين والثقافة تبرز فى التحليل السوسيولوجى منها (الخاصية الدفاعية) والمقصود بهذه الخاصية دور الثقافة المعينة والدين المعين فى تقوية أواصر التنمية وتدعيم الصلات وتقوية النفوس مما يعين على رد العدوان كما يستعان بهما فى الوقاية ودرء الأخطار. ومن العلماء من ينظر إلى الدين على أنه جانب من تراث المجتمع يتصف بأمرين قداسة أنماطه ونهائية أحكامه، ويقصدون بالقداسة أنه مصون

ومكرم وغير قابل للتجريح أم النهائية فيشيرون بها إلى أن أحكام الـــدين لا تقبل التحوير أو التبديل(٥).

٤ – تعريف ظاهرة التدين وخصائصها

يعرف التدين كظاهرة اجتماعية بأنـــه: الالتـــزام بعقيـــدة دينيـــة أو –نحلة– معينة وأداء فرائضها ومناسكها وطقوسها وشعائرها وكل ما يتصل بها من العبادات نحو المعبود المعترف به من هذا الـــدين أو النحلـــة. ومـــا يترتب على هذا الالتزام الدينى من تطبيقات تتصل بالشروط الدينيـــة لكافـــة العلاقات والمعاملات فى المجتمع .

وتمتاز ظاهرة (التدين) مثل غيرهـــا مـــن الظـــواهر الاجتماعيـــة بمجموعة من السمات أو الخصائص أهمها الموضوعية .

فالتدين يقتضى الإيمان بالله على طريقة الإسلام مثلا – له مقتـــضى عملى ينبغى أن يتحقق فى واقع الحياة الاجتماعية وهو إدارة كـــل شـــئونها بمقتضى المنهاج الرباني المنزل وما لم يتحقق هذا المقتضى يظـــل الإيمـــان (نية طيبة) لا رصيد لها فى الواقع والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (ليس الإيمان بالتمنى ولكن بما وقر فى القلب وصدقه العمل) والله سبحانه وتعالى يقول (ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب، من يعمل سوءاً يجزى به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثـــى وهو مؤمن، فأولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيراً) (النساء ١٢٣،١٢٤).

ومن هنا فإنه وإن كانت ركائز التدين مستقرة داخـــل الـــذات فـــإن نشاطات الإنسان تعبر عن الالتزام – أو عدم الالتزام – بهـــا، بمعنـــى أن للتدين (وجود اً) خارج شعور الأفراد كما أن له وجوداً داخل ذواتهم .

والتدين بهذه الصورة بوجوده خارج شعور الأفراد ليس من صنعهم وإنما يتلقاه الإنسان من المجتمع الذى نشأ فيه بمعنى أنه ليس وليد التفكير الذاتى، بل الأولى أن يقال بأن التدين الذى يشكل هذا التفكير لدى مختلف الأفراد بطابع متجانس إلى حد كبير أو قليل طبقاً لدرجة التقدم الذى وصل إليه المجتمع .

وعلى ذلك فإن الغاية الأساسية لعلم الاجتماع الدينى هى تحقيق الموضوعية، بمعنى أن عالم الاجتماع الدينى حينما يدرس – بداءة – الظواهر الدينية، يتعين عليه أن يتخذ موقفا يماثل موقف العالم الطبيعى، الذى يفترض أنه يرتاد ميدانا غير معروف وغير مكتشف. ومادامت الظواهر الدينية موضوعية على هذا النحو فإنها تصبح مثل الأشياء وهى (الخاصية) التى أقيم عليها علم الاجتماع. وقد أكد (دور كايم) ذلك فى مقدمة كتابه (قواعد المنهج فى علم الاجتماع) ذلك أن هذه الصفة جعلت معاصريه يرمونه بالأغراب لأنه شبة حقائق العالم الاجتماعي بحقائق العالم الخارجى[٦].

وكان رده عليهم أن المقصود (بالشئ) هو أن (الشئ) يقابل (الفكرة) بمعنى أن معرفتنا للشئ تأتى من (الخارج). على حين أن معرفتنا للفكرة تأتى من (الداخل) والشئ هو ما يصلح أن يكون مادة للمعرفة ولكن بشرط أن تسمح له طبيعته بالإندماج فى العقل الذى يدركه ... ومن ثم فليس معنى أننا نتناول طائفة خاصة من الظواهر الدينية على أنها (أشياء) هو أننا ندخل هذه الظواهر فى طائفة خاصة من الكائنات الطبيعية، بل معنى ذلك أننا نسلك حيالها مسلكا عقليا خاصاً ... أى أننا نأخذ دراستها، وقد تمسكنا بالمبدأ الآتى : (وهو أننا نجهل كل شئ عن حقيقتها، وأننا لانستطيع الكشف عن خواصها

الذاتية، أو عن الأسباب المجهولة التى تخضع لها عن طريــق الاســتبطان Introspection مهما بلغت هذه الطريقة مبلغا كبيراً "

والمبدأ السالف الذكر يوجب على الباحث الاجتماعي الدينى أن يسلك فى بحوثه مسلكا عقليا شبيها بالمسلك الذى ينتهجه كل من عالم الطبيعــة أو الكيمياء أو المختص فى علم وظائف الأعضاء ... حينما يأخذ فــى دراســة بعض الظواهر التى لم تكتشف بعد فى دائرة اختصاصه العلمى، ومن ثم فإنه يجب على الباحث فى مجال الاجتماع الدينى – كما يــرى دور كــايم – أن يشعر حينما يطرق المجال الدينى بأنه يلج عالما ولا مناص له من أن يشعر بأنه يوجد – وجها لوجه – مع بعض الظواهر التى تخضع لقوانين ، كما كان يدور بخلده قط أنها توجد حقيقة ، كما كان الأمر فيما يتعلق بقوانين الحياة ، قبل أن ينشأ العلم الذى يتناولها بالدراسة .

وأضاف " دور كايم " إلى ذلك – من أجل زيــادة الإيــضاح – أن الظواهر الدينية مادامت " موضوعية وشيئية " فإنها تصبح بمثابــة " أشــياء خارجية " بالنسبة لشعور الأفراد . وقد عــارض الــبعض أيــضا صــفة " الخارجية " معارضة قوية . ولكن " دور كايم " واجه هذه المعارضة بقولــه أنه ليس هناك اليوم بين العلماء من ينكر على علم الاجتماع ذاتيته الخاصــة التى تميزه عن غيره من العلوم .

ولكن : لما لم يكن بد من وجود الأفراد حتى يوجد التدين ، فإنه يبدو للعامة من الناس ، أنه ليس من الميسور أن تحتل الحياة الدينية مكانا آخــر غير شعور الأفراد ، وإلا بدت معلقة فى الهواء أو سابحة فى الفضاء. وأنــه لما كانت سيولة الماء أو خواصه – غذائية أو إروائية – لا توجد فى كل من الأكسجين والهيدروجين على حده ، وهما الغازان اللذان يتكون منهما الماء .

وإنما توجد المادة التى تنشأ بسبب اتحاد هذين الغازين . ولذلك فإنه يمكننـــا تطبيق تلك القاعدة فى مجال " التدين " أو فى مجال علم الاجتماع الدينى .

وبمقتضى الصفة " الخارجية " فإن هذه الظواهر تدوم من جيل إلـــى جيل ، ولا تتأثر بتغير الأفراد ، وكذلك لا تختفى بوفاتهم ، لكونها مستمرة[٧].

ثـانـيـاً : نـظـريـة دوركـايـم لـلـديـن

يرجع الخط الفكرى الأساسى لدراسة دور كايم للدين إلى كل من دى جولاج De Caulage وسميث Smith . فالأول أرجع النواحى السياسية والبناء الكلى للمجتمع إلى المعتقدات الدينية التى تحدد التنظيم الاجتمـــاعى . ويرى سميث أن الدين البدائى هو كيان اجتماعى . فـــالأفراد لا يختـــارون مجموعة معتقدات لتفسير الأشياء . ولكن يولدون فى مواقف اجتماعية حيث الأفعال الدينية الموجودة والمتوارثة ففى المجتمع القبلـــى لا توجـــد علاقـــة خاصة فردية بين الآلهة . ولكن الأفعال الشائعة المقدسة تربط الأفراد بعضهم ببعض فى الجماعة مع الإله أو الآلهة التى يقدسها المجتمع ككل .

ويرى دور كايم أن الضبط الاجتماعى . والوجود الإجتماعى ذاتـــه يرتكز على مفهوم الشعور الجمعى . وأن المنطق يخلق ويقـــوى فـــى كـــل مجتمع بواسطة الدين وفى العمل الذى اشترك به مع Mauss عن تصنيف البدائى ، أوضح دور كايم أن الدين يمدنا بالفهم وبدونه لا نستطيع أن نفكر .

فكل الأديان أنساق من الأفكار التى تعطينا فهما كاملا عن العـــالم . ولم يثر دور كايم أى مناقشة حول صدق الأفكار الدينيـــة ، لأنـــه يـــرى أن الأفكار الدينية تعبر وتحقق الحاجات الاجتماعية ووفقا لهذا فهى لا يمكن أن تكون غير حقيقة أو غير صادقة وتتركز معالجة دور كايم للدين فى ثـــلاث جوانب أساسية هى :

١ – الأساس الاجتماعى للدين :

قدم دور كايم تفسيرا اجتماعيا خالصا عن طبيعة الدين ، ولذلك بـدأ بنقد النظريات الفردية والسيكولوجية التى تحاول أن تفسر ظهور المعتقدات الدينية عن طريق العوامل البيولوجية كالأحلام والرؤيا . وكذلك نقد النظرية الطبيعية عند ماكس مولر التى تذهب إلى أن الدين يرجـع إلـى العوامـل الطبيعية والكونية . ويرى دور كايم أن هذه النظريات فشلت فى تقديم تفسير للدين والتفرقة بين ما هو مقدس وما هو دنيوى .

ونظر دور كايم إلى الأفكار والممارسات الدينية على أنهـا تـشير وترمز إلى الجماعة الإجتماعية . كما اعتبر المجتمع المنبع الأصلى للدين . ولذلك عرف الدين بأنه " نسق موحد من المعتقدات والممارسات التى تتصل بشئ مقدس وهذه المعتقدات والممارسات فى مجتمع أخلاقى واحد ويضم كل الذين يرتبطون به "[٨] .

ويرى دور كايم أن روح الدين فى كل المجتمعات ترجع إلى التميز الصارم بين ما هو مقدس Sacred ، ومـا علمـانى Profane . ويـشير المقدس – كما يرى دور كايم – إلى أى شئ عرف اجتماعيا على أنه يتطلب معالجة دينية خالصة ويتكون المقدس كذلك من التصورات الجمعية التى تعبر عن الحقائق الجمعية . والأشياء المقدسة لا يمكن أن تتخذ صورة قاطعة فى كل زمان ومكان ذلك لأنها تختلف طبقا لاختلاف الديانات، ويؤكد دوركـايم على أن الأشياء المقدسة هى الدينية فى مظهرها والاجتماعية فى مصدرها .

فالدين يضم مجموعة من المعتقدات ، والممارسات فى نسق شـامل يحقق القداسة للأشياء المحرمة ، وهذه المعتقدات توجد بين الأفراد وتخلـق مجتمعا أخلاقيا . أى الاسهام الجمعى فى المعتقدات يعتبر شـرطا أساسـيا

لوجود الدين . كما أوضـح دور كـايم أن الطبيعـة الملزمـة للمعتقـدات والممارسات الدينية ، وقوة الدين وإرتباطه بأشكال الفكر الأساسية يرجع إلى أصله المرتبط بالمجتمع .

٢ – الصورة الأولى للدين :

حاول دور كايم أن يوضح لنا الصورة الأولى للدين فى المجتمعـات البدائية وكانت نتائجه مرتكزة على مادته التى جمعها عن الديانة التوتمية فى استرليا، وقد استند إلى المعالجة التطورية وهى : إذا كان مجتمـع أرونتـا Arunta هو أبسط المجتمعات التى " عرفت حينئذ. إذن فالديانات التوتميـة هى أبسط وأقدم الديانات وهى تحوى أغلب السمات الأساسية لكل الديانات.

ويقررر دور كايم أن الديانة الوتمية هى الصورة البسيطة للـدين . وفى هذه الديانة يعتبر التوتم هو الرمز الذى تتخذه العشائر البدائية لنفـسها ، سواء أكانت مستمدة من المملكة الحيوانية أو النباتية أو القوى الطبيعيـة أو الجماد . وأهم العناصر فى التوتمية أن أفراد العشيرة يعتقدون أنهم منحدرون من هذا التوتم فهو الأصل فى وجودهم ، ويترتب على ذلك أن الأفراد الذين ينتمون إلى نفس التوتم يعتبرون أنفسهم أقارب فيما بينهم ، ومعنى ذلـك أن القرابة لا تقوم على أساس وحدة الدم وإنما تربط أفراد العشيرة وحدة قرابـة معنوية ، تقوم على أساس اشتراكهم فى نفس العادات والتقاليـد والطقـوس الدينية ، التى يلتزمون بأدائها نحو التوتم . وتقوم الديانة التوتمية على أساس تقديس توتم العشيرة تقديساً يحرم لمسه، إذا كان جمادا إلا فى مناسبات دينية كما يحرم قتله أو صيده إذا كان المملكة الحيوانية ، ويحرم اكله إذا كان مـن المملكة النباتية.

والتوتمية ليست فى الواقع عبادة الحيوانات أو الجمادات أو النباتات ، وإنما هى عبادة العشيرة لرمزها الجماعى الذى تعتقد أنه يحوى ذلك المبدأ المقدس . فإله العشيرة أو الإله التوتمى لا يمكن أن يكون سوى العشيرة نفسها . ومن هنا يرى دور كايم أن أول ديانة إنسانية هى عبادة المجتمع لنفسه ، وأن الله والجماعة شئ واحد . ويؤكد دور كايم أن حياة الجماعة هى المصدر المنشئ للدين وأن الأفكار والممارسات الدينية إنما تشير وترمز إلى الجماعة الاجتماعية فالرموز الدينية لا يمكن أن تشير إلى البيئة الطبيعية أو الطبيعة الإنسانية ، ولكنها تشير إلى الواقع الاجتماعى .

<u>٣- الوظيفة الاجتماعية للدين</u>

عندما عالج دوركايم الظاهرة الدينية . حدد الدين بناء على وظائفه ، وكان تركيزه منصبا على الشعائر والأفعال أكثر من المعتقدات . ويرى دوركايم أن وظيفة الدين هى ربط الأفراد بمجتمعهم بقوة عن طريق : الفهم Comprehend أى فهم الواقع والعلاقات الاجتماعية ، والاتصال Communicate بمعنى اتصال الأفراد بعضهم ببعض على أساس من المفاهيم المشتركة . والتحديد Specify أى تنظم الأفكار والعلاقات الاجتماعية ، عن طريق هذه الأشياء يتقبل الأفراد الدين على أنه شئ ملزم ومطلق وأشار دور كايم إلى أن مجموعة العبادات تربط الأفراد بعضهم ببعض "وتخرجهم من أنفسهم " ومن هذه الرابطة يستمد الأفراد ثقتهم وقوتهم(٩) .

<u>ثالثاً: علم الاجتماع الدينى : Sociology of Religion</u>

لقد تعددت تعريفات علم الاجتماع الدينى ، وبالتالى مجالات دراساته نتيجة اتساع منطقة نفوذ هذا العلم الجديد منهجا والقديم تاريخها وموضوعها، وعدم تحديدها بدقة . وعلى سبيل المثال فقد عـرف " واش " ميـدان علـم الاجتماع الدينى بأنه العلم الذى يدرس العلاقات المتبادلة وصور التفاعل بين الدين والمجتمع . كما اعتبر الدوافع الدينية والأفكار والنظم ، مـن الأمـور التى تؤثر وتتأثر بالقوى الاجتماعية والتنظم الاجتماعى والتدرج الطبقى ...

واعتبر كل هذا بمثابة افتراض – وليس تحديـدا نهائيـا – لمجـال الدراسة فى علم الاجتماع الدينى

ومن الأمثلة الأخـرى ، التعريـف الـذى اقترحـه " نوتنجهـام " nottingham وهو أن عالم الاجتماع الدينى يهتم بدراسة الـدين كمظهـر لسلوك الجماعة ، والأدوار التى لعبتها الديانات على مر العـصور . أمـا " ينجر " Yinger فقد ذهب إلى أن " علم الاجتماع الدينى هو الدراسة العلمية لتأثير المجتمع والثقافة والشخصية فى الدين ... كما يدرس تأثير الدين فـى المجتمع والثقافة والشخصية . وقد أوضح " ينجر " الاهتمامات الأساسية لعلم الاجتماع الدينى ، وهى : دراسة مقاييس السلوك الـدينى ، وعلاقـة تلـك المقاييس بالدين وبالأخلاق Morals وبالشخصية character وكذلك موقف الدين من الجانبين الغيبى والمرئى Perspective فى المجتمع . كما يتناول الحاجات الفردية individual needs وعلاقتها بالدين وبالثقافة وبالمجتمع ، فضلا عن دراسة تفاعل الدين بطقوسه وشعائره مع الفرق والطوائف الدينية والحركات العلمانية ، وبعض الطـرق المعاصـرة للخـلاص Salvation فضلا عن دراسة موقف الدين من التمـايز أو التمييـز Differentiation الاجتماعى ، والتمايز الدينى ، ومكانة الأقليـات ، والمنظمـات الدينيـة ،

واستجابة هذه المنظمات لمتطلبـــات النمـــو الاقتـــصادى والتغيـــر الـــدينى Religious change والحروب ، والجوانب المتـــصلة بـــدور العبـــادة ، وبالسياسة وبالدولة(١٠)

١ – عبادة الأسلاف : Ansctor worship

وهى إحدى العبادات التى كانت سائدة فى بعض المجتمعات البدائية ، ولا سيما فى كل من الصين وداهومى. وهى تقوم على اعتقاد بـــأن أرواح الموتى من الأجداد يمكن أن تؤثر فى مجرى حياة الأفراد من الأحفاد.

وتهدف هذه العبادة إلى كسب ود الأجداد ليعملوا على رعاية وحماية ومعاونة الأفراد والجماعة ككل. وقد استخدم الأنثووبولوجيون هذا " المفهوم " ومازال معظمهم يستخدمونه حتى يومنا هذا. وقد وجه " فريـــزر " Frazer ومعاصروه اهتماما خاصا بدراسة هذه العبادة من حيث نشأتها وتطورتهـــا. وأعطاها نفس الاهتمام كل من " لوى " R. lowie " واليس " D. wallis وعملوا على تتبعها فى أنحاء متفرقة من العالم وفى الوقت الحاضـــر يـــرى كثير من الباحثين ضرورة دراسة ظاهرة عبادة الأسلاف بالرجوع إلى كـــل مجتمع من المجتمعات التى تسودها هذه الديانة على حدة وفى ضوء الثقافـــة السائدة فى كل مجتمع .

وتؤكد الدراسات الأنثربولوجية الحديثة وجود مثل هذه العبادة لـــدى بعض الجماعات المتأخرة ، ولا سيما قبائل السودان النيلية. ذلك أن من أهم ما يميز الحياة الدينية عند " الشلك " عبادة أرواح أجـــدادهم المـــوتى. وفـــى مقدمتهم عبادة روح أول ملوكهم وكان يسمى " نياكانج " الذى توجد روحـــه فى المعبد الكبير فى " أكورا " ولا يدخل الشخص العادى إلى هذا المعبد ، إلا

بعد المرور ببعض الطقوس الخاصة. وإلى تلك الروح تقدم القرابين والأضاحى من الأبقار والماشية.

وهناك دراسات أخرى تؤكد أنهم يختصون بعض أرواح موتاهم – بجوار أرواح ملوكهم – بالعبادة ، وربما يعبدون كل أرواح الموتى إذا يعتقدون أن هذه الأرواح تسكن القبور ، وتحوم حولها ، وتوقع الضرر بالأقرباء ، ولاسيما إذا توفى أحد أفراد العائلة وهو غاضب على أفرادها الأحياء. ومن هنا تراهم يقدمون " بشاير " المحاصيل الزراعية والحيوانية إلى قبور الموتى ، كما يذبحون بقرة ويدفنون جزءا من لحومها فى القبر كنوع من " القربان " للذين يعيشون فى العالم الأخر(١١) .

٢ – الأنيميزم –أول المبدأ الحيوى Animism

لعل أول من أشار إلى هذا المبدأ هو " إدوارد تايلور " Taylor فى كتابه بعنوان " الثقافة البدائية " primitive cultureوالذى صدر سنة ١٨٧١ ، ولذلك تنسب " النظرية الحيوية " إليه، حيث اعتبرها جزءا من نظرية عامة فى " الدين البدائي " تقوم على تفسير محاولة بعض الشعوب ، إضفاء الوجود الروحى على النباتات والحيوانات والأشياء. ويرجع ذلك إلى ما استشعره الإنسان القديم من حاجة ملحة إلى تفسير الأحلام ، والنوم ، والموت ، وما إلى ذلك مما لم يكن مفهوما أو مدركا يومئذ.

وقد تناول " ماربت " هذه النظرية بالتعديل فى كتابه بعنوان " أعتاب الدين " حيث ذكر أن الإنسان البدائى تصيبه الدهشة ويعتريه الخوف، وقد يصاب بالذهول من رؤية الظواهر الطبيعية ولا سيما غير المألوف منها مثل البراكين والفيضانات ... الأمر الذى جعله يضفى عليها قوة روحية.

ومما تجدر الإشارة إليه أن فكرة " المبدأ الحيوى " تختلف عن فكرة " المانا " Mana التى تتميز عن القوى الطبيعية ، إذ تعمل من أجـل الخيـر والشر معا ، كما تعمل على زيادة المحاصيل الزراعية والحيوانية ، فـضلا عن زيادة إنجاب الأطفال .

وهذه الفكرة اعتبرها كل من " دور كايم " و " ليفى بـرول " غيـر علمية لعدم خضوعها لمنطق العقل ، ولم تجد لها من مؤيد سوى " هربـرت سبنسر " الذى اعتبرها ظاهرة عامة فى المجتمع الإنسانى.

٣- معتقد Belief :

حكم أو رأى أو اتجاه يتعلق بالواقع الاجتماعى، حيث يعتنقه الفـرد باعتباره صحيحا ويلاحظ هنا اختلاف مفهوم المعتقد عـن مفهـوم القيمـة Value التى تعرف بأنها " نسق شبه مقنن Standardized يستخدمه الفرد فى قياس وتقدير المواقف الاجتماعية " وعلى ذلك فإن : القيمة تتـصل بمـا يعتبره الفرد مرغوبا فيه أو مرغوبا عنه. بينما المعتقد حكم صادق ووقعى.

ويعتمد تحديد المعتقد – بالإضافة إلـى ذلـك – علـى الملاحظـة الإمبيريقية ، والمنطق ، وكذلك على التقاليد والإيمان ، وما إلى ذلك. وبذلك يمكننا الحديث عن المعتقدات العلمية. وعلى ذلك فإن المعتقدات تشكل البناء الأساسى لتصور الفرد للعالم (البناء المعرفى) كما تشكل الإطار الذى يفهم به محتوى وأبعاد مدركاته الذاتية.

ومن جهة أخرى فإن المعتقد يشار إليه باعتباره حكما يتناول الواقع، كما يرتكز إلى حد ما على الإيمان. وبهذا التحديد فإن العبارات المشتقة مـن ملاحظات واقعية فقط لا تدخل فى إطار المعتقدات ولا سيما الدينية منها[١٢] .

رابعاً: مضمون الدين ووظائفه

١ – محتوى الدين:

يقوم الدين على بنيان من القواعد والأحكام والمفـاهيم والمعتقـدات والممارسات بعضها يتصل بعالم الشهادة وبعضها يتعلق بعالم الغيـب ومـن التصنيفات التى وضعها بعض العلماء للمحتويات الدينية تصنيف " جولـدن ويزر " الذى يحلل الدين إلى العناصر الآتية :-

أ- العنصر الروحى والإيمانى

والعماد الذى يقوم عليه هذا العنصر إيمان الفرد وتسليمه واعتقاده فى قوة خارقة قاهرة قادرة تملك له الضر والنفع وهو لا يملك لها شيئا لأنها فى غنى عنه ، وهذه القوة فى الاعتقاد السليم للأديان السماوية الكبرى هـو الله جل شأنه والإيمان بالله يقيد المؤمن بأحكام الخالق المعبود وينمـى ضـميره الذى يضبط سلوكه وفكره لأنه على ثقة دائما من أن الله مطلع علـى كـل أموره لا يخفى عليه شئ ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

ب- العنصر التعبدى والعلاقى :

ويحوى هذا الجزء بين طياته رد الفعل الذى يحدث لدى المؤمنين من جراء اعتقادهم فى المعبود الذى يؤمنون به. وفى قدرته وصفاته مما يدعوهم إلى طاعته والقيام بما يأمرهم به وبتجنب ما ينهاهم عنه ، ومن بين ذلك أداء العبادات فالعبادة بمعناها العام تشمل كل ما يأتى به الإنسان فى طاعة المعبود ، فالعلاقات الحسنة مع الآخرين نوع من العبادة وكـذلك الـسعى والعمـل والإنتاج وتقديم العون لمحتاجه ، أما العبادة بمعناها الخاص فهـى إقامـة الفرائض الدينية، ولا يقر الإسلام الاقتصار على العبادة بمفهومها الخـاص. روى عن رسول الله عليه الصلاة والسلام عندما رأى رجـلا مـن العبـاد

انصرف كليا للتعبد فسأل من كانوا حوله " ومن يؤكله " فأجابوا " كلنا يؤكله " فقال صلوات الله وسلامه عليه " كلكم خير منه "

جـــ- العنصر الوثيقى والمرجعى :

أما العنصر الثالث فى رأى جولدن ويزر فهو المتعلــق بالنــصوص والقواعد المقررة التى تبين للناس الطريق الذى ينهجونه فى نظرتهم إلـــى الكون وفى صلتهم بمعبودهم وعلاقاتهم بعضهم ببعض وغير ذلك من أصول العقيدة ومقتضيات الإيمان بها .

يذكر لنا الشيخ محمود شلتوت ، عن الغاية من إنزال القرآن الكــريم كمرجع ومصدر للشريعة الإسلامية ما يأتى : ليس من شك فـــى أن القــرآن أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم لغرض هو اسمى الأغراض وأنبلها ، وهو هداية الناس إلى الحق عن طريقه ، وإخراجهم مما هم فيه من الظلمات إلى النور.

أنزله الله ليطهر القلوب من رجس الخضوع لغيره ، ويرشد النـــاس إلى العقائد الصحيحة ، وإلى العلوم النافعة ، وإلى الأخلاق الفاضـــلة التـــى تحفظهم وتحفظ المجتمع من مزالق الهوى والشهوة ، وأنزلـــه أيضا يرشـــد الناس إلى الأعمال الصالحة التى تسمو بالفرد والمجتمع إلى مكانـــة العـــزة والكرامة(١٣) .

وقد أرشد القرآن هذه الغاية أو الغايات فى كثير من الآيـــات فقـــال تعالى " قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، ويهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلـــى صـــراط مستقيم "

<u>٢ – الدين والمجتمع</u>

والسؤال الذى نود أن نجيب عنه فى هذا المجال هو : مـــا أهميـــة دراسة الدين من الناحية الاجتماعية ؟ ولماذا يفرد له علم الاجتمـــاع فرعـــا متخصصا من فروعه ؟.

ترجع أهمية دراسة الدين من وجهة النظر الاجتماعية إلى عدة نقاط أهمها :

أ- عالمية الظاهرة الدينية : لقد أصبح من المؤكد اتـــسام الظـــاهرة الدينية بالعالمية University، فالظاهرة الدينية لازمت الإنسانية منذ نشأتها الأولى ، بحيث لا يوجد مجتمع من المجتمعات إلا قام هيكله الاجتماعى على أساس دينى .

فلاشك أن الإنسان البدائى – فى جميع أرجاء المعمـــورة – كانـــت تحيط به ظواهر كثيرة منها ما يتعلق بالطبيعة ، ومنها ما يتصل بالإنـــسان نفسه. هذه الظواهر كان تفكير الإنسان البدائى يعجز عن تأويلها ، وتفسيرها حيث لم يكن أمامه من الوسائل التى تعينه على وضع تفسير لها. ولذا كـــان الخيال أيسر وسيلة يلجأ إليها الإنسان. ومن هنا أوجد تفسيرات عديدة نـــسب جزءا منها لقوى غير منظورة .

ولقد تضافرت عوامل كثيرة مختلفة دفعت الإنسان إلى التفكير فـــى قوى غير المرئية. والتوجه بالفعل إلى محاولة ابتداع فكرة (الإله) ومن هذه العوامل كما حددها هستون هى:

ب- الخوف والقلق Fear and anxiety ، فعالم الإنـــسان مملـــوء بالمخاوف والقلق وضعف القدرة على التنبؤ ، ومعاناة الإنسان من الخـــوف

من الكوارث الطبيعية ومن ظاهرة الموت جعلته يتجه إلى عـالم مـا فـوق الطبيعة لدرء هذا الخوف.

جـ- البحث عن معنى نهائى Search for ultimate meaning، ففى المجتمعات هناك ما يؤكد بحث الإنسان عن تفسيرات روحية ، وبحثـه وراء مبدأ تنظيمى عن طريقة تشرع سلوكياته، ويستند إليهـا فـى تفـسير معاناته.

د- البحث عن السمو بالذات Search for self - transcen dence لما كانت أفعال الأفراد اليومية تتسم بالروتين ولا تحرك أى أحاسيس غريبة فى الإنسان وهناك بعض الأفراد يرغبون فى الدخول فى حالات سيكولوجية التى فيها يعلو الفرد بذاته ويسمو بها. والدين يوجد هذه الحالات السيكولوجية (كحالات التصوف مثلا)[١٤] .

هـ- جعـل العـالم شـيئا ذو معنـى Making the world comprehensible ، فالدين نجد فيه تفسيرات للبيئة المحيطة والظـواهر الطبيعية. وإذا كانت الأسباب السابقة باعثة للإنسان على التفكير فـى تلـك القوى غير المرئية. والتوجه بالفعل إلى محاولة ابتداع فكرة (الإله) . فلاشك أن الخوف كان أهم الأسباب الرئيسية لاتجاه الإنسان نحو الدين ، لأن توجس الإنسان خوفا من تلك الظواهر المحيطة به ، ودهشته أمام بعـضها الآخـر جعله يضع الأسباب التى يلقى عليها تبعة هذه الظـواهر وباهتمامـه بهـذه الأسباب التى خلع عليها مختلف الأسماء فإنه وصل إلى مرحلة قـام فيهـا بمحاولات أراد فيها أن يسترضى ويستميل تلك الآلهة .

وبعد أن بدأ الإنسان يهتم بفكرة الدين ، أخذ هذا الدين يتطور ويسلك فيه الإنسان طرائق متعددة، واصبح يتمثل فى حياة الإنسان فى أربعة أوجـــه هى: الطقوس، والعاطفة، والإيمان، والإدراك العقلى .

٣- الوظائف الاجتماعية للدين : وإذا كان من الواضح أن ظـــاهرة الدين لازمت الإنسانية منذ نشأتها ، وأن الدين ظاهرة عالمية فمن المؤكد أن عالمية الدين ترتكز على الوظائف الاجتماعية التى تحققها الديانة ، فالدين له كثير من الوظائف المختلفة. فالاعتقاد الدينى والمنظمات الدينية تخدم العديد من الحاجات الفردية والحاجات المجتمعية ، ويمكن أن نحدد ثلاث فئات من الوظائف التى يقدمها الدين وهى :-

أ- وظائف خاصة بالأفراد وتتضمن وظائف المعنـــى Meaning functions ووظائف الذاتية Identity functions

ب) وظائف مجتمعية .

ج) وظائف الدين المتعلقة بالأخلاق الاجتماعية

كما تتنوع وظائف الدين بين ما هو إيجابى يؤدى إلـــى الاســـتقرار والتماسك والتضامن داخل المجتمع ، وبين ما هو سلبى يعمل على إحـــداث التفكك والصراع.

دور الدين فى التغير والتنمية : فى كثير من المجتمعات يقـــع علـــى الدين رسالة كبيرة وهامة ألا وهى المساهمة فى حل المشكلات الاجتماعية. وذلك عن طريق تقديم مداخل دينية لحل مشكلات المجتمع وتنميته. فهنـــاك فريق من علماء التنمية فى دول العالم الثالث يتبنون هذا الاتجاه وينظـــرون إلى أن إحدى دعائم التنمية فى مجتمعاتهم ترتكز على الارتبـــاط بـــالتراث الثقافى. والدينى فى المجتمع ، وهو الذى يميزهم عن غيرهم ، ويجعل لهـــم

خصوصية مستقلة بذاتها. ويسعى هؤلاء العلماء – إلى وضع تصور دينى – منبعث من واقع ثقافتهم ودينهم، فى مجتمعاتهم فهــؤلاء العلمــاء يؤكــدون الترابط والتكامل بين القيم الدينية من جهة ، والتنمية من جهة آخرى.

ظهور الأشكال البديلة للدين ، مع ازدياد التيار العلمانى وخاصة فى المجتمعات الغربية جدت ظواهر على الواقع الدينى فى تلك المجتمعات ، من أبرزها انحسار الدين التقليدى، وظهور بدائل وظيفية له، وقد تزايد عدد من هذه الأشكال فى السنوات الماضية ، وتزايد عدد المعتنقين لها أيضا ، ممــا دفع علماء الاجتماع للتركيز عليها ودراستها لمعرفة مسبباتها(١٥) .

خامساً : الانتماءات الدينية

ينتمى المصريون جميعا للأديان السماوية – إذ ليس فى مصر ديــن غير سماوى والأديان السماوية فى مصر حسب ظهورهــا التــاريخى هــى اليهودية والمسيحية والإسلام ويتحقق الانتماء الدينى لآى دين من هذه الأديان منذ الأسبوع الأول من ولادة المواطن – من حيث أن القوانين الإدارية للدولة تحتم على أهل المولود قيده فى سجل المواليد فى مدى أسبوع مــن الــولادة وتحتم القوانين أيضا تسجيل ديانة المولود. مع تسجيل اسمه ولقبــه ونوعــه وهذا يقتضى أن يكون الانتماء الدينى للمولود هو نفس انتماء الأســرة لهــذا الدين أو ذاك وأنه لا اختيار للمولود فى الدين الذى ينتمى إليه. ويحدث فــى القليل النادر أن ينتقل المواطن من دين إلى دين بسبب دوافع غير دينية فــى الغالب والذى يصح أن نؤكد عليه فى هذا المقام هو أن القوانين التى تــنظم عمليات الانتقال من دين إلى دين تنظم هذا الانتقال من دين يهودى أو دين مسيحى إلى الإسلام. ولم تنظم الانتقال من الإسلام إلى أى دين من هــذين.

والسبب فى ذلك معروف. وهو أن الانتقال من الإسلام إلى غيره من الأديان يكون ردة، والردة فى الشريعة الإسلامية حكمها القتل .

والأديان السماوية فى مصر ترتب من حيث الأولوية فى كثرة عـــدد المعتنقين لها، على الوجه التالى : الإسلام والمسيحية واليهودية، حيث تبلـــغ النسبة المئوية للمسلمين فى كل التعدادات المتعاقبة حوالى ٩٢% وتزيد قليلا وتبلغ نسبة المسيحية ٧% وتقل قليلا. وتبلغ نسبة اليهود مع نسبة المسيحيين من غير المصريين ١% وتقل قليلا .

وضآلة عدد المواطنين من اليهود جعلت أنشطتهم الدينية من الضعف بحيث لا يمكن أن تشكل أية ظاهرة دينية يمكـــن حـــسبانها مـــن الظـــواهر الاجتماعية التى تدخل فى عمليات المسح الاجتماعى الشامل.

والنسبة المئوية للأعوام : ١٩٤٧ ١٩٦٠ ١٩٦٦ ١٩٧٦
كالتالى :

المسلمون : %٩١,٧ %٩٢,٦ ٩٣,٣ %٩٣,٧
المسيحيون : %٧,١ %٧ %٦,٤ %٦,٢

ويتعايش المسلمون والمسيحيون فى مصر على أساس من المواطنة – وليس على أساس من الدين وينتشر المسلمون والمسيحيون فـــى الـــوطن المصرى فى كل بقاع الوطن تقريبا. يعيشون جنبا إلى جنب بحيث لا تمايز بينهم فى النظم السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعيـــة أو الثقافيـــة بـــسبب الدين[١٦] .

سادساً : وظائف الدين المجتمعية :

الصلة الوثيقة بين الدين والمجتمع تتطلب الإحاطة بجوانب الدين الاجتماعية ووظائفه المجتمعية، وتعد مثل هذه الإحاطة من الأمور الأساسية لفهم الدين لأن الجانب الأكبر منه جانب اجتماعى، إن العقائد والممارسات والشعائر الدينية كلها لها آثارها الاجتماعية التى يمكن أن تلقى الأضواء التالية على الوظائف المجتمعية للدين:-

١- يقوم الدين بدور هام فى التمسك المجتمعى والتآلف الاجتماعى بين الأفراد والوحدات المكونة للمجتمع، عن طريق ضم شملهم وتوحيد كلمتهم فى النظرة إلى الكون وفى مجال القيم والمعانى والأهداف الدينية وفى تنسيق أدوارهم وتفاعلاتهم كما يدعو إلى التعاون والتراحم فيما بينهم ويكتل صفوفهم إزاء أى عدوان يتهددهم، ويبدو تأثير الدين من هذه الوجهة واضحاً فيما قام به الإسلام فى مجتمع الجزيرة العربية، فقد ألف بين قلوب المسلمين ودحر أعداءهم ومكنهم من الانتشار فى معظم أرجاء العالم القديم وقت ظهور الإسلام "واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً" .

٢- وللدين وظيفة رقابية هامة فهو يعمل على الضبط على سلوك الأفراد وحملهم على الانسجام مع المصطلحات والقيم السلوكية المرعية، فعن طريق المعتقدات والعبادات وقواعد المعاملات تقرن قيم الجماعة وأهدافها بالمعبود الذى تدين له والذى تجب طاعته واحترام مشيئته وبذلك يمارس الدين سلطة مجتمعية قوية، وإذا ما قارنا رقابة الدين بالرقابات الوضعية الأخرى، كرقابة السلطات الدنيوية نجد أن الدين يتولى الضبط على ما ظهر من الأعمال والتصرفات وما خفى أيضاً، ثم أنه يجازى على الفعل كما يجازى على النية التى لم تخرج بعد إلى حيز التنفيذ ويمتد جزاء الدين إلى ما

بعد الموت بينما يقتصر جزاء السلطة الدنيوية على عالم الدنيا فقط فهو جزاء معجل بينما الجزاء الدينى منه المعجل ومنه المؤجل.

٣- أما الوظيفة الثالثة فهى قيام الدين بتفسير بعض الأمور وتوضيح بعض المشكلات والمسائل التى تفوق علم الإنسان كمسألة الخلق والموت بالإجابة على أسئلة تدخل إلى القلب وتستقر فى الذهن ولولا هذا التفسير وتلك الإجابة لاضطربت الخواطر ولما تفاعل الناس فى المجتمع الإنسانى على المستوى الذى نراهم عليه من الصحة النفسية والتوازن الفعلى والثبات الوجدانى.

٤- تتعرض الجماعات والأفراد لكوارث ونكبات وتصادف ضروباً من الحرمان وصنوفاً من المعاناة ويقوم الدين بدور هام فى تسكين النفوس ومدها بالسلوى والرضا بما هو واقع، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيراً لكم.

٥- يعد الدين حصن الأمان الذى يشعر الناس فى رحابه بالأمن والاستقرار العلاقى وبالاطمئنان الذى لا توافره لهم علاقاتهم الإنسانية.

٦- وفى نظر بعض علماء الاجتماع أن الدين عامل أساسى فى الحفاظ على المجتمع وأوضاعه ومقدساته، ويذهب دوركايم فى تقرير مثل هذه الوظيفة أن التوتمية كدين موغل فى القدم يدعو إلى عبادة المجتمع لنفسه عن طريق القداسة التى يضفيها على رمزه أو شعاره الذى تنبع منه كل الظواهر المجتمعة الأخرى، ويعقب تالكوت بارسونز على هذا الرأى بقوله: "إن الأهمية القصوى التى يوليها دوركايم للتلاحم بين الرموز الدينية والأنماط الاجتماعية فى المجتمع من الأمور المسلم بها والتى لها أثرها فى الحفاظ على الأوضاع الاجتماعية فيه"، أما كنجزلى دافيز فمن رأيه أن الرمزية لا

تغفل الأوضاع الاجتماعية وإنما تعنى بالأمور غير المحسوسة وبذلك تمد الناس فى المجتمع بالأسباب والمبررات المنطقية لأهداف الاجتماع وأوضاعه ومراميه وهى تلك الأمور المشتركة بين الأعضاء المنتمين إلى المجتمع.

٧- يعد الدين من عوامل التنظيم المجتمعى الفعالة ومن أساليبه فى هذا الصدد التوجيه الجماعى لنشاط الأفراد وتنظيم العلاقات الأسرية والسياسية والاقتصادية وغيرها (١٧) .

قدم ميلتون ينجر تعريفا شاملا للدين، حيث يرى أن التركيز يجب أن ينصب على ماذا يفعل الدين، أى على الجانب الوظيفى للدين، وقد تأثر ينجر فى تعريفه للدين بماكس فيبر من ناحية تأكيده على أن المعنى فى الحياة هو بمثابة حاجة أساسية إنسانية (برغم تفاوت طبيعة وشدة هذه الحاجة عند مختلف الأفراد) وكذلك تأثر بجل الدين بول تليش P. Tillich فى وصفه للدين بأنه "الاهتمام المطلق" والاهتمام المطلق هو فهم الغرض من الحياة، ومعنى الحياة، والمعاناة، والشر ، والظلم من هذه المنطلقات حدد ينجر الدين بأنه: "الدين يمكن أن يتحدد على أنه نسق من المعتقدات والممارسات التى بواسطتها يكافح جماعة الأفراد المشكلات المطلقة للحياة الإنسانية".

فوظيفة الدين تتمثل فى أنه يقدم للأفراد التفسير عن مشاكلهم الحياتية ويمدهم باستراتيجية لقهر اليأس والشعور بالإحباط.

باستخدام هذا الشكل من التعريف يتسع مدى الظاهرة (الدين) حيث يصبح الأفراد غير المؤمنين وكذلك أنساق الاعتقاد والممارسات الغير فوق الطبيعية أنماط اجتماعية تستوجب دراسة علماء الاجتماع الدينى ويذهب ينجر بأنه عندما يرى الفرد بأنه بين الحقيقة والأمل تضيق وحينما يكون

هناك إيمان كبير يسمح للفرد بأن يرى أن المعاناة والشر سوف تقهرنا يكون إعلان عن وجود الدين، ويرى ينجر أن هناك ما يسمى بالإيمان العلمانى المتمثل فى الإيمان بقدرة العلم والتكنولوجيا فى حل مشكلاتنا الحياتية، ويؤيد بعض رجال العلوم الدينية أمثال تيليش Tillich ونيبر Niebuhr رأى ينجر وينظرون إلى أن الايمان بالعلم أو القومية أو الرأسمالية – على اعتبار أنهم أشياء تحظى بالولاء والتقديس، ويعتقد الأفراد المؤمنون بها أنها قدرة على حل المشكلات المطلقة – ذو أهمية لدارسى الدين – لأنها تشكل ظواهر تدين جديدة.

ويؤكد ينجر كغيره من الاجتماعيين على أن الدين هو ظاهرة اجتماعية فهو يعايش ويكسب كثيرا من جوانب معايشته فى تفاعل الجماعة. فالعبادة المنفردة قد تحمل أنماط من المعنى ربما يكون لها جوانب تدين إلا أنها ليست دين.

وهذا ما عبر عنه نيجر " إن اعتقاد الفرد هو إيمان والإظهار الاجتماعى هو الدين" ويؤكد ينجر على أن أى نسق اعتقاد وفعل يفشل فى تفسير التساؤلات المتعلقة بالحياة فهو ليس دين [١٨].

فى التحليل الأخير نجد أن ظاهرة الدين لازمت الإنسانية منذ نشأتها وأن ظاهرة الدين ظاهرة عالمية فمن المؤكد أن عالمية الدين ترتكز على الوظائف الاجتماعية التى تحققها الديانة، وقد أشار "جرين" إلى أن للدين ثلاثة وظائف عالمية:

١- تحقيق القوة للفرد لاحتمال كل ما يقاسى فى وجوده.
٢- يعزز من قيمة الإنسان وأهميته كموجود.
٣- يعمل على دعم القيم الاجتماعية للمجتمع ليظل أشد تماسكا.

ولا شك أن دوركايم يعتبر من أوائل العلماء الذين ركزوا على الوظيفة الاجتماعية للدين حيث جاء تفسيره للدين من زاوية الوظيفة الاجتماعية، ففكرة الله فى رأيه ما هى إلا مظهر التقديس الذى نتج عن تجمع الأفراد فى مجتمع أو جماعة ما ولذا يرى أن الدين لابد منه فى كل مجتمع لأنه ليس نتاج الحياة الاجتماعية ذاتها فقط بل هو مبدع لها فى نفس الوقت

وقد امتد فكر دوركايم إلى مالينوفسكى والذى ظهر فى دراسته للتروبرياند حيث اعتبر "الدين والسحر" مسئولين عن إعادة التكيف بين الإنسان والبيئة الطبيعية فى وقت الأزمات واعتبرهما أداة الأمن والطمأنينة للفرد والمجتمع (١٩) .

المراجع

١- محمد عبد المنعم نور، النظم الاجتماعية فى الإسلام، دار المعرفة، ط١، ١٩٧٩، ص٣٠

راجع أيضاً:

- الجمعية العربية لعلم الاجتماع، ندوة الدين فى المجتمع العربى: من ٤ إلى ٧ إبريل، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٩.

٢- المرجع السابق، ص ص ٣١-٣٣.

راجع أيضاً:

- نبيل السمالوطى، بناء المجتمع الإسلامى ونظمه: "دراسة فى علم الاجتماع الإسلامى"، دار الشروق، ط١، جدة، ١٩٨١.

٣- المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، المسح الاجتماعى الشامل للمجتمع المصرى، من ١٩٥٢ – ١٩٨٠، القاهرة، ١٩٨٥، ص ص ٦٧٥-٦٧٦.

٤- محمد عبد المنعم نور، مرجع سابق، ص ٢١.

راجع : محمد أحمد بيومى، على الاجتماع الدينى ومشكلات العالم الإسلامى، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢

٥- المرجع السابق، ص ص ٢٢- ٢٤

٦- زيدان عبد الباقى، علم الاجتماع الدينى، مكتبة غريب، ١٩٨١، ص ص ٥٤- ٥٥.

راجع:

- زينب رضوان، النظرية الاجتماعية فى الفكر الإسلامى: أصولها وبناؤها فىالقرآن والسنة، دار المعارف، ط١، ١٩٨٢.

٧- المرجع السابق، ص ص ٥٦ -٥٧.

٨- سامية مصطفى الخشاب، دراسات فى علم الاجتماع الـديني، الكتـاب الأول، علم الاجتماع الديني، درا المعارف، ط٢، ١٩٩٣، ص٥٣.

٩- المرجع السابق، ص ص ٥٤ - ٥٥.

راجع:

- براين تيرنر، علم الاجتماع والإسلام: دراسة نقدية لفكـر مـاكس فيبـر، ترجمة: أبو بكر أحمد باقادر، مكتبة الجسر، جدة، ١٩٩٠.

١٠- زيدان عبد الباقى، علم الاجتماع الدينى، مرجع سابق، ص ١٩٦.

١١- المرجع السابق، ص ١٩٧.

راجع:

- أحمد شلبى، موسوعة النظم والحضارة الإسلامية، المجتمـع الإسـلامى، الجزء السادس، كتبة النهضة المصرية، ١٩٨٦.

١٢- المرجع السابق، ص ص ١٩٨ - ١٩٩.

١٣- محمد عبد المنعم نور، النظم الاجتماعية فى الإسلام، مرجع سابق، ص ص ٢٧-٢٩.

راجع:

- محمد أركون، تاريخية الفكر العربى الإسلامى، ترجمة: هاشـم صـالح، ط١، بيروت، ١٩٨٦.

١٤- سامية مصطفى الخشاب، علم الاجتماع الدينى، مرجع سابق، ص ١٦.

١٥- مرجع سابق، ص ص ١٧ - ١٨.

١٦- المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، المسح الاجتماعى الشامل .. ، مرجع سابق، ص ص ٦٧٩ - ٦٨٠.

١٧- محمد عبد المنعم نور، مرجع سابق، ص ص ٢٤-٢٧.
١٨- سامية مصطفى الخشاب، علم الاجتماع الدينى مرجع ســابق ص ص ٢٦ - ٢٧
١٩- سامية مصطفى الخشاب، علــم الاجتمــاع الاســلامى، جـــــ١، دار المعارف،١٩٨١



الفصل الثالث
علم الاجتماع الديني عند الرواد

أولاً : ابن خلدون والدين

ثانياً : أوجست كونت- الدين وطفولة الإنسانية

ثالثا : دوركايم والدين

رابعاً : هربرت سبنسر- الدين والمبدأ الحيوي

خامساً : ماكس فيبر والدين

سادساً : هوبهوس- الدين والأخلاق

سابعا : وات والاتجاه المادي في دراسة الدين

ثامنا : ماركس- الدين والوعي الطبقي

تاسعا : نماذج أخرى



هنا نعرض لآراء بعض العلماء التي تعكس لنا وجهات نظر متباينة في نظرتها وتناولها للظاهرة الدينية أمثال ابن خلدون وكونت ودوركايم وسبنسر وماركس وغيرهم.

أولا: ابن خلدون والدين

تؤكد نصوص المقدمة على أن الدين احتل مكانة كبيرة في فكر ابن خلدون، فقد اعتبره (الدين) أساس الاجتماع الإنساني، فالاجتماع الإنساني عند ابن خلدون يقوم على أساسين بارزين هما:

العصبية والدين، إذ لولا العصبية والدين لما كان عندنا اجتماع إنساني سليم، و لكان البشر في هذه الحال يشبهون الحيوانات في معيشتهم وسلوكهم وأخلاقهم، ويظهر هذا المعنى في قوله:

"..... ينقل عن الكثير من السودان أهل الإقليم الأول أنهم يسكنون الكهوف، والفياض ويأكلون العشب، وأنهم متوحشون غير مستأنسين يأكل بعضهم بعضا، والسبب في ذلك...... أنهم لا يعرفون نبوة ولا يدينون بشريعة. فالدين مجهول عندهم والعلم مفقود بينهم، وجميع أحوالهم بعيدة عن أحوال الأناس قريبة من أحوال البهائم"

اعتبر ابن خلدون الدين عاملا من ضمن العوامل الأساسية المؤثرة في سير التاريخ وتطوره. فقد رأى ابن خلدون- باعتباره رجلا مسلما- أن هناك عناية إلهية تتحكم في القوانين التي تخضع لها الظواهر المختلفة، وهذا لا يتعارض مع اعترافه بوجود عوامل تتحكم في سير وتطور الحياة الاجتماعية والتاريخ مثل العامل الاقتصادي والطبيعة وقوانين الجبرية التاريخية فالعناية الإلهية فوق كل شيء ويمكن أن تتدخل لتغيير مجرى التاريخ.[١]

ويؤكد ابن خلدون بأن صلة الله بالعالم الإنساني ظاهرة في كل زمان ومكان، ويقول في المقدمة:

"والله سبحانه خلق ما في العالم للإنسان وأمتن به عليه"

ويشرح ابن خلدون أثر الدين على الحياة الاجتماعية بقوله:

"لما كانت حقيقة الملك أن الاجتماع الضروري للبشر. فوجب أن يرجع ذلك إلى قوانين سياسية مفروضة يسلمها الكافة ينقادون إلى أحكامها... فإذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء وأكابر الدولة وبصائرها كانت سياسية عقلية وإذا كانت مفروضة من الله بشارع يقررها ويشرعها كانت سياسية دينية نافعة في الحياة الدنيا وفي الآخرة" ويشير هذا النص إلى أن ابن خلدون يرى أن الدين يدفع بالتطور إلى الأمام ويجعل الحياة الإنسانية أفضل.

كان ابن خلدون برجع إلى الدين ليفسر به بعض حقائق التاريخ ويذكر في المقدمة ما يدل على ذلك في فصل بعنوان "إن الدعوة الدينية تزيد الدولة في أصلها قوة على قوة العصبية التي كانت لها من عددها"، "والسبب في ذلك كما قدمناه أن الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في أهل العصبية وتفرد الوجهة إلى الحق فإذا حصل لهم الاستبصار في أمرهم لم يقف لهم شيء لأن الوجهة واحدة... وهذا كما وقع لعرب صدر الإسلام في الفتوحات فكانت جيوش المسلمين بالقادسية واليرموك بضعا وثلاثين ألفا في كل معسكر وجموع فارس مائة وعشرين ألفا بالقادسية وجموع هرقل أربعمائة ألف فلم يقف للعرب أحد من الجانبين".

ويفسر ابن خلدون هذا الانتصار المذهل الذي حققه المسلمين ويرجعه إلى الدين، وهذا يؤكد أنه كان يرجع أحيانا للدين ليفسر بعض حقائق التاريخ.

ويتحدث ابن خلدون عن النبوة فيقول "أعلم أن الله سبحانه اصطفى من البشر أشخاصا فضلهم بخطابه وفطرهم على معرفته وجعلهم وسائل بينه وبين عباده يعرفون بمصالحهم ويحرضونهم على هدايتهم... وكان فيما يلقيه إليهم من المعارف ويظهره على ألسنتهم من الخوارق والأخبار والكائنات المغيبة عن البشر التي لا سبيل إلى معرفتها إلا من الله بواسطتهم ولا يعلمونها إلا بتعليم الله إياهم...".

والنبوة كما يراها ابن خلدون ظاهرة إنسانية اجتماعية، فالنبي كائن بشري وخصائصه خصائص إنسانية اصطفاه الله ليحمل رسالته، وهدف النبي اجتماعي فهو مرسل ليثبت في المجتمع مفاهيم جديدة من شأنها أن تغير طريقة حياته، كما تخلق فيه أنظمة جديدة واتجاهات جديدة. فالأنبياء – في نظر ابن خلدون– يلعبون دورا اجتماعيا كبيرا في التاريخ.

ويؤكد ابن خلدون على أهمية الدين بالنسبة للعرب ونهضتهم بل بالنسبة للدولة عامة ويظهر هذا فصل عقده في مقدمته بعنوان "في أن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية وأثر عظيم من الدين على الجملة".[٢]

ثانيا: أوجست كونت- الدين وطفولة الإنسانية

لقد طبع أوجست كونت علم الاجتماع منذ بدايته بفلسفته الوضيعة، ولا شك أن هذا انعكس على اتجاه علم الاجتماع الديني في مراحله الأولى، فالفلسفة الوضيعة تدعي أن الأخلاق الاجتماعية يجب أن تعامل كأشياء، وأن الباحثين في هذه الأشياء يجب أن يتبنوا مدخلا موضوعيا، وبهذا يمكن التوصل إلى تعليمات امبريقية تستمد منها القوانين المفسرة للمجتمع وظواهره. وهذه القوانين من نوعين الأول خاص بقوانين الاستقرار

الاجتماعي Social Statics والأخر خاص بقوانين التغير الاجتماعي Social dynamies وقدم لنا كونت قانونه الشهير المسمى بقانون الحالات الثلاث law of the three stages ليبين قيمة المراحل التي مر بها الفكر حتى بلغ الحالة الراهنة. فيشير قانون الحالات الثلاث إلى تقدم أو تطور تدريجي في الفكر الإنساني ينظر إليه كونت ككل. فالمجتمع ينتقل من الحالة الأولى والتي يتميز فيها فرع من فروع المعرفة بأنه يعكس نظريات أو آراء لاهوتية إلى المرحلة الثانية وفيها يفسر الفكر الإنساني كل الظواهر من خلال أفكار ميتافيزيقية مجردة، وأخيرا توصل الفكر الإنساني في مرحلته الثالثة إلى التفكير العلمي أو الوضعي كأساس لكل العمليات الفكرية. وهذه المرحلة الأخيرة، كما يرى كونت، تتميز بأنها نهائية وحتمية. فالتفكير الوضعي يفسر الظواهر بالقوانين التي تحكم عملها. وقد أعطى كونت فكرة واضحة عن الهدف النهائي للوضعية عندما أشار إلى كيف أنه في كل مرحلة من المراحل الثلاثة يبلغ الفكر الإنساني النقطة النهائية للتطور، وبعدها في المرحلتين الأولى والثانية يتم التحول والانتقال إلى المرحلة التالية فقد كانت قيمة التطور الذي وصلت إليه المرحلة اللاهوتية، هو تطور مفهوم التوحيد(٣) وفي نهاية المرحلة الميتافيزيقية توصل الفكر الإنساني إلي أن الطبيعة من أهم الأسباب المفسرة لكل الظواهر. وفي المرحلة الوضعية يمكن أن نتوقع أن كل الظواهر الخاصة تقع تحت الحقائق الكبرى مثل قانون الجاذبية الذي يفسر العديد من الظواهر.

وهذه المراحل الثلاثة ضرورية ويتبع كل منها الآخر، كما أن المرحلة اللاحقة تصحح أخطاء المرحلة السابقة . ويعتقد الوضعيون أن تقدم علم الاجتماع يعتمد أساسا علي رفض الناس البحث في المسائل التي لايمكن

الإجابة عليها مثل المعاني المطلقة وأصل وهدف الحياة ... الخ. لذلك ينادي الوضعيون بالالتزام بالإجابة علي الأسئلة العملية للأشياء الملاحظة. ولعل تقدم العلوم الطبيعية راجع أساسيا الي ابتعادها وانفصالها عن الاعتبارات الدينية والميتافيزيقية. ويري كونت أن علم الاجتماع يستطيع أن يحقق هذه العملية إذا جرد نفسه من هذه الاعتبارات. وبلا شك فقد ساعد هذا الاتجاه الوضعي علي ظهور نظريات تفسر الدين علي أنه نوع من التضليل الاجتماعي، أو نوع من التفكير والأفعال الرمزية أسيئ فهمها أو نسيت معانيها. ولهذا نجد كثيرا من النظريات التي تعبر أصلا عن الاتجاه الوضعي، مثل نظريات سبنسر، تيلور، فريزر، ودور كيم تتفق جميعا فيما بينها علي أن الناس لا يدركون في دينهم حقيقة خارج أنفسهم، ولكنهم نظرا لبعض جوانب الوجود الإنساني الغامضة ، يتخيلون وجود الأرواح والآلهة والقوي فوق الطبيعية ، وبهذا يخضع تفكيرهم للنواحي الانفعالية.

علي أية حال، فقد ساهم كونت في تحديد معالم الوضعية ، ولكنه لم يقدم لنا تفسيرا سوسيولوجيا للدين، بل علي العكس، فانه قدم تفسيرا دينيا للمجتمع. وكما كتب نيسبت Nisbet" أنه من الصعب عندما نقرأ أعمال كونت أن ندرك ماذا كان لاهوتيا أو عالما". فقد حاول كونت أن يحل الوضعية كدين جديد محل الأديان والاعتقادات الموجودة. وبالرغم من أن قانون الحالات الثلاثة قد يبدو وكأنه قانون أو نظرية علمانية فانه في رأي هيل Hill انقلب ليكون برنامجا للدفاع الديني [٤] .

ثالثا: دوركايم والدين

لقد عني دوركايم بدراسة الظاهرة الدينية، محاولا تفسيرها والتعرف علي نشأتها الأولي، ويمكن إجمال إسهام دوركايم في الدين في ثلاث نقاط أساسية:

١ – الأساس الاجتماعي للدين.

نظر دوركايم الي الأفكار والممارسات الدينية علي أنها تشير أو ترمز الي الجماعة الاجتماعية، كما اعتبر المجتمع هو المنبع الأصلي للدين، ولذلك عرفه بأنه "نسق موحد من المعتقدات والممارسات التي تتصل بشيء مقدس وهذه المعتقدات والممارسات تتحد في مجتمع أخلاقي واحد فريد يسمي الكنيسة ويضم كل الذين يرتبطون به".

فالدين يضم مجموعة من المعتقدات ، والممارسات في نسق شامل يحقق القداسة للأشياء المحرمة. وهذه المعتقدات توجد بين الأفراد وتخلق مجتمعا أخلاقيا، أي الإسهام الجمعي في المعتقدات يعتبر شرطا أساسيا لوجود الدين.

ومن التعريف السابق نري أن دوركايم قسم الأشياء والظواهر الي مجموعتين مختلفتين هما :المقدس Sacred والدنيوي Profane ويشير المقدس– كما يري دوركايم– إلى أي شيء عرف اجتماعيا علي أنه يتطلب معالجة دينية خاصة . ويتكون المقدس كذلك من التصورات الجمعية التي تعبر عن الحقائق الجمعية ، والأشياء المقدسة لايمكن أن تتخذ صورة قاطعة في كل زمان ومكان ذلك أنها تختلف طبقا لاختلاف الديانات. ويؤكد دوركايم علي أن الأشياء المقدسة هي الدينية في مظهرها ولكن اجتماعية في مصدرها[٥] .

٢ – محاولة الوقوف علي الصورة الأولي للدين.

لكي يقدم لنا دوركايم نظرية اجتماعية عن الدين ، حـــاول أن يقــف علي أبسط الصور الدينية في المجتمعات البدائية. ولذلك بدأ بنقد النظريـــات الفردية والسيكولوجية عن الدين وخاصة النزعة الحيويـــة عـــن سبنـــسر، والنظرية الطبيعية عند ماكس مولر. فالنظريات الأولي تحـــاول أن تفـــسر ظهور المعتقدات الدينية عن طريق بعض العوامـــل البيولوجيـــة كـــالأحلام والرؤيا، بينما تذهب النظريات الثانية الي أن الدين يرجـــع الـــي العوامـــل الطبيعية والكونية. ويري دوركايم أن هذه النظريات فشلت في تقديم تفـــسير للدين، والتمييز بين ماهو مقدس وماهو دنيوي.

ويقرر دوركايم أن الديانة التوتمية هي الصورة البسيطة للدين.

وفي هذه الديانة يعتبر التوتم هو الرمز الذي تتخذه العشائر البدائيـــة لنفسها سواء أكان مستمدا من المملكة الحيوانية أو النباتية أو القوي الطبيعية أو الجماد. وأهم العناصر في التوتمية أن أفراد العشيرة يعتقدون أنهم متحدون فعلا من هذا التوتم، فهو الأصل في وجودهم ، ويترتب علي ذلك أن الأفراد الذين ينتمون الي نفس التوتم يعتبرون أنفسهم أقارب فيما بينهم. ومعني ذلك أن القرابة لاتقوم علي أساس وحدة الدم وإنما تربط أفراد القبيلة وحدة قرابة معنوية تقوم علي أساس اشتراكهم في نفس العادات والتقاليد والطقوس الدينية التي يلتزمون بأدائها نحو التوتم– وتقوم الديانة التوتمية علي أساس تقـــديس توتم العشيرة تقديسا يحرم لمسه إذا كان جمادا إلا في مناسبات دينيـــة، كمـــا يحرم قتله أو صيده إذا كان من المملكة الحيوانية، ويحرم أكله إذا كان مـــن المملكة النباتية.

ويؤكد دوركايم أن حياة الجماعة هي المصدر المنشئ للدين وأن الأفكار والممارسات الدينية إنما تشير أو ترمز الي الجماعة الاجتماعية. فالرموز الدينية لايمكن أن تشير الي البيئة الطبيعية أو الطبيعة الانسانية . ولكنها تشير الي الواقع الاجتماعي.

٣ – الوظيفة الاجتماعية للدين:

يري دوركايم أن الدين يؤدي وظيفة أساسة في الضبط الاجتماعي داخل المجتمع . فكل ديانة إنما ترتكز علي عدد من السلوكيات المباحة وعدد آخر من السلوكيات المحرمة. ورأي دوركايم أن نظام التحريم الذي نشأ عن الديانة التوتمية يعتبر الأساس في الضبط الاجتماعي. فهو نوع من التحريم الاجتماعي الذي يستند الي أساس ديني. فالوظيفة الأساسية للدين عند دوركايم هي خلق وتدعيم الاحتفاظ بالتضامن الاجتماعي [٦]

رابعا : هربرت سبنسر- الدين والمبدأ الحيوي:

لعل دراسة سبنسر عن الانتقال من الجماعات المتجانسة ذات المجال الصغير الي الجماعات اللامتجانسة والمعقدة ذات المجال الواسع هي بمثابة بداية لنظرية المبدأ الحيوي animism وتعني عبادة كثيرة من الأرواح المختلفة والقوي المقدسة بين البدائيين في مرحلة تعدد الآلهة والتي يمكن أن نجدها في الحضارات القديمة. وتدور المناقشات في هذه النظرية حول ثلاثة موضوعات رئيسية، الأول يدور حول عمومية الطوطمية totemism وتمثل هنا أكثر الأشكال الأولية للدين، والأمر الثاني مرتبط بالعلاقة بين الدين والسحر magic والعلم وأخيرا الاهتمام بإمكانية وجود النظرية الحيوية animatism، أي الاعتقاد في القوي اللاشخصية المقدسة بدلا من الأرواح المجسمة وذلك بالمراحل الأولى.

وقد أشار سبنسر الي أن ظواهر مثل الموت والأحلام والنوم تعطي أحساسا بوجود الروح منفصلة عن الجسم الذي تحركه، والانفصال المؤقت للروح عن الجسد أثناء النوم يفسر ظواهر الأحلام ، فالموت هو انفصال دائم للروح إلى مثوى آخر فأرواح وأشباح الموتى – يجب أن تسترضي تماما كما يتلقى الأحياء الاحترام لمكانتهم. كما تقدم الهدايا ومن ثم القرابين والتضحية لهم. وقياسا علي ذلك تحتوي الأجزاء غير الإنسانية من البيئة مثل الشمس والمطر والأنهار والعواطف علي أرواح محركة وتصبح مثوى للأشباح الإنسانية. فهذه الأرواح التي تؤثر في رفاهية الانسانية يجب أيضا أن تحظي بالاسترضاء والعبادة.

وتري هذه النظرية التي يشارك فيها تليور أيضا، أن أصل الدين.

يمكن أن نجده في حب الاستطلاع الفكري عند الإنسان، وفي قدرته علي عقد مماثلات والخروج منها بتعميمات. فالاعتقاد الديني الأول للإنسان، كان بلا شك في الأرواح المشخصة وليس في القوي اللامشخصة لان المبدأ الذي يعطيه الحياة هو الروح. ولكن هذه الاعتقادات تظل محل اختبار من التجربة الانسانية وتخضع لقاعدة المحاولة والخطأ وبالتدريج فان إرضاء التعطش الفكري يقتضي احلال هذا الاعتقاد بالايمان في قليل من الآلهة أو الكائنات التي لها مسئولية عن قطاع كبير من الظواهر أو مصير الجماعة ككل، وفي مرحلة متأخرة قد يتوصل الإنسان بالخيال الي الاعتقاد بوجود قوي مقدسة تحكم العالم وتخلق نظاما يجب أن يفهمه الإنسان [٧] .

خامسا : ماكس فيبر والدين.

لاشك أن إسهام ماكس فيبر في مجال الدين يعد أسهاما نظريا عظيما فقد اهتم فيبر بدراسة العلاقة بين الدين والاقتصاد وكان يرمي من وراء هذه

الدراسة الي الكشف عن طبيعة العلاقة بين الظاهرين. فهو كـــان يريـــد أن يتحقق هل الظاهرة الاقتصادية تحدث تأثيرها علي الظاهرة الدينية كما ذهب الي ذلك أصحاب التفسير المادي، أم أن الظاهرة الدينية تؤثر علي الظـــاهرة الاقتصادية؟

أم أن هاتين الظاهرتين يتبادلان التأثير والتأثر. وقد توصل فيبر من دراساته الي أن هناك تأثيرا متبـــادلا بـــين الظـــواهر الدينيـــة والظـــواهر الاقتصادية.

ولقد انصب اهتمام فيبر علي دراسة الأخلاقيات الاقتـــصادية للـــدين ويقصد بالأخلاقيات الاقتصادية: ما يؤكد عليه الدين من قـــيم اقتـــصادية – وتناول الأخلاقيات الاقتصادية لست ديانـــات عالميـــة هـــي: الكونفوشـــية، والهندوكية، والبوذية، واليهودية، والمسيحية، والإسلام، ثـــم درس طبيعـــة الأخلاقيات الاقتصادية، في كل منهما، وأثارها علـــي التنظـــيم الاقتـــصادي والحياة الاجتماعية للشعوب التي تنتمي الي هذه الديانات.

وعندما حلل العلاقة بين الرأسمالية الحديثة والعقيدة البروتـــستانتية ، ذهب فيبر الي أنه علي الرغم من وجود عناصر متعددة لما يسمي بالاقتصاد الرأسمالي في الماضي في كثير من المجتمعات غير الأوربية إلا إننا نلاحظ أن الرأسمالية الغربية الحديثة تمثل ظاهرة فريدة حيث تتمثـــل خصائـــصها الأساسية في المشروع الاقتصادي القائم علي التنظيم الرشيد، والـــذي يـــتم إدارته وفقا لمبادئ عملية تؤكد علي الكفاءة في العمل لأن العمل في المجتمع الرأسمالي الحديث شيئا أساسيا وهدف يعيش الإنسان من أجله. وبجانب تأكيد الرأسمالية الحديثة علي التفوق في العمل. فإنها تتضمن نزعة رشيدة ونفعية . كما أنها تثير المبادئ والقدرة علي الاختراع. وترفض رفضا تامـــا النزعـــة

التقليدية والخيالية أو اللاعقلية. فالرأسمالية الحديثة نشاطا رشيدا يؤكد علـــي النظام والترتيب . ويتطلب كذلك وجود أفراد يتميزون بـــسيكولوجية معينـــة وسلوك معين – فالتنظيم الرأسمالي لا يتحقق في مجتمع يتسم أفراده بالكسل ويتمسكون بمعتقدات خرافية ، ويتميزون بعدم الكفاءة – إنما يحب أن يتميزوا بالسلوك المنظم والأمانة، والمثابرة والكفاية والصدق والإخلاص (٨) .

وقد توصل فيبر الي إن الرأسمالية الحديثة قد نشأت من خلال العقيدة البروتستانتية وأخلاقياتها الاقتصادية، فروح الرأســمالية هـــي نفــسها روح العقيدة البروتستانتية . بما تتضمنه من سلوك وأخلاقيات عملية.

ولقد توصل فيبر الي هذه النتيجة من خلال تحليل دقيق لتعاليم مارتن لوثر Luther وكالفن Calvin فروح البروتستانتية كمـــا تبـــدو أخلاقياتهـــا العملية في الحياة اليومية ، تطابق في الواقع روح الرأسمالية الحديثة. ذلك أن العقيدة البروتستانتية تهتم اهتماما بالغا بتنشئة الفرد تنشئة رشيدة، وهي تمنح المهنة قيمة أخلاقية كبيرة ، كما أنها تقدس العمل، بل وتعتبر أن تأدية العمل بطريقة شريفة نشاطا ذكيا.

وحاول فيبر تأييد استنتاجه من خلال تحليل تـــاريخ بعــض الـــدول البروتستانتية فمنذ عصر الإصلاح كانت الدول الرائدة اقتصاديا ، هي تلـــك التي تسودها العقيدة البروتستانتية مثل هولندا، وانجلترا، وأمريكا. بينما ظلت الدول الكاثوليكية أو غير البروتستانتية مختلفة نسبيا، وقد فسر فيبر ذلك بأن العقيدة البروتستانتية في تلك الدول، كانت تدعيما وتثبيتا لأشكال النشاط التي تعتبر ضرورية لإقامة وإدارة المشروعات الرأسمالية الحديثة . وقد دعمـــت البيانات الإحصائية أراء فيبر. وأوضحت أن السكان البروتستانت في ألمانيا تتميز حالتهم الاقتصادية بأنها أفضل عنها من غير البروتستانت.

وإذا كان فيبر أثبت أن الديانة البروتستانتية تساهم في ظهور النظام الرأسمالي الرشيد ، فقد حاول أن يثبت مـن دراسـته للإسـلام أن بنـاءان المجتمعات الإسلامية لا تتضمن العناصر البنائية الضرورية القـادرة علـي بلورة نظم رأسمالية متطورة، لان نظرة فيبر للإسلام كانت متحيزة وقاصرة، وقد تأثر كثيرا بالأفكار العامة التي كانت سائدة في أوربا خلال القرن التاسع عشر، وهي الأفكار التي تميل الي وصف المجتمعات الشرقية بعدم الاستقرار السياسي والاقتصادي، فضلا عن الجمود الفكري والتخلف الثقافي [٩] .

سادسا: هوبهوس – الدين والأخلاق:

يتمثل إسهام هوبهوس في علم الاجتماع الديني أساسا في بحثه عـن المبادئ الخاصة بالتطور الاجتماعي والذي لم يحاول فيه أن ينكر إسـهامات سبنسر، إسهامات سبنسر، ولكنه حاول أن يضيف ويفسر المميزات والعيوب الخاصة ببحث العلاقة بين التباين والتنظيم . ويري هوبهوس أن الحركة من البسيط للمركب يمكن أن تحلل الي أربعة حركات مختلفة، امتداد في المجال، زيادة في الفاعلية، زيادة في التكافل أو التعاون بين الأعضاء المعتمدين علي بعضم بعضا في المجتمع وأخيرا زيادة في حركة الأعضاء لاختيار أدوارهم في الكل المعتمد والمتباين. والتقدم في المجال يسير مع التقـدم والفاعليـة، ولكن تأثير هذه التغيرات غالبا ما يحد من حرية واردة الأفراد في التعـاون. وقد يمكن فرض وتدعيم التعاون ولكن كلما زاد احتمـال وجـود العـصيان واللامبالاة ولاشك أن هذا يمنع التقدم علي مستوي المجال والفاعلية. هكـذا، فان التطور الاجتماعي لا يسير في الاتجاه التقدمي، والتجارب مستمرة فـي تحديد الأهداف العامة وإنجاز الحرية في المجتمعـات الواسـعة والمتميـزة بالتقدم التكنولوجي ولكنها للأسف لم تحقق المطلوب. ولكن هوبهوس يري أن

الإنسان يعود مرة أخري الي نفس المهمة، ذلك لان هذا من طبيعته الجوهرية أن يبحث في تحقيق التوازن والتماسك للأنشطة والتي يناضل الإنسان مـــن أجلها في حياته الفردية. أو بمعني آخر أنه طالما أن الناس كائنات اجتماعية، فإنهم لا يستطيعون تحقيق التوازن في حياتهم إلا إذا كانت مجتمعاتهم هـــي أيضا متوازنة، وطالما أن هناك مجتمعين في حالة احتكاك فان هذا الاحتكاك يجب أن يكون متوازنا طالما أن هدفهما ليس إحباط كفاح الأعضاء في أحـــد أو في كلا المجتمعين [١٠] .

سابعا : وات Watt والاتجاه المادي في دراسة الدين.

لو حاولنا تلخيص موقف النظرية المادية من الدين وجدنا أنها تقـــوم أساسا علي تبعية الظواهر الدينية للظواهر الاقتصادية والمادية. وتعتبر ثمرة من ثمرات النشاط الإنساني. فتاريخ الإنسان لايعدو أن يكون صراعا بـــين مظاهر هذا النشاط المحتدم بين مختلف المستويات المادية، ولما كان التفكير يرتبط دوما بالعمل، لذلك كان البناء الاجتماعي مرتكـــزا علـــي العلاقـــات الاقتصادية المادية. ومن هنا فأنها تنعكس في مظاهر النشاط الاجتماعي بما في ذلك المجال الديني والخلقي والثقافي.

وإذا كانت طريقة الإنتاج تحـــدد بوجـــه عـــام العلاقـــات الماديـــة والاقتصادية بين الناس، فأنها في الوقت نفسه تنبت المبادئ والأفكار الدينيـــة الملائمة لوجودها.

ويتمثل هذا الاتجاه المادي الذي يبرز أهمية دور العوامل المادية في نشأة الدين عند وات Watt فقد ذهب إلى إننا لا نـــستطيع أن ننكـــر تـــأثير العوامل الاقتصادية في مجرى التاريخ بصفة عامة، وفي الحركات الدينيـــة بصفة خاصة فهو يري أن وراء كل حركة دينية تكمن تغيرات اقتـــصادية،

وقد طبق وات اتجاهه المادي في تفسير نشأة الديانة الإسلامية . ففي كتابه "الإسلام وتكامل المجتمع" أخذ يحلل الأوضاع الاقتصادية والتغيرات التي حدثت في وسائل الإنتاج قبل ظهور الإسلام، وذهب إلى أن هذه التغيرات هي التي أدت الي ظهور الإسلام.

وقد تتبع نشأة الديانة الإسلامية في كل من مكة والمدينة مركزا علي التغيرات الاقتصادية، فقد ذكر أن التغيرات الاقتصادية التي ظهرت في مكة تكمن في التحول من حياة الرعي والترحال nomadism الي التجارة، وقد ترتب علي هذا التحول عديد من النتائج.

- ضعف التماسك داخل الجماعات ليس فقط المعرفة بالقبيلة tribe أو البطن clan ولكن ايضا داخل الأسرة الصغيرة، لان حياة الرعي في – الصحراء كانت تستلزم لبقائها ضرورة وجود التماسك والتضامن.
- تكوين الملكيات الفردية والواسعة: فقد كرس زعماء القبائل جهدهم في تكوين ملكيات خاصة بهم – ولما كانت الثروة في مرحلة الرعي تتمثل في ملكية الجمال والأغنام، وبالتالي كانت ملكية الفرد محدودة بعدد معين من الجمال والأغنام، وبالتالي كانت ملكية الفرد محدودة بعدد معين من الجمال حتى نستطيع رعايته – بينما التحول الي التجارة مكن بعض الأفراد من تكوين ثروات واسعة متمثلة في الأشياء الكمالية التي يمكن تخزينها بسهولة.

وقد صور "وات" الوضع في مكة عام ١٦٠. بأن هناك قلة من التجار الأغنياء تزداد ثروتهم الشخصية ، ولم يقوموا بالتزاماتهم تجاه أفراد قبائلهم الذين هم أقل منهم ثروة. هذا بالإضافة الي أن رأس المال الذي يستغلة زعماء القبائل هو ملك للجماعة ، ورغم ذلك فان فائدته تعود علي

هؤلاء القلة الغنية بينما يظل باقي الأفراد في حالة من الفقر . ويقــرر وات بأن مشاعر الحقد الطبقية في مكة في تلك الفترة لــم تكــن بــين الأغنيــاء والفقراء، وإنما كانت بين شديدي الثراء وبين متوسطي الثراء (١١) .

ثامنا : ماركس – الدين والوعي الطبقي:

لاشك أن ماركس قد أسهم بطريقة غير مباشرة في إثــارة الاهتمــام بمكانة الدين في المجتمع. إذا يري ماركس أن الانتقال نحو المجتمع المركب يحمل في معناه الانتقال نحو الصراعات الاجتماعية، صرا عــات مــصالح الجماعات أو الطبقات الاقتصادية. ولم يكن اهتمام ماركس بالدين فــي كــل المجتمعات، ولكن اهتمامه الأساسي كان بالدور الــذي يلعبــه الــدين فــي المجتمعات ذات الطبقات الواضحة وكيف يسهم في إخماد أو نمــو الــوعي الطبقي بين أفراد الطبقة المستغلة. وقد لخص ماركس أفكاره عن الدين فــي عبارته الشهيرة: "أن الدين هو أنين الكائن المضطهد ، وقلب العــالم عــديم الرحمة ، وحس الظروف القاسية ، انه أفيون الشعب". والحــق أن إنجلــز Engles هو الذي حاول أن يبين العلاقة المحددة بــين الظــواهر الدينيــة والتقسيمات الطبقية في مجتمعات معينة. فحاول، علي سبيل المثال، أن يفسر الانتشار المبكر للمسيحية من خلال نمو البروليتاريا الاحرار والعبيد في مدن الإمبراطورية الرومانية – اليونانية، كما حاول أيضا أن يحلل حرب الفلاحين الألمان في القرن السادس عشر والتي استخدم الفلاحون فيها الرموز الدينيــة والتفوا حول قائد كجزء من مواجهتهم للاقطاع. باختصار فــان كــلا مــن ماركس وانجلترا أراد أن يبين أن الدين يمكن أن يكون وسيلة للاعتــراض والقبول والخضوع ولذا فقد حاولا تمييز الظروف التي يظهر أو يمكن فيهــا الصراع الطبقي من خلال تبريرات دينية (١٢) .

تاسعا : نماذج أخري.

١- يعتبر النموذج الفرو يدي من أكثر النماذج انتشاراً في الدراسات السيكولوجية. وينظر فرويد إلي الدين مثل نظرة ماركس علي أنه شئ مخدر يعطي معني زائفاً لعالم بلا قلب Heartless World، فإن فرويد يري أن بقاء واستمرار الدين وجهاً لوجه للتفسيرات العلمية شئ طبيعي لأن قوة الدين له القدرة في إشباع رغبات الإنسان ليجعل العالم يشبه ما يتمني أن يكون عليه كما أنه في الوقت نفسه ضابط لرغباته.

يري فرويد أن هناك صراعا دائماً بين الميول الغريزية وبين الميول الإنسانية ، أي أن هناك صراعاً بين الدوافع الذاتية الفردية، وبين الدوافع الغيرية الجماعية، وعادة ما ينتهي هذا الصراع بغلبة الدوافع الإنسانية ، والحد من فاعلية الميول العدوانية الغريزية. وهكذا تنشأ النظم المقيدة لهذه الدوافع الأنانية ، مما يتمثل في نظم التابو السائدة في المجتمعات الإنسانية. علي هذا الأساس يميز فرويد بين الجانب الفطري الموروث من الدوافع الغريزية في صورتها الهمجية ويطلق عليها "الإد Id" وبين الجانب المكتسب من العمليات العقلية التي استقرت في اللاشعور التي ترجع إلي التعاليم الدينية والخلقية، التي تعمل علي قمع ما تري أنه يتنافي مع الآباب العامة ، ويطلق علي هذا الجانب اسم "الذات الواقعية Ego" هي التي تحاول أن توفق بين مبدأ اللذة أو النزعات الدنيا، وبين مقتضيات الوسط الاجتماعي فتمثل في الفرد ما يطلق عليه بالذات العليا Super Ego، وتتبلور فيها مجموعة الأوامر والنواهي، والمثل التي كان يلقاها الفرد من مصادر دينية أو اجتماعية، وهي التي تحول الميول العدوانية إلي دوافع للترابط ، والوفاق الاجتماعي بالرغم من وجود نوازع الكراهية الكامنة بين الذات الفردية،

والذوات التي تحاول فرض إرادتها عليه وبفضل هذه الذات العليا يحاول الفرد أن يتمثل النظم الاجتماعية، ويحترم أصحاب السلطة ويبجل كبار السن(١٣) .

٢ – مالينوفسكي Malinowski يذهب الي أن المعرفة الوضعية وإجراءاتها غير كافية أو شاملة لتفسير كل الظواهر طالما أن هناك باستمرار منطقة غير واضحة وخارجة عن تحكم الإنسان، وهي منطقة الأديان والسحر(١٤) .

ويعد مالينوفسكي أحد الرواد الأنثربولوجيين الأوائل، الذين قضوا فترة طويلة في المجتمعات البسيطة . وقد ذهب مالينوفسكي إلي أن الأفراد لا تستطيع تنظيم المجتمع بدون معرفة مرتكزة علي الملاحظة والعقل وأن الدين والسحر ليست أشكالاً بدائية من المعرفة، ولكنها مكملة للمعرفة العلمية فهي تنجز وظائف سيكولوجية فالمعرفة العلمية لا يمكن أن تكون كافية كلياً. فما ينتاب الإنسان من مخاوف وأخطار (مثل ظواهر الأمراض والموت) دفعا الإنسان إلي خلق طقوس سحرية.

ويري مالينوفسكي أن الدين والسحر استجابات للضغوط العاطفية، والدين لا يستمد أساسه من المجتمع نفسه ، ولكن من الحاجة إلي مجتمع مستقر يجد إجابة لحاجات أفراده العاطفية. فالوظيفة الأساسية للدين عند مالينوفسكي هي خلق "اتجاهات قيمية عقلية Valuable mental attitudes" فالطقوس المرتبطة بالموت تعمل علي تقوية الرابطة بين الأحياء بعضهم ببعض ، كما تحميهم من حالة إنعدام المعني المحيط بالحياة الاجتماعية فالدين قوة هامة للضبط الاجتماعي وهذا لا يرجع إلي أنه منبثق من المجتمع، ولكن لأنه يقدم للأفراد الإجابة والانضباط التي يحتاجون إليها في أوقات أزماتهم.

وقد قادت النزعة السيكولوجية الوظيفية مالينوفسكي إلي القول بالرغم أن معظم الأديان تمارس بصورة مجمعة أي فــي إطــار جمــاعي وتهــتم بالمجتمع . فإن في الشعوب البدائية يوجد بعض التجارب الدينيــة الخاصــة (سببها حاجات فردية شأنها شأن الحاجات الاجتماعية) [١٥] .

المراجع
١- سامية مصطفى الخشاب، علم الاجتمـــاع الإســـلامي، دار المعـــارف، ١٩٨١، ص ص ٢٣- ٢٤

- انظر: حول الحركة الإسلامية، عبد الله النفيسي (تحرير وتقديم) وآخرون، الحركة الإسلامية: رؤية مستقبلية أوراق في النقد الذاتي، مكتبة مـــد بـــولي، ط١، ١٩٨٩.

٢- المرجع السابق، ص ص ٢٤- ٢٥

- انظر حول الدين والسياسة، مصطفى الفقي، الإسلام في عالم متغير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣، ص ص ٧- ١٥.

٣- محمد أحمد بيومي، علم الاجتماع الديني ومشكلات العالم الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢، ص ١٢٨

٤- محمد أحمد بيومي ، علم الاجتماع الديني ومشكلات العالم الإســـلامي ، مرجع سابق و ص ص ١٢٩ - ١٣٠ .

٥- سامية مصطفي الخشاب ، علم الاجتماع الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٢٦ .

٦- سامية مصطفي الخشاب ، المرجع السابق ، ص ص ٢٧ - ٢٨ .

٧- محمد أحمد بيومي ، علم الاجتماع الديني ، دار المعرفة الجامعية ، ط ٢ و ١٩٨٥ ، ص ص ٩٦ - ٩٧ .

٨- سامية مصطفي الخشاب ، علم الاجتماع الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ص ٢٨ - ٢٩ .

٩- المرجع السابق ، ص ٣٠ .

١٠- محمد أحمد بيومي ، علم الاجتماع الديني ومشكلات العالم الاسلامي ، مرجع سابق ص ص ١٣٤ – ١٣٥ .

١١- سامية مصطفي الخشاب علم الاجتماع الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ص ٣٠ – ٣١ .

١٢- محمد أحمد بيومي ، علم الاجتماع الديني ومشكلات العالم الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ١٤٥ .

١٣- سامية مصطفي الخشاب ، دراسات في الاجتماع الديني ، الكتاب الأول، علم الاجتماع الديني ، دار المعارف ، ١٩٩٣ ، ص ٦٥ .

١٤- محمد أحمد بيومي ، علم الاجتماع الديني ومشكلات العالم الإسلامي ، مرجع سابق ، ص ٦١ .

١٥- سامية مصطفي الخشاب ، دراسات في علم الاجتماع الديني ، الكتاب الأول ، مرجع سابق ، ص ٦١ .

الفصل الرابع
مناهج البحث في علم الاجتماع الديني

أولاً : المنهج التاريخي

ثانياً : المنهج المقارن

ثالثا : المنهج التجريبي

رابعاً : المنهج الإحصائي

خامساً : منهج المسح الاجتماعي

سادساً : المنهج التقويمي أو المعياري

مقدمه

تتطلب الدراسة العلمية للدين جمع المادة الواقعية عن الموضـــوعات المتعلقة بالجوانب الدينية ، استخدم عديد من المناهج المختلفة. ونظراً لطبيعة الدين كموضوع للدراسة – يواجه الباحث عديداً من المــشاكل المنهجيـــة ، ويصدق هذا علي وجه الخصوص في الناحية التجريبية . فهناك اعتبـــارات أخلاقية تحول دون الاختبار ، والضبط التجريبي لكثير من أنـــواع الـــسلوك الديني . ونشير إلي المناهج المختلفة التي تستخدم في دراسات الدين .

أولا: المنهج التاريخي

استخدم كثير من الباحثين الاجتماعيين المادة التاريخية بحثـــاً عـــن أنماط التفاعل بين الدين والمجتمـــع . واســـتخدامات الاجتمـــاعيين للمـــادة التاريخية تختلف عن استخدامات التاريخيين Historians للمـــادة نفـــسها . فالتاريخيون يسعون لتقديم وصف تفصيلي عن المواقف التاريخية وأحيانـــاً يسعون لتوضيح : أن ظروفاً معينة قد نتجت من مجموعة مواقـــف محـــددة والاجتماعيون يهتمون بجعل موقف اجتماعي محدد غالباً يكـــون مـــصحوباً بمواقف أو ظروف أخري مشابهة ، فرجل الاجتماع عادة يبحث عن نمط – قاعدة عامة – في العلاقة بـــين الوقـــائع الاجتماعيـــة وســـمات التـــدين . فالاجتماعي يهدف إلي تطوير تعميم أو نظرية تفسر هذه العلاقة ليس فقط في ظل ظروف محددة ، ولكن في جميع الحالات. هذا المدخل أدي إلـــي نمـــط النظريات الخاصة بتطور الدين ، وأيضاً تطور البيانـــات عـــن الجماعـــات الدينية، وقد استخدم المنهج التاريخي في كثير من دراســـات الـــدين . فقـــد استخدمه بارسونز وبيلا في تفسير تطور الدين ، كما استخدمه بيرجر فـــي وصف انحسار الدين في المجتمعات الحديثة ، وكذلك استخدمه روزيرونلسن Ruether& Nelson في دراسة العنصرية والتدين. [١]

ويستخدم المنهج التاريخي في مجال البحوث الاجتماعية للوصول إلي المبادئ والقوانين العامة عن طريق البحث في أحـــداث التـــاريخ الماضـــية وتحليل الحقائق المتعلقة بالمشكلات الإنسانية والقوي الاجتماعية التي شكلت الحاضر.

ونحن برجوعنا إلي التاريخ لا نحاول تأكيد الحوادث الفرديـــة ، ولا نهدف إلي تصوير الأحداث والشخصيات الماضية بصورة تبعث فيها الحياة من جديد ، وإنما نحاول تحديد الظروف التي أحاطت بجماعه من الجماعات أو ظاهرة من الظواهر منذ نشأتها لمعرفة طبيعتها وما تخضع له من قوانين.

ويعتبر ابن خلدون وفيكو وسان ســيمون وأوجــست كونــت مــن المفكرين الاجتماعيين الذين تنبهوا إلي أهمية المــنهج التــاريخي فطــالبوا باستخدامه في مجالات البحوث الاجتماعية.

وفي مجال علم الاجتماع الــديني نجــد إن كثيــرا مــن البــاحثين الاجتماعيين استخدموا المادة التاريخية بحثا عن أنماط التفاعل بين المجتمع والدين ، ومما هو جدير بالذكر أن استخدامات الاجتماعيين للمادة التاريخيـــة تختلف عن استخدامات التاريخيين للمادة نفسها فعالم الاجتماع عادة يبحــث عن نمط العلاقة بين الوقائع الاجتماعية وسمات التدين.

وقد استخدم بعض علماء الاجتماع المنهج التاريخي في دراسة الدين وتطوره ومن هؤلاء العلماء تالكوت بارســونز T . Parsons، وبــيلا R. Bella وتشير سامية الخشاب إلي أن بيلا أوضح أن هناك خمــس مراحــل تطورية للدين هي:-

١ – مرحلة الدين البدائي:

وهي أبسط أشكال الدين بدائية وتظهر عند قبائل استراليا الأصـــليين والدين في هذه القبائل يعضد الاستقرار في البناء الاجتماعي وان الـــدين لا يعمل علي إحداث التغيير الاجتماعي Social Change.

<u>٢ – مرحلة الدين القديم:</u>

وفى هذه المرحلة توجد علاقة قوية بين الدين والسياسة، وان العلاقة القوية بين الدين والسياسة تدفع أحيانا إلى تقديس الحاكم.

<u>٣ – مرحلة الدين التاريخي:</u>

إن السمة المميزة لمرحلة الدين التاريخي هي الفصل والتمييز بـــين العالم المقدس والعالم العلماني.

<u>٤ – مرحلة الدين المعاصر المبكر:</u>

وتستمر في هذه المرحلة رؤية العالم مع ازدياد استقلال المؤســسات الدينية.

<u>٥ – مرحلة الدين المعاصر:</u>

وفي هذه المرحلة يمر الدين بتحول يتضمن مزيدا من الخــصوصية وقليلا من الضبط التنظيمي .[٢]

<u>استخدامات المنــهج التــاريخى فى دراســة الـــدين بـارسونـز وبـيلا :</u>

<u>دراسة تطور الـديـن:</u>

عالج بارسونز وبيلا تطور الدين ، ونظراً إلي أن الدين في تطوره يزداد تبايناً وتفرداً عن بقية نظم المجتمع ، ويذهب بارسونز إلي أن ازديـــاد التيار العلماني المصاحب لتطور الدين لا يعني انحسارا أو اختفاء للدين ولكن يعني أن الدين في تطوره يزداد خصوصية. ويؤكد بارسونز علي أن الـــدين

مازال شيئاً هاماً بالنسبة للأفراد. وأن التدين الفردي سوف يستمر في التأثير علي السلوك العام. كما أن المسيحية لها تأثير كبير علي المجتمع الغربي.

وقد وضع بيلا خمس مراحل تطورية للدين:

١ – مرحلة الدين البدائي: وهي أبسط أشكال الدين بدائية، وتظهـر عند القبائل البدائية لسكان أستراليا الأصليين. وفي هـذه المرحلـة لا يوجـد انفصال بين الأدوار الدينية والبناء الاجتماعي. أو المنظمات. فالـدين لـيس جزءاً منفصلاً عن الثقافة. ولذلك فهو يخدم وحدة الثقافة ويعظم من الاستقرار في البناء الاجتماعي. فالدين في هذه المرحلة لا يعمل علي وجـود التغيـر الاجتماعي.

٢ – مرحلة الدين القديم: في هذه المرحلة هناك علاقة قويـة بـين الدين والسياسة والدين في هذه المرحلة يعمل علي استمرار الثبـات داخـل المجتمع. والعلاقة القوية بين الدين والسياسة تدفع – في بعض الأحيان – إلي تقديس الحاكم ، فنسق الرموز الدينية ليس مستقلاً عن نسق الرموز العلمانية، لذلك الرؤية الدينية للعالم – في هذه المرحلة – لم تقدم بديلاً لما هو سائد في الثقافة.

٣ – مرحلة الدين التاريخي: إن الـسمة المميـزة لمرحلـة الـدين التاريخي هي الفصل والتمييز بين العالم المقدس والعـالم العلمـاني، فهـذه المرحلة تعني تطوراً في الدين، والدين في هذه المرحلة أصبح مصدراً للتغير الاجتماعي والثقافي.

٤ – مرحلة الدين المعاصر المبكر: تستمر في هذه المرحلة ثنائيـة رؤية العالم مع ازدياد استقلال المؤسسات الدينية، وقد حدد بيلا بدايـة هـذه المرحلة بالإصلاح البروتستانتي.

٥ – **مرحلة الدين المعاصر:** يري بيلا أن الدين في هذه المرحلة يمر بتحول يتضمن مزيداً من الخصوصية وقليلاً من الضبط التنظيمي. ويـــذهب بيلا إلي أن هناك أشكالاً جديدة من الدين. وأن هذه الأشكال الجديدة تتميــز بإلغاء الرؤية المزدوجة للعالم. إن رؤية العالم في هذه المرحلة تصبح أقــل ازدواجية أي أقل تصوراً لوجود عالم آخر.

إن كلاً من بارسونز وبيلا عالجا العلمانية علي أنها عمليــة تحــول بواسطتها أصبح الدين أكثر خصوصية . (٣)

ثـانيـا المـنـهـج المقـارن:

يعد المنهج المقارن Comparative Method من المنــاهج التــي استخدمت بنجاح في مجال دراسته الأديان في العديد من المجتمعــات وهــو طريقة للمقارنة بين مجتمعات مختلفة أو جماعات داخل مجتمع واحد وذلــك للكشف عن أوجه الشبه والاختلاف بينها في السلوك الديني أو بين مجتمعات مختلفة . هذا وقد استخدم عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر هذا المنهج فــي محاولته اختبار نظريته عن العلاقة بين الأخــلاق البروتــستانتية وظهــور الرأسمالية عن طريق دراسة الدين والاقتصاد في كل من الهند والصين. (٤)

وتعد الدراسة الثقافية أو الحضارية المقارنة للدين مفيدة إلي حد كبير من اجل اكتشاف أنماط اجتماعية مختلفة في عدد من الثقافات. ومن خــلال منهج المقارنة الثقافية أو الحضارية، يستطيع الباحثون أن يفسروا الارتبــاط بين الأنماط هل يرجع إلي سمات معينة لثقافة واحدة، أو متعلق بكل الظروف الاجتماعية والثقافية.

وقد استخدم ماكس فيبر هذا المنهج في محاولته اختبار نظريته عــن العلاقة بين الأخلاق البروتستانتية وظهور الرأسمالية عن طريق دراسة الدين

والاقتصاد في كل من الهند والصين. كما استخدمه تالمون في دراسته لعديد من الثقافات ليكشف أنماطاً عالمية عن الحركات الألفية. وقد استخدم بعــض الباحثين منهج المقارنة الثقافية أو الحضارية فـــي مقارنـــة الارتبـــاط بـــين المعتقدات الدينية حول (طهارة ونجاسة الأنثى) والتغير في أدوار النوع فـــي المجتمع الكبير. كما استخدم هذا المنهج أيضا في دراسة قـــضية المطـــاردة الدينية للساحرات Wich Hunt وارتباطها بالتغيرات فـــي علاقـــة الإنـــاث والذكور داخل المجتمع الكبير.

وبرغم استخدام هذا المنهج في كثير مـــن الدراســـات فـــإن هنـــاك صعوبات تكمن في هذا المنهج وأهمها أن مفاهيم التدين تتباين بشكل كبير من ثقافة إلي أخري بحيث يجد الباحث صعوبة في المقارنة بينها.[٥]

وتشير الدراسات المقارنة إلى مناقشة العلاقة الاجتماعية بين الـــدين والقيم ودورها في تشكيل الوعي الاجتماعي، من خلال تحليـــل النظريـــات المرتبطة بهما. وعلى الرغم من أن الدين ليس جزءا أساسيا مـــن القـــيم ولا يؤدي بالضرورة تجاه نسق القيم المتكامل، وعلى الرغم من أن القيم ليـــست معتمدة على الدين فقط، فإنه من المفترض أن كل من القرارات التي تعتمـــد على الجوانب القيمية والدينية تشارك في تكوين الوعي الاجتماعي.

واستنادا إلى نظرية جورج ميد Gorge H. Mead، فقد افترض أن الوعي الإنساني كنتاج للقوى الاجتماعية، يقـــدم تبريـــرا للعقليـــة والتفكيـــر المشترك بين الدين والأخلاق، ففي ضوء الدين،نجد أن العقائديين يفترضون أو يؤمنون بوجود قوة إلهية تحكم أفعالهم، وبصورة مشابهة معتقداتهم .. أن الأخلاقيين ينبغي أن يعتقدوا في الطبيعة وتأثيرها في قـــدراتهم وفـــي كلتـــا الحالتين، أن شكل الخيال الاجتماعي مطلوب ويفترض وجود شـــيء آخـــر

وفاعلين آخرين. علاوة على ذلك أن التشابهات بين الدين والأخلاق إنها اجتماعية ومن المفترض أن كلا الشكلين للخيال الاجتماعي لديهما القوة لتدعيم كل منهما الآخرة.

يلاحظ كما هو سائد في الاتجاه المثالي محاولة التركيز على عوامل ثقافية مثالية، دون الإلتفات إلى العوامل المادية، وإيجاد تبرير للإعاقة بين الدين والأخلاق وتشكيل الوعي، بوجود قوة إلهية تحكم أفعالهم ومعتقداته.(٦)

هناك دراستان استخدمتا منهج المقارنة الثقافية في دراسة سلوك الوالدين والاعتقاد الديني، وقد أشارت إحدى هاتين الدراستين والتي قام بها سبيرووواندرو في عام ١٩٥٨ إلى أنه عندما يتمتع الوالدان بالعطف والطيبة، فإنهم يعتقدون في حب الإله، وحينما يغلب على الوالدين القسوة فإنهم يعتقدون في قسوة الإله.

أما الدراسة الثانية التي قام بها تيري عام ١٩٧١ وقد اعتمد أيضا في دراسته على منهج تحليل التقاطع الثقافي. وجد أن هناك تداعيا بين المؤمنين بالإله وبين التربية الاستقلالية الشديدة. وتعتبر دراسة تيري هامة نظرا لأنها تثير بعدا جديدا وهو أن التنشئة السهلة للأطفال ليست ضرورية في توليد المعتقدات.(٧)

ثالثا: المنهج التجريبي

تعتبر التجربة الضابطة من أقوى الأدوات في العلوم الاجتماعية، وذلك في ضوء مفاهيم القدرة على التحكم في المتغيرات، وأول من استخدم البحوث التجريبية في العلوم الاجتماعية هم السيكولوجيين الاجتماعيون.

واستخدام المنهج التجريبي في دراسات الدين تواجه صعوبات كثيرة، فالباحث لا يستطيع أن يستخدم جماعات ضابطة وجماعات تجريبية لاختبار

المتغيرات المختلفة في عملية اعتناق دين جديدة. وإن أي شكل من أشـكال التجريب يعتبر انتهاكا لتدين الأفراد. فالدين شيء شخصي. ويشعر كثير من الأفراد أن التلاعب به من أجل أغراض الدراسة شيء لا يغتفر، وقد أعلنت جمعية البحوث الأخلاقية- وهي الهيئة المسئولة عن الموافقة على مـشاريع البحوث المتعلقة بدراسة الدين- أن موافقة الأفراد (الذين سـيجري علـيهم البحث) هي شرط أساسي وأولي لإجراء البحث. كما يجب أن يكونوا علـى علم بأغراض البحث وبكل تفاصيله، وكذلك حددت الجمعية المجالات التـي يسمح فيها بإجراء التجارب المختلفة للتعليم الديني، وقد لقي هذا النوع مـن البحوث موافقة وإقبال كبيرين من جانب الأفراد المتدينين. ويرحب عدد كبير الأفراد المتدينين باشتراك أطفالهم في تجارب هذه البحوث متطلعين إلى نتائج التجربة. لأنها سوف تحدد، أي الطرق أكثر تأثيرا في التنشئة الدينية وكذلك الدراسة التي أجراها باتسون Batson عن معرفة الخصائص الـسيكولوجية والقيم عند الأفراد قبل وبعد لقاءات التوعية والانتعاش الديني، وذلـك عـن طريق اجراء اختبارات قبلية وبعدية . [٨]

رابعا: المنهج الإحصائي

يعتبر المنهج الإحصائي من المناهج التي تستخدم الأسلوب الكمي في عرض الظواهر والمشكلات الاجتماعية. وقد استخدم المـنهج الإحـصائي بشكل موسع في مجال دراسات علم الاجتماع الديني وخاصة فـي العـصر الحاضر. وقد ظهرت العديد من الدراسات المسحية التي تتناول دراسة الدين في شكل مقارنات إحصائية تعكس إلى حد كبير الارتباطات والعلاقات القائمة بين الدين والظواهر الاجتماعية الاخرى.

ومما هو جدير بالذكر أنه أجرى في الولايات المتحـــدة الأمريكيـــة العديد من الدراسات الإحصائية التي تتناول الفروق بين (الذكور–الإناث).

أوضحت نتائجها أن النساء أكثر نشاطا وفاعلية في النشاط الـــديني عن الرجال ، وقد بلغت نسبة النساء اللائي يترددن علي الكنيسة خمسون في المائة في مقابل اثنين وأربعون في المائة من الرجال أسبوعيا .

وأوضحت نتائج بعض الدراسات التي أجريت في بريطانيا أن هناك انخفاضا عن نسبة الولايات المتحدة . فقد بلغت النسبة ١٧ في المائة بالنسبة للنساء ، و١١ في المائه بالنسبة للرجال مما يشير إلي أن النساء أيضا فـــي بريطانيا أكثر ترددا علي الكنيسة من الرجال رغم انخفـــاض النـــسبة عـــن أمريكا في الرجال والنساء .

وقد أوضحت نتائج العديد من الدراسات المرتبطة بالـــدين أن كبـــار السن يصبحون أشد قلقا نحو الموت وأن الدين يساعدهم علي تخفيـــف هـــذا القلق.[٩]

كما استخدم المنهج الإحصائي بشكل موسع فـــي دراســـات الـــدين وخاصة في الأوقات المعاصرة. فقد ظهرت معظم نتائج الدراسات المسيحية في شكل مقارنات إحصائية. وإذا كان المنهج الإحصائي يمدنا بالارتباطـــات والعلاقات ، فإن هذا المنهج يعاني من قصور في تحقيق السببية المحـــددة . لأن المنهج الإحصائي في محاولته تحديد العلاقة العلية يسمح بدخول كثيـــر من العناصر التي لا دلالة لها من الناحية العليـــة . ولهـــذا فـــإن البيانـــات الإحصائية عن العلاقات العلية دائماً يغلب عليها صفة الاحتمال.[١٠]

خامسا : منهج المسح الاجتماعي

لعل من أكثر أنواع المناهج استخداماً في الدراسات الاجتماعية، وخاصة في ثلاثة الحقب الأخيرة، هي المسح الاجتماعي وخاصة المسح باستخدام العينة وكذلك المناهج الإحصائية. وقد أنتشر استخدام هذه المناهج في دراسات علم الاجتماع الديني في الأوقات المعاصرة، مثل دراسة الانتماء الديني، المداومة علي حضور الكنيسة، المداومة علي الصلاة، معرفة مبادئ واتجاهات الطائفة الدينية، الاعتقاد في مفاهيم دينية محددة (الحياة بعد الموت – وجود عقاب في الآخرة).

وهذا المنهج قد يفيد في إيجاد ارتباطات بين سمات دينية محددة وبين اتجاهات اجتماعية معينة.[١١]

سادسا المنهج التقويمي أو المعياري

يهتم هذا الاتجاه بالدراسات التقويمية أو المعيارية ذلك أن أصحاب هذه الاتجاه ينحون نحو إصدار أحكام علي قيم الأشياء معتمدين في ذلك علي معايير تحددها نظراتهم الفلسفية.

ويؤكد أصحاب هذا الاتجاه علي ما ينبغي أن تكون علية الظواهر الاجتماعية طبقا للمبادئ المثالية التي يرتضيها كل منهم . وتعتبر أعمال الفليسوف اليوناني أفلاطون في كتابيه "الجمهورية" "والقوانين".

وأرسطو في كتابيه "الأخلاق" "والسياسة" "والفارابي في كتابه" أراء المدينة الفاضلة نموذجا لهذا المنهج ، حيث اهتم كل هؤلاء الفلاسفة توضيح ما ينبغي أن يكون عليه المجتمع في مختلف ظواهره الاجتماعية حتى يكون مجتمعا فاضلا بحسب ما يذهب إليه من آراء فلسفية عن الفضيلة والرذيلة ومقومات الحكم وطبقات المجتمع ومختلف شئون الاجتماع .[١٢]

المراجع

١- سامية مصطفي الخشاب ، دراسات في الاجتماع الديني ، الكتاب الأول، علم الاجتماع الديني، دار المعارف، ١٩٩٣، ص ٣٣.

٢- مديحة سيد أحمد ، علم الاجتماع الديني ، ص ص ٥١ – ٥٣ .

٣- سامية مصطفي الخشاب ، دراسات في الاجتماع الديني ، مرجع سابق،ص ص ٣٤ –٣٥.

- انظر حول الأسلوب التاريخي : سمير نعيم أحمد ، المنهج العلمي في البحوث الاجتماعية ، دار سعيد رأفت للطبع والنشر ، ط٥ ، ١٩٨٨ ، ص ص ١٢٩ – ١٣٢.

٤- مديحة سيد أحمد ، مرجع سابق ، ص ص ٥٤ – ٥٥.

- انظر حول: الدراسة المقارنة للنظم الاجتماعية، محمد علي محمد، البحث الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥، ص ص ٢٢٥ – ٢٢٥.

٥- سامية مصطفي الخشاب ، دراسات في الاجتماع الديني ، مرجع سابق ، ص ٣٦ .

6- Balsi- Anthony., on the social Affinity Between Religion and values: Amulti-Disciplinary, Milan, Italy, 1995, pp.29-65

٧- سامية مصطفى الخشاب، دراسات في الاجتماع الديني، مرجع سابق، ص ٤٠.

- انظر حول المنهج التجريبي، غريب سيد أحمد، تصميم وتنفيذ البحث الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٩، ص ص ١١٥-١٣٠

٨- سامية مصطفى خشاب، المرجع السابق، ص٤١

٩- مديحة سيد أحمد ، مرجع سابق ، ص ص ٥٦ – ٥٧ .

١٠- سامية مصطفي الخشاب ، دراسات في الاجتماع الديني ، مرجع سابق، ص ٤٨ .

١١- المرجع السابق ، ص ٤٥ .

- انظر حول : المسح الاجتماعي في : عبد الباسط محمد حسن ، أصول البحث الاجتماعي ، مكتبة وهبة ، ط ٩ ، ١٩٨٥ ، ص ص ٢٢١ - ٢٣٩ .

١٢- مديحة سيد أحمد ، مرجع سابق ، ص ٨٥ .

الفصل الخامس

القيم الدينية والتغير الاجتماعي

أولا: التعريفات المتعلقة بجوهر الدين.

ثانياً: مجال علم الاجتماع الدينى.

ثالثاً: القيم الدينية وأنماط التحديث.

رابعاً: الطبقات الاجتماعية.

خامساً: الدين فى ظل التقدم المادى.

سادساً: الأنشطة الدينية.



مقدمة :

اهتم الإنسان بفكرة الدين، وأخذ هذا الدين يتطور ويسلك فيه الإنسان طرائق متعددة، وأصبح الدين يتمثل فى حياة الإنسان فى أربعة أوجه هى: الطقوس، والعاطفة، والإيمان، الإدراك العقلى .

وإذا بدأنا بالحديث عن الطقوس، نجد أن الطقوس تتكرر وتتفق من أجل الشعور العاطفى الذى ارتبط بها وبوجود هذا الترابط صاغ الإنسان كثيرا من هذه الطقوس صياغة فنية جيدة . وراعى فيها أن تكون بطريقة تستثير الشعور العاطفى لذلك نرى أن الطقوس والعواطف الجماعية كان لها دورها ومكانتها الكبيرة عند القبائل البدائية، بل أنها كانت تعتبر إحدى القوى الملزمة فى مثل تلك المجتمعات .

وبجانب الطقوس والعواطف . كان لابد من التصور الادراكى لشئ موجود فوق الشعور. هذا الشئ كان يدخل فى ضمائر الأفراد ويصبح أحد معبوداتها . ولذلك أخذت الأسطورة دورا فى تفكير الإنسان الدينى، فبعد أن مارس الإنسان البدائى طقوسا كثيرة تولد عنها العواطف، جاءت الأسطورة كى تشرح الهدف الخفى من كل هذه الطقوس والعواطف، وبهذا المعنى فإن الطقوس وعلاقتها بالأسطورة التى تفسرها هى العبادة الأولية للشخص البطل أو الشيئ البطل الذى تدور عليه الأسطورة .

وإذا كان موضوع الأسطورة شخصا كانت الطقوس المتعلقة به تعتبر دينا، إما إذا كان موضوع الأسطورة شيئا فإن هذه الطقوس والأساطير المتعلقة به يطلق عليه سحر . ولذا نجد أن كثير من العلماء تناولوا بالدراسة العلاقة بين الدين والسحر وإن كانوا نجد أن كثير من العلماء تناولوا بالدراسة العلاقة بين الدين والسحر وإن كانوا قد اختلفوا فيما بينهم حول أسبقية أى

منهما على الآخر فى المجتمعات البشرية وانقسموا حيال هذا الموضوع إلى فريقين :

فريق يؤكد أسبقية السحر على الدين أمثال فريزر frazer الذى رأى أن المجتمعات الإنسانية مرت بثلاث مراحل للتطور وهى : السحر والــدين والعلم، فالسحر كان يسيطر على حياة الإنسان الأول ويسيرها، وكان السحر هو الوسيلة العملية لتفسير الإنسان لمظاهر الطبيعة .

وهناك فريق آخر يذهب إلى أن المرحلة الدينية قد سبقت المرحلــة السحرية فى الجماعات البشرية أمثال الأب شميدث الذى يجد فى الدراســات الأنثرلوجية أدلة تدعم وجهة نظره . فهذه الدراسات أكدت أن ديانة التوحيــد البدائى هى الديانة التى كانت سائدة فى المجتمعات الإنسانية. وإن الطقــوس السحرية جاءت مسخا وتشويها لتلك الديانة.

ومهما كان من أمر هذه الإختلافات أن هناك اتفاق بين معظم العلماء على أن هناك فرق بين الدين والسحر رغم اتصالهما بعالم الغيبيات.

والمرحلة التى جاءت بعد الأسطورة كانت تتميز بتعدد الآلة لكل قبيلة أو عشيرة . ثم اعقبت هذا ظهور الدين العقلى عندما بدأت الديانات الكبــرى فى الظهور بين أجناس البشر فهذه المرحلة تتميز بنمــو الــوعى والإدراك العقلى عند الإنسان [١].

أولا : التعريفات المتعلقة بجوهر الدين .

حاول كثير من الاجتماعيين تعريف مفهوم الدين عن طريق تحديــد جوهره غير أن محاولة تحديد جوهر الدين أمر صعب ويــزاد صــعوبة إذا امتد عبر الثقافات ولتحديد جوهر الدين مداخل مختلفة فمن العلماء من اتخذ الاعتقاد مدخلا لتحديد جوهر الدين وقد استخدام تايلور هذا الاتجاه منذ عــام

١٨٧٣ عندما حدد الدين بأنه " الاعتقاد فى كائنات روحية " فنحن مرجعنا إله أو الآلهة وهذا هو العامل الأساسى فى الدين ويرجـــع اســتخدام تـــايلور لمفهوم الكائنات الروحية إلى أن المجتمعات غير المتحضرة كـــان الأفـــراد يؤمنون ويخشون أسلافهم الموتى فاعتقادهم فى الكائنات غير المرئية كـــان يفوق اعتقادهم فى الإله لذلك نظر تايلور إلى الكائنات الروحية علـــى أنهـــا مفهوم أساسى عند البدائى وكثير من الاجتماعين المحـــدثين يؤيـــدون رأى تايلور فى تأكيده على أن الدين ينطوى على الاعتقاد فى كائن أو كائنات لـــم تُحس عن طريق العمليات الواقعية الطبيعية. ولقد أثـــار مفهـــوم الاعتقـــاد كجوهر للدين جدلا بين علماء الاجتماع فكثير من علماء الاجتمـــاع الـــذين حاولوا أن يقيسوا تدين الأفراد عن طريق درجة اعتقادهم فى مبادئ ديـــنهم كما توصلوا إلى ان الدين فى المجتمعات الشرقية والغربية – هو شئ أساسى للاعتقاد فى حين أشارت "ر. ماريت" إلى أن " الدين فى كثير من الثقافـــات حركة أكثر منه فكر أى أن الطقوس والعواطف تحتـــل المركـــز الأول فـــى الدين، ثم يليها الاعتقاد وقد أكد بعض الباحثين أن القول بأن الاعتقاد هو شئ أساسى فى الدين أدى بكثير من الأنثربولوجين إلى أن يفقدوا الوصول إلـــى حقيقة جوهر الديانات غير الغربية وعلى سبيل المثال الديانة البوذية فكثيـــر من الملاحظات تؤكد أن أى مفاهيم عن الكائنات فوق الإنسانية هى خارجـــة عن البوذية الرسمية ومن ناحية أخرى نجد أن معظم العادات الـــشعبية فـــى برما والذين يعتبرون أنفسهم بوذيين يعتقدون فى الكائنات فوق الإنسانية لذلك فإن التعريف الذى يركز على الاعتقاد فى الكائنات فوق الإنسانية يثير الشك حول أن تكون البوذية ديانة. وكثير من البوذيين لا يهتمون بالكائنات فـــوق

الإنسانية وهؤلاء سوف يعتبرون غير ممارسين للديانة ومن هنا يثار التساؤل هل الدين يرجع فقط إلى هؤلاء الذين لديهم شكل معين من الاعتقاد ؟

وهناك مدخل آخر حاول الوصول إلى جوهر الدين متجنباً مفهوم الاعتقاد وقد ظهر هذا المدخل عند أميل دور كايم . حيث يرى دور كايم أن تقسيم الحياة إلى مقدس وعلمانى تسمح لنا بتحديد الدين فى أى ثقافة . فالناس فى جميع أنحاء العالم يبدو أنهم ينساقون فى تغيرات سيكولوجية، وعندما يرتبطون بأشياء مقدسة، أو يندمجون فى طقوس دينية هذا التغير السيكولوجى يشتمل على الإحساس بالرهبة من الشيء المقدس وهذا الإحساس يختلف عن أى إحساس لدى الفرد .عندما يتداخل مع أى شئ فى الحياة اليومية .

وقد أوضح دور كايم أنه ليس كل تجارب التقديس والشعور بالخشية من المقدس تكون دينية فى سماتها فقد لاحظ أن أفراد بعض القبائل يرتبطون بطقوس سحرية، ورأى أن هذا الاتجاه شبيه بالطقوس الدينية ولو أنه أكد بأن السحر والدين شيئان يختلفان، فالدين نشاط جمعى، فهو يشمل جماعة اجتماعية فلم نجد فى التاريخ ديناً مفرداً بدون مؤسسة دينية فالاتجاه المقدس لابد أن يكون أساساً تجربة جماعية إذا كان سيحدد على أنه دين وتحديد دور كايم للدين : على أنه نسق موحد من المعتقدات والممارسات المرتبطة بأشياء مقدسة هذه الأشياء تتمثل فى مجموعة من الأوامر والنواهى.

هذا المدخل الذى تبناه دور كايم فى تحديده لمفهوم الدين كان مفيداً فى كثير من الحالات فقد تجنب مشكلة تقدير الاعتقاد أهو حقيقى واقعى أم أنه ملازم للتدين فعلماء الاجتماع الذين استخدموا هذا المدخل أظهروا نظرة مزدوجة للعالم بمعنى أن الحياة لها بعد دينى وبعد غير دينى فقد أكد دوركايم

"إن الحياة الدينية والحياة العلمانية لا يمكن أن تتزامل فى نفس وحدة الزمن" وقد تعرض دور كايم لنقد فى نظرته المزدوجة للعالم وبصفة عامـــة انتقـــد التعريف الذى يتناول جوهر الدين ونظر إلى أصحاب هذه التعريفات بأنهـــا تركز انتباه الباحثين على الشكل التقليدى للدين فكثير يرون أن الأفراد فـــى المجتمعات المعقدة والمتغيرة متدينون بطرق جديدة فالتعريفـــات الجوهريـــة للدين ضيقة وتقليدية وتبعد الباحثين عن الأشكال الجديدة للتدين (٢) .

ثانياً: مجال علم الاجتماع الدينى

إن العلماء الذين يضيقون الساحة "منطقة النفـــوذ " الواســـعة لعلـــم الاجتماع الدينى والتى تم تحديد إطارها داخل المجتمعات المعاصرة يتفاوتون فى نسبة هذا التضييق .

وهناك بعض العلماء الذين يخرجون من نطاق علم الاجتماع الدينى المعطيات الموضوعية للحياة الدينية مثل العبادة والحقوق "التشريع" والأخلاق وعلاقة هذه الأمور بالحقائق غير الدينية ويقتصرون على بحث الأشـــكال أو الأبنية الاجتماعية للحياة الدينية وعلى العلاقات بهذه الأبنية الاجتماعية وبين الأبنية غير الدينية، فإن علم الاجتماع الدينى ليس له أن يطمح إلى دراســـة الحقوق الدينية ولا أن يحيط ويستوعب دراسة الجوانب المسحية الاجتماعية وليس له أن يدرس التأثير المتبادل بين الحقوق الدينية و الحقوق المدنية التى تعد من اهتمامات علم الاجتماع الدينى باعتبارها تعبيرا أو تنظيما للمجتمـــع الدينى .

وفى مقابل ذلك يبدو لنا ان العلاقات بين الحياة الدينية وعلم السكان والاقتصاد يعود بحثها إلى علم الاجتماع على اعتبار أن بنية المجتمع الدينى

ونظامه التعليمى والتربوى وفعالية الدين ذاته من الأمور التى تسهم فى تحديد معدلات الإنجاب ارتفاعا وانخفاضا وتؤثر أيضا فى معدلات الاستهلاك (٣) .

إن عملية قصر علم الاجتماع الدينى على موضوعات محـــددة تلـــك المحاولة التى أجريت على مستوى فروع علم الاجتماع العام نجـــدها هنـــا محققة على مستوى علم الاجتماع الدينى وحده فمن العلماء من يضعون "لعلم الاجتماع الدينى أسسا لا هويته خالصة" كالفرق فى طبيعة بين المقدس وغير المقدس إن أى علم يقوم على مناهج البحث الحديثة لا يستطيع تناول الأشياء الطبيعية المقدسة بالبحث والدراسة الإمبيريقية التى تعتمد – فى الغالب– على التجريب ذلك ان " بناء " المسيحية وحياتها الدينية يـــستحيل فهمـــه بـــدون الاعتماد على الوحى وكذلك الحال بالنسبة للدين الإسلامى والأديان الأخرى.

إن ذلك يعنى ان العقيدة يستحيل تفسيرها بأمور أو بظواهر غير تلك القائمة فى مجتمعها الدينى وما يسوده من مقتـــضيات ووســـائل دينيـــة وان المؤمن بتلك العقيدة يعجز – دون تناقص ذاتى مع نفسه – ان يتخلى عن هذا الاعتقاد .

ولكن هل تحتل العقيدة ومجرد تفسيرها تلك الساحة الواســـعة التـــى يخصصها علم الاجتماع الدينى كمنطقة نفوذ له؟ وهل الوحى هو الذى يفسر كافة نماذج وأنماط النظم والظواهر الدينية بتقسيماتها الاجتماعيـــة ؟ وهـــل يضاف إلى هذا ذلك الجزء من العقيدة الذى يتخلى المسلم أو المسيحى عـــن تفسيره باعتباره من الأمور العقائدية العميقة التى لم يتوصل الفقهاء بعد إلى أعماقها ؟ وهل يمكن ان نتخذ موقفا وسطا بين تلك الآراء التى تناولت أبعاد علم الاجتماع الدينى بالتحديد .

إن جيرفيتش وزملاءه يعتقدون – مع اللاهوتيين ان معرفة العقائد والنظريات الدينية من الأمور الضرورية لفهم الأديان بل ولفهم المجتمعات الدينية وأن الانتماء لهذا المجتمع الدينى لا يحول دون إدراك التجارب الدينية الداخلية الصحيحة وإنما يساعد على إنارة البصائر ونحن كذلك مع أولئك المؤمنين وغير المؤمنين الذين يرون أهمية التصورات والدوافع الاجتماعية المحركة للتضامن فى المجتمعات الدينية وغير الدينية حيث يتسع المجال للعقائد الشعبية والفرق المنشقة بل وحتى للملحدين أنفسهم باعتبارهم تعبيرا عن الرفض الجماعى وإيحاء من تكتلات أو أسر من الميالين لهذه العقيدة أو تلك والمعارضين المعتدلين والخصوم المجاهرين وعلى ذلك فإننا مع من هم اكثر طموحا نعتقد ان علم الاجتماع ان لم يستطع ان يدرك جوهر الدين فانه على الأقل يحيطنا علما بأشكال التجارب الدينية الجماعية ويلقى بعض الأضواء على التفاعلات والإيحاءات الدينية المشتركة بين مختلف العقائد والطوائف الدينية (٤).

ثالثاً: القيم الدينية وأنماط التحديث :

شهد القرن العشرين العديد من المحاولات لتحديث المجتمع العربى منذ مطلع القرن، فإنه بالرغم من المجتمع العربى فى بعض أجزاؤه قد تأثر بالقيم الغربية، إلا أن المجتمع العربى لم يكن بقادر على استيعاب هذا التدفق الهائل من القيم الغربية . ولقد أدى هذا الصراع الفكرى بين المصلحين الدينيين الذين حاولوا الدفاع عن القيم التقليدية، وبين العلمانيين الذين رحبوا بالقيم الجديدة رغم معارضتها وهجومها للقيم التقليدية . وفى منتصف الطريق بين هذين الاتجاهين، وقف القادة السياسيون يحاولون التخلص من السيطرة الأجنبية وفى نفس الوقت تحديث المجتمع ونتيجة لهذه المحاولات

المتصارعة، فإن مصر كانت فى حالة تمزق حيث أن نسقها القيمى لم يكـــن بقادر على التحول نحو خلق المجتمع الجديد.

فلقد كانت مصر، منذ القرن ١٦ حتى القرن ١٨، تحت سيطرة الحكم العثمانى، وما حمله هذا من عزلة وثبات نسبى . أكثر من هذا، فـــإن نـــسق القيم الإسلامى فى تلك المرحلة كان تحت تأثير الـــصوفى والقيمـــى وكـــان العلماء مستسلمين لواحد من مدارس الفقه الأربعة وتعد حملة نابليون بمثابـــة ناقوس الخطر الذى حمل معه أولى جذور تحديث بناء مجتمعى ينتمى إلـــى العصور الوسطى . ولقد حاولت أسرة محمد على تحـــديث نظـــام التعلـــيم المصرى، وذلك عن طريق إرسال البعثات وفتح المدارس وتحديث الاقتصاد المصرى، وكانت النتيجة ظهور الطبقة المصرية المتأثرة بـــالفكر الغربـــى، والتى حاولت نشره فى كل قطاعات المجتمع وتحت ظروف الاستدانة فـــإن التأثير الغربى أخذ أقصى مداه، وانتهت ثورة عرابى فى ١٨٨٢ بـــالاحتلال الإنجليزي لأكثر من سبعين عاما .

وبالرغم من أنه فى هذه الفترة كان هناك الـــصراع بـــين الـــسلطة الحاكمة والقادة الوطنيين، إلا أن الصراع الأساسي كان بين ثلاثة جماعـــات رئيسية هى : الجيش، المثقفين، القادة الدينيين . ولقد حاول كل منهم تحديث المجتمع وفقا لإطار ثقافى أو دينى أو سياسى وقد حاولت كل جماعة ترجمة أفكارها فى برنامج إصلاحى، وهكذا عرف التحديث مرة على أنه الاتجـــاه الإيجابى نحو التغيير والتجديد، ومرة أخرى نحو الثقافة الغربية ومن ناحيـــة أخرى، عرفت التقليدية على أنها الاتجاه أو العقليـــة الـــسلبية أو المـــضادة للتجديدات والتغير. ونتيجة لهذا الاتجاه، نظر إلى العديد من رجال الدين على أنهم محافظون وتقليديون يريدون العودة بالمجتمع إلـــى الـــوراء وينـــشدون

مجتمع ثابت بنسق قيمى قديم وعلى الجانب الآخر نظـــر إلـــى العلمـــانيين والليبراليين على أنهم من يسعون إلى نشر التقدم والعلم والقـــيم الديناميـــة . والحق، أن نسق القيم المصرى منذ ذلك الوقت حتى الآن، مازال يتأرجح بين القيم المحافظة وبين القيم الليبرالية العلمانية أو بـــين الموجهـــات النظريـــة للإصلاح والفعل السياسى .

من المعروف أنه تحت حكم الإسلام، فإن الدين والـــسياسة يمـــثلان وجهان لشئ واحد. هذا الارتباط العضوى. ومع إلغاء الخلافة فإن العلمانيين خطوا الخطوة الأولى نحو فصل الدين عن الدولة، وجعل الهيمنة للدولة على كل الأمور الدينية. وتحت الحكم العثمانى الذى استمر أكثر من ثلاثة قرون، ظهرت " فجوة ثقافية " بين المتطلبات المتزايدة الاجتماعية والثبات أو الجمود الايدولوجى أو القيمى. ولسد هذه الثغرة فلقد اتفق، المـــصلحين العلمـــانيين والدينيين على أنه لابد من إعادة تنظيم نسق القيم التقليدى، واستبداله بـــآخر يكون قادرا على تلبية المطالب السياسية والاجتماعية الملحة. ولقـــد حـــاول محمد على تقويض العلاقة بين الدين والدولة عن طريق ثلاثـــة طـــرق (أ) فصل محمد على بعض العلماء المعارضين له، راسيا بذلك حق الدولة فـــى تقييم أو فصل رجال الدين (ب) وفى نفس الوقت طلب محمـــد علـــى مـــن العلماء، تأييد برنامجه عن طريق إصدار الفتاوى والتصور الـــدينى علـــى قرارات الحاكم (ج) واستبدال الصفوة الدينية بصفوة عسكرية جاعلا الأولى فى خدمة الثانية ومؤسسا بذلك دور الدين فى خدمة النظام السياسى (٥).

ولقد حاول محمد على من أجل تحديث مـــصر _ أو علـــى الأقل تحديث الجيش أن تقييم المصانع ويرسل البعثات وفـــتح دور التعلـــيم المختلفة، إلا أن هذا النوع من التحديث لم ينتفع به إلا قطـــاع ضـــيق مـــن

المجتمع، خاصة ضباط الجيش ورجال الإدارة المحيطين به. وظل الصراع بين الصفوة الدينية والعسكرية كمظهر من مظاهر المجتمع المصرى المعاصر. ومع بروز ثورة ١٩٥٢ فإنه تأكد هيمنة الدولة على كل الأنظمة الأخرى ويعتبر البعض أن هذا انتصار للعلمانية فى مصر. وكما هو معروف بأن فصل الدين عن السياسية يمثل أحد العناصر الأساسية للعلمانية وكما تشير الكثير من الدراسات، فإن عملية العلمانية تتطلب أن يخضع كل النظم الاجتماعية للتحول، ويلازم هذا ظهور حالة عقلية جديدة (فكرية ونفسية) والملاحظ أن " مصر عبدالناصر " افتقدت هاتين الخاصيتين. فعبد الناصر فى معظم خطبه يؤكد على دور القيم الدينية، وكما لاحظ كرسيليس D.creceluis بأن هيمنة السياسة على الدين لا تعنى بالضرورة ظهور الدولة العلمانية، فالعلمانية تحتاج القدرة النفسية، من كل من الفرد والدولة للفصل بين الدين والسياسية وهذا ما لا نجد شواهد له فى مصر المعاصرة.

والحق أن الثقافة المصرية ونمط الشخصية المصرية يعكس بوضوح التأثير العميق للدين الإسلامي على الاتجاهات والمواقف والقيم سواء على المستوى الفردى أو المجتمعى. وحتى فيما يسمى بالدولة العقلانية، حيث تكون سياسة الدولة والحياة العامة قائمة على أسس مستقلة عن الدين، فإن القانون الإسلامي والقيم والأنظمة الدينية لم تتعرض للهجوم أو التحدى من قبل الدولة. على العكس، فإننا نجد عبد الناصر دائما يؤكد أن أيدولوجيته مستمدة من القيم الإسلامية، كذلك الحال بالنسبة لحكم السادات.

ويلاحظ أن كل المصلحين- كانوا يسعون إلى تحقيق التحديث، إلا أن هناك اختلاف بين رجال الدين والعلمانيون حول طبيعة أهداف التحديث. وفى خضم هذا الصراع، ظهرت حركة الإخوان المسلمين ، حركة إصلاحية

اجتماعية وسياسية، وحاولت التوفيق بين القيم الغربية والقيم المحافظة للهوية الإسلامية. فكان هدفها الأساسى هو تحويل القيم الدينية إلى برنـــامج فعـــال للفعل الاجتماعي، والحق ، أن حركة الإخـــوان كانـــت أقـــوى الحركـــات " الدينية– السياسية " فى الثلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات من هذا القرن. وكان جوهر هذه الحركة أن الإسلام كدين صالح لأن يتحول إلـــى برنـــامج إصلاحي لو عبئت القيم الإسلامية وترجمت إلى برامج إصلاحية. فتحـــديث المجتمع بالنسبة لهم هو عودته إلى الإسلام، أو بمعنى آخر فالإسلام هو ذاته التحديث المنشود.

ولقد كانت لشخصية "حسن البنا" وزعامته الملهمة-كما أشرنا- أثـــر كبير فى تجميع العديد من الأعضاء من كافة الطبقات لدعوته، ولم يرد "البنا" أن تكون حركته حركة دينية أو صوفية . على العكس فلقد أراد أن تكـــون حركته عامة قائمة على المعرفة والتعليم والجهاد. ولقد طلب مـــن جماعتـــه النزول إلى الجوامع والأماكن العامة – سواء كان فى الريـــف او المـــدن – لدعوة الناس إلى تعاليم الإسلام ونبذ كل ما هو غربي وغير إسلامي، مطالبا بإلغاء القوى الحزبية وإعادة الحكومة الإسلامية المستمدة من القيم الإسلامية، داعيا إلى مهاجمة المستعمر والقوى السياسية المساندة له . ولقد كون "البنـــا" تنظيمه على أساس "الأسر" و "الخلايا" وتم تدريب الأعـــضاء علـــى حمـــل السلاح للاشتراك في حرب فلسطين فى عام ١٩٤٨ ولقد اكتشف أكثر مـــن مليون عضواً، هذا بخلاف الأعضاء غير المسجلين . ولعل أهم ما يميز هذه الحركة هو شموليتها لكل جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية .

لقد أدت الهزيمة السياسية فى ١٩٦٧ إلى إعادة ظهور العامل الدينى وخروج القيادات الدينية للحركات الدينية من طور " الكمون " إلـى طـور الحركة " وبدأت هذه القيادات تتحسس الخطى مرة أخرى[٦].

رابعاً: الطبقات الاجتماعية

يظهر التقسيم الكلاسيكى لوظائف الدين وفقا للطبقات الاجتماعية بوضوح عند كارل ماركس . فقد وضع فصلا واضحا بين دين البرجوازيين ودين البروليتاريا . فالدين بالنسبة للبروليتاريا –من وجهة كارل مـاركس– هو مُسكن ويمد أفراد هذه الطبقة بطريق الهروب من الواقع الصعب. وهـو عقل لعالم بلا قلب، وروح لأوضاع بلا روح. لذا يرى مـاركس أن إزالـة الدين ومحوه هو مطلب ضرورى للسعادة الضرورية .

أما الدين بالنسبة للبورجوازيين والصفوة فى المجتمع ، يرى ماركس أن أفراد هذه الطبقات يستخدمونه كأداة للظلم والاستبعاد كوسيلة لإبقـاء البروليتاريا فى وضعها وتمكين الصفوة من مراكز القوة والأفـضلية ووفقـا لنظرة ماركس الدين ما هو إلا تعبير عن علاقات السيطرةالاقتصادية ففـى ظل الاقتصاد الرأسمالى – الدين أداة لتدعيم وإبقاء التفاوت الطبقى. فاغتراب الأفراد عن أوضاعهم الحقيقية ينعكس بصدق فى الدين وقد اتفق ماركس مع انجلز بأن الدين سيختفى عندما تختفى السيطرة الرأسمالية الاقتصادية.

وبالرغم من أن ماكس فيبر قدم معالجة مخالفـة تمامـاً لمـا قدمـه ماركس عن العلاقة بين الاقتصاد والقيم الاجتماعية (مشتملة علـى الـدين). وبرغم أن ماكس فيبر كتب عن الأخلاق البروتستانتية والرأسمالية ليقدم بديلاً لنظرية ماركس. فإنه أشار إلى تباين وظـائف الـدين بالنـسبة للطبقـات الاجتماعية وهذا يتضح فى تمييزه بين دين أصحاب المميزات وديـن غيـر

المميزين تحت مصطلحا تبرير اليأس أو الهروب Theodicy of despaire or escape وتبريـــر حـــسن الحـــظ Theodicy of good gortune theodicy ففى الحالة الأولى للدين بالنسبة للطبقات الدنيا الفقيرة هو طـــرق الخلاص والفوز بالآخرة، وهذه الطبقات تعتقد وتؤمن بأن الجحـــيم ســـيكون للأثرياء، وهذا الاعتقاد هو تبرير لأوضاعهم الطبقية الدنيا.

ومن ناحية أخرى نجد الطبقات الثرية تظهر تبريراً دينياً عن وضعها الطبقى المميز، وترى أن ما تتمتع به من ثروة ووضع طبقـــى مميـــز هـــو برهان لرعاية الإله لها. وأيضاً هذا مؤشر إلى أن كل ما هـــو حـــسن فـــى حياتهم سيكون كذلك فى أى حياة مستقبلية بالنسبة لهم.

كما توضح دراسة ليسيون بوب عن إقليم جاســـتون فـــى جنـــوب كارولينا تباين الدين بالنسبة للطبقات الاجتماعية [٧].

خامساً: الدين فى ظل التقدم المادى

١ – الدين والعالم المعاصر

من الظواهر التى أصبحت واضحة جلية فى عالمنا المعاصر تدهور الوازع الدينى فى المجتمعات سواء المتقدم منها أو النامى، وضعف تمـــسك الأفراد بالقيم الدينية حتى أصبح الدين يمثل مكانا هامشياً داخل المجتمعـــات. بل أصبح الدين اليوم كموضع بين النظرية (ما يحويه من عقائد) والممارسة محل نقاش واهتمام نظرا لاعتبارات منها :

- التقدم السريع فى المعرفة الفكرية والعقلية .
- الاتجاه الواسع الانتشار فى جميع العالم نحو الرغبـــة فـــى تجديد الأديان : The reconstruction of Religions

- التفاعل بين الدين والأحداث الاجتماعية والسياسية .

وقد استرعى هذا الموقف نظر كثير من العلماء من بينهم " لوكمان " مما دفعه لإجراء دراسة حول انحسار الدين القائم على التنظيم الكنسى (أو الخاضع لتوجيه الكنيسة) ويهمنا أن نشير إلى نتائج دراسته حتى يمكن المقارنة بين أسباب انحسار الوازع الدينى فى كل من المجتمعات المتقدمة والمجتمعات النامية "

وقد توصل لوكمان فى دراسته إلى عديد من النتائج منها :

أن درجة التدين التابع للتنظيم الكنسى أعلى فى المجتمعات الريفية عنه فى المجتمعات الحضرية . كما أن درجة التأثير الدينى للكنيسة فى الريف اليوم انخفض عما كان عليه فى الماضى نظراً لتأثر الريفيين بالثقافة الحضرية عن طريق وسائل الإعلام. كما توصل لوكمان أيضا إلى أن النساء اكثر تدينا من الرجال. وان كبار السن وصغار السن هم أكثر تدينا من متوسطى العمر.

كشفت الدراسة أيضا أن النساء العاملات شأنهن شان الرجال أقل تدينا من النساء غير العاملات.

كما توصل إلى أن هناك تباين فى درجة التدين بالنسبة للطبقات الاجتماعية وقد أشار إلى أن درجة التدين ترتفع عند الفلاحين والطبقات المتوسطة عنها بالنسبة للطبقة العاملة .

ولاشك أن النتائج التى توصل إليها لوكمان لها مبررات اجتماعية بصرف النظر عن ارتباطها بالجنس والنوع . فإن درجة انغماس الفرد فى العمل فى المجتمع الصناعى تتناسب تناسباً عكسياً مع درجة انغماسه فى النواحى الدينية بصورتها التنظيمية الكنيسية.

وقد أشار " لوكمان " فى نتائج دراسته عن العلاقة بين المجتمع والدين الخاضع لتوجيه الكنيسة فمجتمعات أوربا الغربية أكثر ارتباطا بالكنيسة .

ولكنه أشار إلى أن الارتباط يختلف من إقليم لآخر . فقد وجد أن الأفراد الكاثوليك أكثر مشاركة فى النشاط الدينى الكنسى من البروتستانت. وربما يعزى ذلك إلى اختلاف درجة التصنيع فى المجتمعات الكاثوليكية عنها فى المجتمعات البروتستانتية . كما يمكن إرجاعه إلى اختلافات إقليمية وقومية (٨).

هذا وقد عقد " لوكمان " مقارنة بين الكنيسة فى أوربا الغربية والكنيسة فى الولايات المتحدة. وتوصل إلى ان الولايات المتحدة سجلت درجة عالية فى إقبالها على الكنيسة . وقد حاول لوكمان تفسير هذه المعضلة . كيف أن الدين قد أصبح ظاهرة هامشية فى المجتمعات الصناعية المتقدمة، والولايات المتحدة – وهى أولى الدول الصناعية – تعكس درجة كبيرة فى إقبالها على الكنيسة ؟ وقد فسر " لوكمان " هذه المعضلة بأن هناك اختلاف بين سمات الكنيسة فى أوربا وسمات الكنيسة فى أمريكا. فالكنيسة فى أوربا لم تعانى من تحول راديكالى، فظلت مقتصرة على أقلية من السكان، واستمرت فى تقديم ونقل الأفكار الدينية التقليدية. وبذلك انحسر دورها الاجتماعى وابتعد عنها أغلبية أفراد المجتمع الذين يعيشون فى مناخ المجتمع الصناعى الحديث .

بينما نجد أن الكنيسة فى الولايات المتحدة كانت مجالا لتغير راديكالى داخلى، هذا التغير تمثل فى تبنى وجهة النظر العلمانية، فالكنيسة فى الولايات المتحدة لم تمثل اتجاها متناقضا مع العلمانية Secularization

فالوظائف النفسية والثقافية والاجتماعية التى تؤديها الكنيسة فـى الولايـات المتحدة سواء للمجتمع ككل أو للهيئات وأفراده يمكـن اعتبارهـا علمانيـة Secular أكثر منها دينية religious

وقد استخلص " لوكمان " من دراسته أن انحسار التوجيه الكنيـسى الدينى فى أوربا يرجع إلى جمود الكنيسة وتمسكها بشكلها التقليـدى بينمـا الكنيسة فى الولايات المتحدة قد سارت فى عملية اكتسابها للطابع العلمانى من الداخل internal - Secularization ، ويدعو لوكمان إلى ضرورة تكيف الكنيسة مع الثقافة المعاصرة للمجتمعات الصناعية .

ولما كانت ظاهرة انحسار وضعف الوازع الدينى فـى المجتمعـات الصناعية المتقدمة يرجع فى المحل الأول إلى الاندفاعة الهائلة نحو التصنيع، والاعتماد على الآلات مما جعل الإنسان ينشغل عن فكرة الله (الذى خلـق) إلى فكرة الإنسان (الذى يبتكر) فالصانع ينظر حوله ويرى أنه يصنع كل شئ بيده ويخلق أدواته وآلاته، فلا يكون هناك مكان للغيبيات عنده .

فما هى إذن أسباب تدهور الوازع الدينى فى المجتمعـات الناميـة ؟ لاشك أن الأسباب فى الدول المتقدمة، تكمن فى التطـور والنمـو المـادى السريع، وسيطرة الآلة على الإنسان، أما التدهور الدينى فـى المجتمعـات النامية فأرجعها علماء الاجتماع فى هذه الدول إلى عاملين رئيسين :

أ- يرى فريق من العلماء أن ضعف الوازع الدينى فى المجتمعـات النامية مرجعه إلى التغيرات المختلفة التى تتعرض لها هذه الدول والتى تؤثر على بنائها الاجتماعى، ولاشك أن البلدان النامية من أكثر البلـدان تعرضـا للتغيرات الثقافية والاجتماعية، ومنطلقات هذا التغير متعددة، فقد تكون مـن داخل النطاق الاقتصادى، أو من داخل النطاق السياسى. وينـصب التغيـر

الثقافى فى هذه البلدان على عديد من الظواهر من أظهرها القيم والميول الفكرية والتصورات الدينية.

ولذلك نجد أن هناك علاقة بين ضعف الوازع الدينى فى المجتمعات النامية وبين التقدم الذى تتعرض له هذه البلدان. ففى هذه المرحلة تعانى هذه البلدان من صراع بين التمسك بالتراث الدينى وبين الموقف العلمى المتطلع إلى التقدم، وخاصة وأن الموقف التقدمى استطاع أن يحرز انتصارات باهرة فى كثير من الميادين، خاصة الميدان الاقتصادى والصناعى، فأصبح الشىء المبهر للأفراد هو الجرى وراء كل عصرى وكل ما يؤدى إلى التخلص من القديم البالى فعمليات التحضر الذى تخضع لها الدول النامية لاشك أنها تحدث هزة فى التراث . فالثقافة الوافدة من شأنها أن تؤثر فى المجتمع وخاصة إذا كانت هذه الثقافة أقوى من الثقافة الموجودة .

ب- هناك فريق آخر من العلماء يرجع ظاهرة ضعف الوازع الدينى إلى حالة التخلف والتبعية التى تعانى منها الدول النامية . فمن المؤكد أن الدول النامية هى دول عاشت فترة طويلة من تاريخها تحت سيطرة دول كبرى ولاشك أن هذه الدول والقوى الكبرى تحرص على تبعية الدول النامية لها ليس فقط تبعية سياسية أو اقتصادية إنما أيضا تبعية فكرية وحضارية حتى تضم هذه الدول فى فلكها. لذلك يرى السياسيون أن الدين هو أسهل وسيلة لاستعباد الإنسان سياسيا . فإذا نجح المستعمر فى أبعاد الفرد عن دينه بذلك يصبح شيئا تائها فى فراغ، وبذلك يسهل احتوائه فى ثقافة المستعمر والارتماء فى فلكه .

٢ – الدين المدنى Civil Religion

هناك شبه إجماع من جانب العلماء على أن جميع الثقافات لها أبعاد دينية ويلاحظ أن المجتمعات التى يسودها ديانة موحدة أى دين لأغلبية السكان، يكون للدين دور ضابط ورادع داخل المجتمع، وينظر إلى الأوامر أو الفروض الدينية على أنها أساسية لاستمرار المجتمع، ذلك لأن الدين يضع الضوابط على الاهتمامات الفردية والأنانية الفردية . كما أن الدين فى هذه المجتمعات يستخدم كمصدر للوحدة القومية، أما المجتمعات التى يسودها اختلافات دينية : لا تستطيع أى جماعة دينية أن تقوم أو تحقق هذه الوظيفة – ففى كثير من الأحيان تصبح الجماعات الدينية فى هذه المجتمعات مصدرا للصراع والكراهية أكثر من كونها مصدرا للوحدة الانسجام – بل فى ظل هذه المجتمعات هناك شئ آخر غير الأديان التقليدية يعمل كأساس للوحدة داخل المجتمع والإجماع الاجتماعى وتحديد معنى الأنشطة القومية ذلك يتمثل فى الأديان القومية، ذلك لأن التعددية الدينية تتطلب نسق معنى جديد والذى يصبح مقدما ويعمل كشكل من أشكال الدين .

وقد أطلق علماء الاجتماع على الديانات القومية اسم "الدين المدنى" وقد حدده جون كوليمان بأنه: " هو مجموعة العقائد، والطقوس، والرموز التى تربط دور الفرد بما أنه مواطن ومجتمعه من حيث الزمان والمكان والتاريخ بأوضاع الوجود والمعنى المطلق". فالدين المدنى يسعى لتحديد الأغراض القومية فى ضوء مفاهيم سماوية ويعمل كتعبير عن التضامن القومى.

وتعتبر الولايات المتحدة من أظهر المجتمعات التى تعايش هذه الظاهرة، لذلك سوف نتناول الدين المدنى فى المجتمع الأمريكى. أن

ميثولوجيا الدين المدنى الأمريكى بدأت مبكرا فى تاريخ الأمة، حيث ينظـــر لأمريكا على أنها أرض الميعاد ، وهذه الأسطورة بدأت منـــذ مـــائتين مـــن السنين وقد نمت وتطورت . بأن هناك عناية إلهية ترعى أمريكـــا وتخـــص أمريكا برسالة تجاه الشعوب الأخرى(٩) .

ويتضح أن الدين المدنى فـــى أمريكـــا فـــى الأســـاطير، الطقـــوس والعطلات القومية (أيام مقدسة)، الاحتفالات القومية والمعاملـــة المقدســـة للرموز القومية. والاحتفالات التى تتم فى الأعياد القومية (التى هـــى أعيـــاد مقدسة) تعبر عن القيم الأمريكية المركزية وتشبع الشعور الوحدة والإحساس بالتسامى . إن معنى الأمة يرجع إلى الاعتقادات فى فرد متسام يعيش وهـــو أكثر أهمية من الأحداث المعاصرة . ولذا ينظر إلى الأمة على أن لها بعـــدا متساميا (هدف عظيم) حتى إن لم يكن فوق الطبيعى، ومثال ذلك الجهود التى بذلت لإيقاف هتلر "لجعل العالم آمنا فى ظل الديمقراطية". وتتجه الاحتفالات القومية لتأكيد هذا البعد المتسامى الذى هو هدف الأمة فمعظم الاحتفالات تتم حول المزارات القومية . التى تجمع بين الإحساس بالرهبة والتقديس . ومن أمثلة هذه المزارات تذكار واشنطون ولينكون الموجودان فى مدينة واشنطون ومقبرة الجندى المجهول وأماكن ولادة ووفاة الزعماء الأمريكيين والـــشىء المقدس فى هذا أمثال هو العلم الأمريكـــى، وكـــذلك الزعمـــاء الـــسياسيون الراحلون أمثال واشنطون، لينكون وأحياناً الزعماء الشعبيين أمثال دانيال بون وكذلك الزعماء الحربيين كرمز للشجاعة وهم يقدمونهم للأطفال على أنهـــم أمثلة للطريقة الأمريكية ويعتبر مارتن لوثر كينج قديس للدين المدنى وذلـــك لجهوده فى تحقيق الحرية والعدالة لجميع الأمـــريكيين . فهـــؤلاء الأبطـــال القوميون ينظر إليهم على انهم نماذج روحية وسلوكية . وقد رأى كثير مـــن

المحللين للدين المدنى الأمريكى أنه يمكن بتسميتهم بـــ American Shinto أى الدين القائم على تقديس أرواح الأبطال القوميين . وقد جذبت ظـــاهرة الدين المدنى – كشكل بديل للدين التقليدى – انتباه كثير من الاجتماعيين وقد كان روبرت بيلا من أكثر الدارسين للدين المدنى الأمريكى وقد ركـــز بـــيلا على بعد الرجوع إلى الإله أو الجانب المتسامى فى تحليله للخطب الرســمية التى يلقيها الزعماء فى المناسبات القومية مثل يوم إعلان الاستقلال أو يـــوم توليتهم الحكم أو فى أوقات الأزمات أو الانتقال . وقد وجد بيلا من تحليله أن بعد الرجوع إلى الإله و الرسالة المتسامية لأمريكا قد ظهرت فـــى أحاديـــث وخطب الزعماء فى تلك العبارات " نحن الأمة التى تحت الإلـــه " . " نحـــن نثق فى الإله " وقد أشار بيلا إلى أن الدين المدنى الأمريكى قد مـــر بـــثلاث أزمات أساسية أدت إلى تقويته وتشكيله على هذا النحو :

أ- حرب الثورة . وقد خرجوا من هذه التجربة يمجـــدون واشـــنطن ويعظمونه فهو الذى خلصهم من الاستعباد والقيود

ب- الحرب المدنية . وقد خرج الأمريكيون من هذه التجربة يعظمون لينكون وينظرون إليه على أنه أوجد الحرية من جديد ووهب حياته للحرية ولأمريكا .

ج- تعايشها أمريكا الآن فأمريكا فى منتصف الأزمة الثالثـــة فهـــى تكافح من أجل إحساسها برسالتها تجاه الدول الفقيرة ويرى بيلا أن موقـــف أمريكا من الأحداث الجارية فى العالم سيكون هاما بالنـــسبة لتطـــور شـــكل أمريكا فى القرن القادم[١٠] .

ويذهب بيلا إلى أن هذا الدين يؤكد على محاكمة أمريكا فـــى حالـــة فشلها فى أن تعيش وفق مبادئها، فهو يتضمن الجانب النقدى والاهتمام بجانب

التطور والتقدم . فمثلا الخطاب الذى صدر من مارتن لوثر كينج خطاب نقدى يدفع فيه الأمريكيين إلى التطور والتقدم . وقد أشارت سيدنى ميد إلى أن الدين المدنى فى أمريكا ليس فقط طريقة الحياة الأمريكية أو تقديس التمركز العنصرى، ولكنه صوت ونفس الأمة وهو ذو طبيعة نبوية . وأن الفشل فى العيش وفقا لصوت الأمة وأهدافها – التى هى أهداف نبيلة فى طبيعتها – يجر العقاب والحساب للأمة، وطبقا لبيلا وميد يعتبر الدين المدنى حارسا ومراقبا لأفعال الحكومة ويجب أن تلتزم بالمبادئ النبيلة التى يقوم عليها الدين المدنى. ومن هنا نرى أن الدين المدنى يقدم مستويات الحساب والمحاكمة لسياسة الحكومة .

تعارض مارتين مارتى آراء بيلا وميد . وتذهب إلى القول بان الدين المدنى ليس كهنوتى أو نبوى. كما ترى إذا كان هناك احتمال أن يقدم أساس إصلاحى أو حسابى للحكومة. فهو غالبا ما يصادق على الوضع القائم ويعمل على ثبات النظام فالأمة ليست تحت الإله ولكن اسم الإله يستخدم ببساطه فى تقديس أفعال الأمة وترى مارتين أن هذا الشكل الدينى الجديد يشبه الوثنية.

وبعض الدارسين ينظر إلى أن الدين المدنى غالبا ما يكون أساسا للصراع داخل الأمة – وليس كما يعتقد الكثير فى أنه أساس الوحدة – فالمدافعون عن الحقوق المدنية للملونين وكذلك المنضمون للحركات الاجتماعية أقاموا دعواهم وقضاياهم على كتاب الدين المدنى الأمريكى . وبذلك يستخدم الدين المدنى كأيديولوجية شرعية لأى حركة اجتماعية .

والدين المدنى معقد ومتعدد الوجود ومتعدد الكتب فهناك كتاب رسمى وكتاب شعبى ويمكن تحديد أربعة أنماط من الدين المدنى :

١- رسمى – نبوى Official– prophetic

٢- رسمى – كهنوتى Official- priestly

٣- شعبى نبوى folk- prophetic

٤- شعبى كهنوتى folk - priestly

وقد درس هيربرج الدين المدنى وخاصة كتابه الشعبى أى العامى وقد ركز على الوظائف الكهنوتية كما ركز على قيم الحياة اليومية والشعور بالتقديس عند عامة الأمريكيين . وقد وجد ان كلا من الكاثوليك والبروتستانت واليهود فى أمريكا يعبدون طريقة الحياة الأمريكية ووصل إلى ان " الأمريكية Americanism تمد الأفراد بمجموعة من القيم الهامة التى تعتبر نسق الإيمان المركزى لدى الأمريكيين(١١) .

سادساً : الأنشطة الدينية

يمارس كل من المسلمين والمسيحيين أنشطتهم الدينية فى حرية كاملة من حيث أن الدستور المصرى يكفل حرية العقيدة الدينية ويكفل معها حرية ممارسة الشعائر الدينية

والقانون المصرى يعاقب كل الذين يعتدون على المقدسات الدينية الإسلامية والمسيحية كما يعاقب الذين يمنعون الغير من ممارسة شعائرهم الدينية .

ويمارس المسلمون شعائرهم على أساس من المذهب السنى من حيث أن المذهب الشيعى الذى استقر فى مصر على أيام الفاطميين قد قضى عليه فى أيام الأيوبيين وعادت مصر سيرتها الأولى وأخذت تمارس شعائرها الدينية على أساس من المذهب السنى .

أما المسيحيون فيمارسون شعائرهم على أساس من مذاهب ثلاثة هى: الأرثوذوكسية والكاثوليكية والبروتستانتية .

والمذهب الأول هو الأقدم من حيث أن الكاثوليكية والبروتستانتية لم تصبحا من مذاهب الكنيسة المصرية إلا منذ الحملة الفرنسية والاحتلال البريطانى

المذهب الأرثوذوكسي هو مذهب الكنيسة المصرية والذى من اجله تعتبر نفسها كنيسة وطنية .

لقد استقلت الكنيسة المصرية بهذا المذهب منذ القرن الثالث تقريبا وقد كان ولا يزال المذهب السائد فى مصر ويمارس جل الأقباط أنشطتهم على أساس منه.

وهنا يمكن أن نشير إلى أن النشاط الذى يبذل فى مجال العقيدة الدينية إنما يبذل من جميع المنتمين لهذه العقيدة أو تلك من حيث أن هذا النشاط القلبى والذهنى يبذل من الأطفال تقليدا للآباء والأمهات من حيث أن انتماء الإنسان للعقيدة إنما يتم منذ الطفولة وبمقتضى الولادة .

وهنا نستطيع أن نشير إلى أن بعض أنواع هذه العبادات تصاحبه ظواهر اجتماعية لابد من الإشارة إليها والتأكيد عليها فالصلاة مثلا عبادة وصلاة الجماعة فيها ظاهرة اجتماعية ولكن صلاة الجمعة عند المسلمين وصلاة الأحد عند المسيحيين فيها ظواهر اجتماعية تتعلق بخطبة الجمعة وموعظة الأحد من حيث أن فيها توجهات اجتماعية تكون باسم الدين(١٢) .

والصوم مثلا فيه ظاهرة اجتماعية تتعلق بالعناية بالمحرومين من القوت الضرورى وفيه ظاهرة أخرى هى أن نهاية الصوم فى الغالب تكون عيد فصوم رمضان عند المسلمين يقع قبل عيد الفطر مباشرة ويسبق العيد الأكبر صوم يوم عرفات وهو سنة وليس فرض والصوم الكبير عند الأقباط يأتى لعده عيد القيامة وصوم الميلاد فى السابع من يناير والزكاة تلبى

احتياجات الفقراء والحج له ظواهره الاجتماعية ولكنها الظواهر التـــى تقـــع خارج مصر فهى عند المسلمين فى مكة والمدينة وهى عند المسيحيين فـــى بيت المقدس وهناك أنشطة دينية أخـــرى لا تـــدخل فـــى صـــميم الفـــرض والواجبات الدينية وان تكن مبذولة فى سبيل متطلبات الحياة الدينيـــة هـــذه الأنشطة تتعلق بالأيام الدينية أو بالمناسبات التى لها علاقات دينية واضـــحة عند المسلمين مثلا تتم الاحتفالات الدينية فى المؤسسات الدينية أيام وليـــالى من كل عام مثل ليلة الإسراء والنصف من شعبان وليلة القدر ويوم عرفـــات وتتم الاحتفالات على مدى أوسع فى العيدين الصغير والكبير وفى مولد النبى عليه السلام وذكرى الهجرة وفى غزوة بدر الكبرى التى كـــان لهـــا أثرهـــا البارز فى تاريخ الإسلام وهذا إلى جانب بعض العادات والتقاليد الدينية التى تتعلق بالموالد موالد أهل البيت والمـــشهورين مـــن الأوليـــاء ممـــن يـــرى الصوفيون أن الاحتفال بهم أمرا لابد منه ويقومون بذلك بعد الإذن من جهات الأمن وأشهر هذه الموالد موالد أهل البيت من أمثال مولد الحسين والـــسيدة زينب والسيدة عائشة والسيدة نفيسة والسيدة سكينة و فاطمة النبوية وعلـــى زين العابدين وأشهر موالد الأولياء السيد البدوى وإبراهيم الدســـوقى وأبـــو العباس المرسى وعبد الرحيم القناوى والرفـــاعى والبيـــومى وأولاد عنـــان وغيرهم كثيرون وعند المسيحيين نجد عيد ميلاد المسيح وعيد الغطاس "أحد الزعف" عيد القيامة استشهاد مـــارىجرجس واستـــشهاد مـــارى مـــرقص واستشهاد القديسة دميان ودخول السيد المسيح أرض مـــصر عيـــد المـــلاك ميخائيل وعيد الرسل وعيد النيروز وعيد الصليب وعيد استـــشهاد مارمينـــا وتصاحب هذه الأيام وهذه الأعياد ظواهر اجتماعية معروفة فيهـــا ذكـــر الله وتناول الطعام والملاهى وما إلى ذلك(١٣) .

المراجع

١- سامية مصطفى الخشاب، علم الاجتماع الإسلامى، ط٢، دار المعارف، ١٩٨١، ص ص ١٥-١٦.

٢- سامية مصطفى الخشاب ، دراسات فى الاجتماع الدينى ، الكتاب الأول ، علم الاجتماع الدينى دار المعارف ، ط٢ ، ١٩٩٣ ، ص ص ٢٣-٢٦

٣- زيدان عبد الباقى ، علم الاجتماع الدينى ، مكتبة غريب ، ١٩٨١ ، ص ٣٩

راجع :

- الجمعية العربية لعلم الاجتماع ، ندوة الدين فى المجتمع العربى : من ٤ : ٧ إبريل مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٩

٤- المرجع السابق، ص ص ٤٠- ٤١.

٥- محمد أحمد بيومى، علم الاجتماع بين الوعى الإسلامى والوعى المغترب، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٣، ص ص ٥٤٨-٥٥٠

٦- المرجع السابق، ص ص ٥٥١ – ٥٥٣.

٧- سامية مصطفى الخشاب، علم الاجتماع الدينى، مرجع سابق، ص ص ١٣٦- ١٣٧.

٨- سامية مصطفى الخشاب، علم الاجتماع الإسلامى، مرجع سابق، ص ص ١٧-١٩.

راجع:

- محمد أحمد بيومى، علم الاجتماع الدينى ومشكلات العالم الإسلامى، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢.

٩- سامية مصطفى الخشاب، علم الاجتماع الدينى، مرجع ســـابق، ص ص ١٦١- ١٦٢.

١٠- المرجع السابق، ص ١٦٣.

١١- المرجع السابق، ص ص ١٦٤ - ١٦٥ .

١٢- المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائيـــة، المـــسح الاجتمـــاعى الشامل، مرجع سابق، ص ٦٨٩.

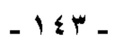
١٣- المرجع السابق، ص ص ٦٩٠- ٦٩١.

الجزء الثانى

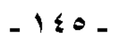
عرض
لعدد من الدراسات المحلية
والعالمية حول الدين



الفصل السادس
الدراسات العالمية



الدراسة الأولى
التنشئة الدينية للشباب



١- التنشئة الدينية للشباب[١]

تتطلب عملية التربية الدينية للشباب، أن تقوم المؤسسات الدينية بالعمل الجاد وفق مخطط مقنن يبدأ تنفيذه فى مرحلة الطفولة والمراهقة وصغار الراشدين على أن يكون الهدف الأساسى لهذا العمل متمثل فى تفعيل إمكانات الالتزام بالقيم الدينية وترجمتها فى سلوك تفاعل اجتماعى بناء، ولابد أن يفهم القائمين على هذه العملية ما يمكن تسميته بخصائص ومطالب النمو النفسى لكل مجموعة عمرية Age groups ، وبالتالى تطبيق استراتيجيات وطرق تعليم تتناسب أو تتسق مع هذه الخصائص والمطالب وأيضاً حتمية فهم والتسليم بالفروق والاختلافات بين الأجيال.

١) الالتزام الدينى فى المراحل النمائية المختلفة:

نوضح فى الجزء التالى كيف أن الالتزام الدينى تختلف المؤشرات السلوكية الدالة عليه من مرحلة نمائية إلى أخرى، مع توضيح دلالة هذا الاختلاف بالنسبة لاستراتيجيات وطرق التربية الدينية.

أ) الأطفال

يمكن القول للوهلة الأولى بأن الالتزام الدينى لدى الأطفال قضية لم تحظى بالاهتمام الكافى من قبل المؤسسة الدينية، على الرغم من وجود العديد من الفرص الرسمية وغير الرسمية التى يمكن أن تستخدمها المؤسسة الدينية فى غرس هذا الالتزام وجعله قيمة ذاتية يصدر بشكل طوعى من الأطفال ومن الطرق الأساسية للقيام بذلك:-

- أن يهدف رجال الدين التربية الروحية للأطفال من خلال استراتيجيات بناء العلاقات الاجتماعية، والنمذجة، ولعب الدور، والتدريس والتوجيه المباشر.

- أن يخضع الأطفال لخبرات حياتيه فعلية يتجسد فيها الالتزام الــديني فى النماذج السلوكية التى يتفاعلون معها.

وتجدر الإشارة إلى أهمية مراعاة طبيعة الطفل وسياقات التفاعل التى يتواجد فيها فعلى الرغم من أهمية المؤسسة الدينية الرسمية فــى تعميــق الالتــزام الدينى، فإن الطفل يتعلم وينمو أخلاقياً ودينياً فى سياق اجتمــاعى طبيعــى وغير رسمى ومهما كانت المرحلة النمائية للمرء فإن الإيمان والالتزام الدينى يرتبط بجميع مظاهر النمو النفس للإنسان.

النمو المعرفى: Intellectual development

يفكر الأطفال بصورة عامة بطريقة عيانية أو حسية، فالأطفال غير قادرين على الاشتراك فى عملية التفكير الشكلى أو المجرد، ولهذه الخاصــية تأثير كبير على محتوى ما يسعى رجال الدين والتربية إلى تعليمه للأطفــال فيما يتعلق بالحياة الدينية والعلاقة مع الله عز وجل، وكذا على الطريقة التى يتبعونها فى تحقيق ذلك، وللقصص Stories التأثير الأكثر فعالية فى تعلــيم محتوى العقيدة أو الإيمان Faith للأطفال، ولكن يتطلب الأمر كذلك تنميــة إمكانيات الأطفال فى ترجمة الدلالة الروحية والسلوكية لهذه القــصص فــى حياتهم الشخصية.

النمو الاجتماعي : Social Development

إن حياة الطفل خاصة فى السنوات الأولى تتمركز بشكل كبير حول فعالية وخبرات وأنشطة الحياة الأسرية، على الرغم من أن الأطفال وعنــد مرحلة زمنية معينة يبدءون فى التحول إلى العالم الخارجى، والتفاعــل مــع الرفاق فى المدرسة والمجتمع، لذا تعد الأسرة هى المنــاخ التربــوى الأول الفاعل وذو التأثير النافذ إلى كل مظاهر النمو النفس بما فيه النمــو الــدينى

والأخلاقى لذا فإن على المؤسسة التربويـــة والدينيـــة أن تتعـــاون وتنـــسق إجراءات التربية الأخلاقية والدينية مع الأسرة.

النمو الإيمانى أو الدينى : Faith Development

يعد البيت بناء على نظرية نمو الإيمان أو الدين هو الركيزة الأولى والأساسية فى التنشئة الإيمانية للأطفال، حيث ينمو فهـم الأطفــال لمفهــوم الألوهية من خلال تشربهم لأفكار الكبار اللــذين يتفــاعلون معهــم، ولـــدى الأطفال قابلية لفهم وقبول ما يتم تعليمه إياهم دون إعمال للعقل أو دون نقــد فهم ينسخون ما يعتقد فيه الآخرون دون أن يكون لهم معتقــداتهم الذاتيـــة أو الخاصية، ويبدو أن للخيال والطقوس دوراً هاماً فـــى نمـــو الإيمـــان لـــدى الأطفال.

ويحتاج قادة الشباب لكى يكسبوا الأطفال قيمة الالتزام الدينى التـــى يبدو أنها يوجد بينها وبين النمو الإيمانى لدى الأطفال تمـــاس Tangential إلا أن الالتزام الدينى يبدو أنه يمثل بالفعل قلب أو محور التربية الدينية ولكى يتم تحقيق ذلك تبدأ إجراءات التنشئة الدينية قبل أن يولد الأطفال، وذلك وفقاً لبرامج الإرشاد قبل الزواج وقبل الإنجاب Pre-marriage and pre-child birth counseling ، ومساعدة الزوجين على إقامة حياة أسرية صـــحية، وتنمية مهارات الوالديه والتدريب على إجراءات التنشئة الدينية، ومـــساعدة الآباء على تشجيع الأطفال للالتزام بالشعائر الدينية، ومساعدة الآبـــاء علـــى نمذجة القيم الدينية لأطفالهم بمعنى أن يكون الآباء نماذج سلوكية حسنة أمام أطفالهم.

ب) المراهقون: Teenagers

ينظر إلى سنوات المراهقة بوصفها سنوات صـــعبة ويحـــدث فيهـــا تغييرات نمائية حادة تمهد لمرحلة الرشد وتشمل هذه العمليات التحول مـــن الاعتماد المطلق على الآخرين والتمرد عليهم إلى الاستقلال العقلانـــى عـــن الآخرين وأخيراً إلى الاستقلال التفاعلى مع الآخرين، ويوجد مجموعة من ما يمكن تسمية بأزمات النمو تؤثر بشكل أساسى على النمو الدينى للمـــراهقين منها: الضغط الذى يقع عيهم من قبل الأقران، اغتـــرابهم عـــن مؤســـسات المجتمع، عملية الاستقلال النسبى عن الآباء، الرغبة الجارفة فى التمرد على السلطة فى سبيل تدعيم النزعة الفردية، المحاولة الجادة والدءوبة للبحث عن معنى وفلسفة للحياة وما يرتبط بذلك من ظاهرة الضلال أو الشك الدينى كأحد مظاهر ميل المراهقين لمراجعة والتفكير فى القيم والموروثـــات التقليديـــة، التناقض الحاد والواضح بين استغراق المراهقون فى الانفعال الجارف بالقيم والمعتقدات الدينية، وما قد يظهر على سلوكهم الفعلى من ابتعاد مؤقت عـــن هذه القيم والمعتقدات بمعنى أنه قد يصدر عن المراهقين سلوكيات لا تتـــسق بشكل أو بآخر مع ارتباطاتهم الوجدانية القوية جداً بالقيم والمعتقدات الدينية. ومن أخطر أزمات النمو النفسى فى هذه المرحلة أن المـــراهقين يـــستنفذون طاقاتهم المعرفية والانفعالية فى التوافق Coping مع التغيـــرات النمائيـــة الحادة التى تبدأ فقط عند البلوغ Puberty بعد فترة سكون وهـــدوء وبـــطء نمائى واحد فى مرحلة الطفولة المتأخرة، وهذا الاستهلاك يعيق بطبيعة الحال النمو الروحى وفى ضوء التناول السابق يمكن التقاط بعـــض دلالات الفهـــم النمائى لمرحلة المراهقة على النحو التالى:-

النمو العقلى

يتعلم المراهقون التفكير بطريقة جديدة فلقد تحول من التفكير الطفولى الذى هو مادى أو حسى الطابع وقائم على القبول والتسليم القطعــى ، إلــى تفكير المراهق الذى هو تفكير مجرد ورمزى الطابع وقــائم علــى الــشك والتساؤل. فهم يقومون بعملية إخضاع كل شئ للتساؤل والمحاكمــة النقديــة الصريحة حتى للأشياء التى كانت تبدو لهم كمسلمات أو كمعتقدات غير قابلة للنقاش فيما مضى، وهذه عملية حيوية وجوهرية بالنسبة للارتقاء النفسى نحو الرشد Adulthood.

نمو أو تكوين الهوية: Identity Development

عندما ينتمى المرء إلى عقيدة ما فإنه يطور فى الواقع هوية إنسانية مميزة تمثل توجه بنائى سيكولوجى له أسسه ومنطلقاته الخاصــة ، ويــرى "James Marcia" أن هناك احتمال لأن تنتمى عملية تكوين الهويــة لــدى المراهق إلى أربع صيغ مختلفة:

- الشخص ذو الهوية المائعة أو غير المحددة:

Identity Diffused person

والتى تميز الشخص الذى لم يمر بأزمــة هويــة Identity Crisis والــذى يرفض بالتالى أى التزام بمجموعة قيم ومعتقدات معينة.

- الشخص ذو الهوية المنغلقة أو المانعة:

Identity Foreclosed person:

وهو الشخص الذى فشل فى أن يخبر أية أزمة هوية، ولكنه نجح فى إنشاء تعهد أو التزام Commitments ، وهو ذلك الشخص الذى لا يتساءل مطلقاً عن هويته ?Who am I والذى يكتسب نسق قيمه الدينية عن طريــق القهر من قبل الآباء.

- الشخص ذو الهوية المؤجلة:

Aperson in Identity Moratorium

وهو ذلك الشخص الذى يعانى من أزمة هوية ولكن لم يستطيع التوصل إلى تعهد أو التزام بقيم ومعتقدات معينة.

- الحالة المرغوبة والتى يمكن تسميتها بالهوية المحققة:

Identity achieved وتوجد هذه الحالة حال نجاح المراهق فى حل أزمة الهوية المرتبطة بأزمات النمو النفسى بشكل عام، ونجاحه كذلك فى صنع والالتزام بهوية دينية خاصة به.

ومن المتفق عليه بين غالبية المتخصصين فى الميدان أن رجال الدين وقادة الشباب يجبرون المراهقين على تبنى الهوية المنغلقة أو الجامدة Identity Foreclosur عندما يخبرون المراهقين أن الإيمان أو العقيدة مطلقة الصدق والصحة وضرورة تقبلهم لكل القيم والمتقدات الدينية دون تساؤل، والمطلوب بطبيعة الحال أن يساعد رجال الدين والقادة المراهقين على الاختبار والفحص الناقد للعقيدة من أجل الوصول إلى قبول طوعى يُفّعل صحيح المعتقد والقيم فى سلوك إيمانى يتسق مع الجوهر الحقيقى للدين.

النمو الاجتماعى

تعد جماعات الأقران أهم السياقات الاجتماعية للمراهق، والمراهقون فى مرحلة يكون فيها إيمانهم وعقيدتهم متوقفة أو مرتبطة بالفعل بتوقعات وأحكام الآخرون ذوى الدلالة والأهمية بالنسبة لهم، ويكون معظمهم من خارج نطاق الأسرة، فمعظم مكونات الانتماء الدينى لدى المراهقين نتاج خبرات حياتهم فى أسرهم ، ولكن مع بداية المراهقة يبدأ المراهقون بمحاولات إضفاء الطابع الشخصى على هذا الانتماء الدينى. ولهذه

المحاولات خطوات أساسية منها أن المراهق يبنى تصوراته الدينية فى ضوء التصورات الدينية السائدة فى جماعة الأقران التى ينتمى إليها.

نمو الإيمان والانتماء الدينى: Faith development

تمثل المراهقة منتصف عملية تطور ونمو الإيمان والانتماء الـــدينى وربما يكون المراهقون فى أكثر مراحل نمو الإيمان والانتماء الدينى أهمية، حيث يستشعرون بضرورة اكتساب وتنمية إيمان وانتماء دينى غير معتمـــد على تفسيرات ورؤى رجال الدين والمعلمين، بل اســـتناداً علـــى صـــياغة وتطوير علاقات فريدة ومتميزة مع الخالق عز وجل، ووفقاً لرؤى " James Fowler" يجب أن ينتقل المراهقون من المرحلة الثالثة للإيمان والتى يتشكل فيها الإيمان من خلال علاقات التفاعل الاجتماعى مـــع الآخـــرين، خاصـــة اتجاهات جماعة الأقران، والمتقدات الاتفاقية، إلى المرحلة الرابعـــة والتـــى يتشكل فيها الإيمان والانتماء الدينى بناء على تفسيرات ذاتية خاصة بالمراهق من خلال التأمل والتفكير الذاتى.

وتتميز مرحلة المراهقة كما سبق القول بأنها مرحلة الـــشك الـــدينى والتى تتعرض فيها القيم والمعتقدات الدينية للتساؤل والمراجعة والنقد بسبب اكتساب ونمو قدرات معرفية خاصة أى ما يطلق عليه النمو المعرفى، وأيضاً بسبب نزعة المراهق إلى الاستقلال عن الآباء فى ضوء التطـــور المـــرتبط بالنمو الاجتماعى، وبالتالى يمكن تفسير ميل المراهقون لـــرفض المعتقـــدات والسلوكيات والمعتقدات الدينية، وعلى رجال الـــدين وقـــادة الـــشباب دعـــم ومساندة محاولات المراهقين للبحث عن الإيمان والانتمـــاء الـــدينى، وتعـــد مرحلة التساؤل Guestioning المحاولة الأولية للتحول من الإيمان والانتماء الدينى سابق التجهيز أو المستعار إن جاز القول، إلى الإيمان والانتماء الدينى

الناضج والشخصى إن صح التعبير، وهذا يتفق مع رؤى "David Elkind" حول التطور الدينى حيث يلحق الدين تغيرات من كونه نشاط إى ممارسة لشعائر بشكل آلى إلى نسق معتقدات Belief system أى إيمان شخص أو ذاتى، لذا فإن المراهقين يرفضون ما يسمى بالدين المؤسس أى الاجتماعى Institutional religion مفضلين الإيمان الشخصى أو الخاص إن صح القول ، لذا على رجال الدين وقادة الشباب أن يتوقعوا الآتى من المراهقين:

- انتهاء قيم روحية معينة وبداية قيم روحية أخرى.
- القدرة على التوافق مع المستجدات.
- الحاجة إلى نماذج سلوكية حسنة.
- التفكير المثالى والناقد

Idealistic thinking and criticism .

- الإيمان المبنى على الانفعالات

A faith built on emotions.

- الرغبة الحادة فى التمييز بين الصواب والخطأ.

وبناء على ذلك لا ينبغى أن تثار دافعية المراهقين للإيمان والانتماء الدينى عن طريق بث الإحساس بالذنب فى نفوس المراهقين، أو التهديد بالعقاب فى ظل استراتيجية الترهيب.

ج) صغار الراشدين: Young Adults

يوجد مجموعة من الجوانب أو الأبعاد تؤثر على حياة صغار الراشدين وبالتالى على الطريقة التى يعبرون بها عن الإيمان والانتماء الدينى منها:-

القضايا الحياتية: Life issues

يمكن نظم الاختلافات بين صغار الراشدين والمراهقين استناداً إلـــى التساؤلات التى يستشعر صغار الراشدين بالحاجة الملحـــة للإجابـــة عليهـــا مثل:-

- ما الذى يتعين علىّ فعله فيما يتبقى لى من عمر؟
- من يتعين علىّ الزواج منها؟
- ما الذى يتعين علىّ فعله فيما يتعلق باكتساب لقمـــة العـــيش أو العمل بمهنة معينة؟

هذه المسائل وغيرها لا يمكن بأى حال من الأحوال طرحها جانبـــاً عند التنشئة الإيمانية أو الدينية لصغار الراشدين، بل يجب أن تشكل الأرضية التى تبنى عليها إجراءات التنشئة الدينية.

دورات الحياة أو مراحل الحياة: Life stages

يمثل صغار الراشدين أكثر من مرحلة حياتية مقارنـــة بـــالمراهقين اللذين هم متواجدون أساساً فى المدرسة، أما صغار الراشدين فلربما يكونون ما زالوا فى الدراسة، ويعملون ، غراب، متزوجون ولا يعولون، متزوجون ويعولون أطفال ، مطلقون، منفصلون .... إلخ . هذا التعدد قد يحـــول دون صياغة مدخل تعليمى دينى موحد للتطبيق على مختلف أوضـــاع وشـــرائح صغار الراشدين.

نمو الإيمان أو الانتماء الدينى

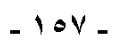
يمر صغار الراشدين بمرحلة حياتية يختبرون فيها نسق معتقـــداتهم الخاصة. وربما هم فى حاجة ماسة إلى التوافق مع القيم والمعتقـــدات التـــى تبنوها بشكل اختيارى أو طوعى، ولكنهم بطبيعة الحال أقل ارتباطاً بجماعات

الرفاق، فإيمانهم وانتمائهم الدينى ذا طابع فردى، وعلى الرغم من أنهم يمتلكون هذا الإيمان والانتماء الدينى إلا أنهم فى حاجة إلى مساعدة نوعية ليمس هذا الإيمان كل جانب من جوانب حياتهم ، ويتم فى هذه المرحلة صياغة التوليفات الفكرية التى يتوصل إليها فى مرحلة المراهقة، إلى صيغة واحدة متكاملة فى التفكير والحياة، وبالتالى فإن إجراءات وممارسات التربية أو بالأحرى التوعية الدينية لصغار الشباب تختلف بشكل كلى عن ممارسات وإجراءات التربية الدينية للأطفال، فبينما يتوافق الأطفال بشكل جيد مع مواقف التعليم الرسمى، يتعلم صغار الراشدين من الخبرات غير الرسمية، لذا على رجال الدين والقادة تزويدهم بصيغ تدخل فى سياقات ينمو فيها إيمانهم وانتمائهم الدينى وهم يقومون بخدمة الآخرين.

المـراجع

١- عرض وتحليل لمقابلة

Youth and Discipleship in the commitment level model, 1999. http://www.yoth.co.za/model/ages.htm



الدراسة الثانية
الشباب والالتزام الدينى

٢- الشباب والالتزام الدينى[1]

الشباب والنمو الدينى : Youth and faith Development

إن أهم هدف تسعى إليه المؤسسة الدينية مهما كانت العقيدة التى تتبناها يتمثل فى ترسيخ محددات وثوابت الإيمان فى نفوس معتنقى هذه العقيدة ومساعدتهم على ترجمة القيم والمعتقدات الدينية إلى سلوكيات أخلاقية. وتنطلق أى مؤسسة دينية فى إجراءاتها الدعوية من مفهوم واضح ومحدد للإيمان faith يتسق مع جوهر العقيدة التى تؤمن بها ، ومع ذلك يوجد حتمية للوصول إلى مفهوم عام للأيمان faith يجمع المحددات والعناصر الأساسية للإيمان بغض النظر عن ارتباطه بعقيدة دينية مضيئة .

١- تعريف الإيمان :-

طُرح فى التراث الأدبى لنمو الإيمان تعريفات متعددة إلا أن معظمها تدور فى فلك الأبعاد والجوانب السيكولوجية لهذا المفهوم ، إلا أننا نستطيع أن نحدد ثلاثة جوانب يمكن أن تنتظم تعريف الإيمان وهى :-

أ- العنصر العقلى Intellectual element والذى يتعلق بالمضمون المعرفى للإيمان ، فعندما يتبنى الإنسان عقيدة معينة فإنه يطور ويكتسب مجموعة من المعلومات حول الأبعاد والمحاور الأساسية لهذه العقيدة .

ب- العنصر الانفعالى :- Emotional element والذى يتعلق بالتقبل النفس والارتياح السيكولوجى للبنية المعلوماتية وللطقوس والشعائر الدينية للعقيدة وبالتالى الترجمة السلوكية النشطة لهذه الشعائر والطقوس .

ج- العنصر الطوعى أو الاختيارى للإيمان بوصفه أولا قبل كــل شــئ اختيار إرادى The Volitional element مما يرتبط بشكل كبير بالاستجابة والتصرف الإيجابى التلقائى لقيم ومعتقدات هذه العقيدة ، وهنا تأكيد مطلق على مفهوم الطاعة والإذعان .

والاهتمام الأساس لعملية التربية الدينية للشباب يتوقف على ما الذى نتوقعــه من مَن ينتمى إلى عقيدة معينة ؟ وما هو كم المعلومات المفترض أن يتــوفر لدى الشخص ؟ وتتفق معظم المرجعيات الدينية على أن المحكين الأساسيين للالتزام الدينى هما الاقتنــاع ، والطاعــة Conviction and obedience وسنتناول بشىء من الإيجاز ثلاث نظريات مفسرة لنمو الإيمــان والالتــزام الدينى تنتسب على التوالى " James fowler " و " John westerhoff " و " Burce powers " ولكن قبل أن نستعرض هذه النظريات من المهم فى هذا الإطار أن نتريث لنفكر فى مدى صدق Validity ومشروعية التحــول إلى المتخصصين فى النظريات الارتقائيــة development of theorists للتبصر Insights حول إشكالية عظمى فى هذا المجال مفادها " هل الإيمان موضوع قابل للتغيير ، أم هو موضوع مرتبط بــالتطور الارتقــائى عبــر مراحل النمو المختلفة "

<u>٢) علم النفس الارتقائى ، والتحول أو التغيير :-</u>

طرح william Hendricks , 1980 فى كتابــة " اللاهــوت والأطفــال A theology for children بعض الرؤى المفيدة والقابلة للتطبيق فى هذا المجال مؤدى هذه الرؤى أنه لو أُخذ بالمنظور الارتقائى أو النمائى للإيمــان فإن ذلك يعنى أنه من المحتم Inevitable أن يكتب جميع الأطفــال أنمــاط سلوكية واحدة يؤدونها بشكل طبيعى وثابت حسب المرحلة النهائيــة التــى

يمرون بها . وبالتالى فإن الفجوة بين النظم الدينية واسعة جدا وخطيرة فـــى نفس الوقت ، أما لو انطلقنا فى التحليل من المنظور التحويلى Conversion تصبح الخبرة ، وأنها خبرة قد لا تبنى على أية خبرة سابقة للطفل ، وعليه تصبح الفجوة بين النظم الدينية قابلة للتجاوز . ويمكن زيارة توضيح ذلك فى ضوء أن العلوم الارتقائية أو علم النفس الارتقائى يسعى إلى صياغة تصور عام عن كيف يتعلم الأطفال وكيف يفكرون وكيف يسلكون ولا يحاول علـــم النفس الارتقائى تنظيم أو تقدير كيف يمكن أن يتفاعل الأطفال بشكل وظيفى فى مختلف مجالات حياتهم . فإذا ما فهمنا النمو بوصفه دراسة وصفية لكيف يخبر ويرتبط الأطفال بالواقع ، يمكننا أن نقرر أن علـــم الـــنفس الارتقـــائى يساعد المتخصصين فى التربية الدينية فى تقويم ووصف وشـــرح الخبـــرة الدينية ، وأيضا خبرة التحول النوعى فى البناء الدينى لدى الطفل .

٣) نظريات النمو الدينى والالتزام الدينى:

Faith Deuelo pment theories

أولا : جيمس فويلر James fowler

يرى فويلر أن الإيمان خبرة إنسانية طبيعية ، وليس مجـــرد نـــشاط وشعائر وطقوس دينية معينة وينطلق تعريفه للإيمان من منطلقات وجوديـــة بمعنى أن الإيمان يستند على الخبرة الذاتية ويدور فى إطارها Experience oriented . وأيضا من منطلقات تؤكد على مفهوم النـــسبية Relativistic بمعنى أن الإيمان لدية لا يرتبط بالمنطلقات أو الأفكار ذات الطابع المطلق . وبناء على ذلك توصل إلى تعريف للإيمـــان بأنـــه: شـــئ يطـــوره النـــاس ويطورون طرق محددة للتعبير عنه واختباره بالنسبة للذات ، والآخرون ، و العالم بشكل عام. (كما ينشئه الناس as they construct them وترتبط هذه الخبرة وتتأثر ببعض القيم والمعتقدات المطلقة عن الوجود ، وتشكل فى

نفس الوقت الأهداف والمعانى التى يسقطونها على حياتهم ، ومن أهم خصائصه الثقة والولاء فى ضوء خصائص محددة للوجود ، وتتحدد أيضا استنادا إلى القيم والقوة المرتبطة بالحالة المطلقة للوجود .

وقد اقترح كذلك نموذج ثلاثى الأبعاد لنظم وتشكيل الإيمان بوصفه موضوع يتطور ، وجودى ، ونسبى قائم على اشتراك وتفاعل الذات والآخرون والتفاهم حول مجموعة من القيم والمعتقدات المطلقة وذات الصدق المطلق .

ومثلما يمر الطفل فى مراحل نمائية محددة بالنسبة للنمو الأخلاقى والعقلى فإنه يمر بمراحل محددة للنمو الدينى أيضا ، وهذه المراحل ذات طابع تنبؤى ومحدد وثابت ومتعاقب أى متصل الحلقات ، والاختلاف يحدث فقط فى محتوى الإيمان وفى مدى تطور الإيمان لدى الطفل ، وقد صاغ مراحل تطور الإيمان بناء على الرؤى النظرية لجان بياجية، وإريك اريكسون ولورانس كولبرج ، وقد توصل إلى تحديد ست مراحل نمائية محددة للنمو الدينى ، وعندما تحدث عن مرحلة المهد وصفها بأنها مرحلة " الإيمان غير المميز أو المحدد undiff erentiated faith وقد سمها أيضا ما قبل المرحلة pre-stage وتتضمن الحاجة إلى الثقة والجرأة ، والأمل ، والحب . والتى ستصبح فيما بعد مكون أساسى من مكونات الإيمان . ويمكن توضيح مراحل النمو الدينى لدية على النحو التالى :-

<u>١) المرحلة الأولى من سن (٣ سنوات إلى ٧ سنوات)</u>

مرحلة الإيمان الحدسى أو التأملى: - Intuitive - projective faith . وفيها يكتسب الأطفال الأفكار المرتبطة بالخالق عز وجل ، والدين بشكل عام من الكبار المحيطين بهم والقائمين على أمور رعايتهم، وبالتالى

يتشكل الإيمان من المشاهدة والاستماع للآباء، ولا يشجع الأطفال أحد علـــى استخدام المدخل الحدسى Intuitive ، وعادة ما يحـــصل الأطفـــال علـــى انطباعهم الأولى عن الله عز وجل من خلال تبنى انطباعـــات أمهـــاتهم أو آبائهم . ومن المعروف أن اللعب التخيلى دور مهم جدا فى تفكير الطفل فـــى هذه المرحلة ، فالأطفال لديهم خيال واسع جدا ويمكن أن يتأثروا بقوة بالأمثلة والقصص المرتبطة بإيمان الكبار .

٢) المرحلة الثانية :- من سن (٨ سنوات إلى ١٢ سنة)

مرحلـــة الإيمـــان الأســـطورى أو الـــسحرى أو الحرفـــى Mythic literal faith يبدأ الأطفال فى هذه المرحلة الانتباه إلى العـــالم الخارجى ، والتمييز بين الواقع والخيال ، ويظل الأطفال فى هذه المرحلـــة مهددون بعدم الثقة والتأكد من العالم ، ويعطيهم الإيمان والاعتقاد فى الخالق إحساسا بالأمن والطمأنينة النفسية ، ويقوم الأطفـــال باعتنـــاق معتقـــدات ، واتجاهات وقواعد بشكل حرفى أو آلى حيث يتقبلون التراث الروحى ببساطة دون طرح أسئلة ، ويتصور الأطفال الله فى هذه المرحلة فى صفية إنـــسانية بوصفه موجودا فى السماء .

٣) المرحلة الثالثة :-

مرحلة المراهقة ويطلق عليها مرحلة الإيمان الإنشائى أو التركيبـــى Synthetic - conventional faith . وهذه هى الصيغة الإيمانيـــة التـــى توجد بين معظم المراهقين ، خاصة وأن حدود عالمهم تبدأ فى الاتساع خارج نطاق أسرهم ، فى ظل توجيه انتباههم إلى الأصدقاء ، والمدرسة ، والعمل ، والفرق الرياضية ، والإعلام ولابد أن يزودهم إيمانهم فـــى هـــذه المرحلـــة بمدخل متماسك وذو معنى بالنسبة لهذه الخبرات الجديدة ، ولا نعنى بكلمـــة

تركيبى أو اصطناعى synthetic الزيف أو الافتعال false ولكن ما تعنيه هذه الكلمة أن الإيمان يتشكل من خلال علاقات التفاعــل الاجتمــاعى مــع الآخرين interpersonal relationships وهذا التوجه يفضى بالــشخص إلى صياغة معنى متكامل لمفهوم الفردية Individualism وهم فى سبيلهم إلى التوفيق بين وجهات نظرهم العقائدية الخاصــة والآراء المتعارضــة أو المتناقضة للآخرين ويؤصل هذا التوجه الاتجاه إلى الالتــزام ممــا يــضفى الطابع الإنتمائى أيضا ، فالشباب لديهم حساسية ووعى خاص بآراء وتوقعات وأحكام الآخرين ذوى الدلالة والجدارة ، وأيــضا فــإن هويــة المــراهقين لا تتشكل بصورتها المتكاملة استنادا فقط إلى رؤاهــم الذاتيــة وتقويمــاتهم وادراكاتهم الخاصة . والإيمان فى هذه المرحلة اتفاقى فى صــيغته العامــة أيضا بمعنى أنه يتأثر ويتشكل إلى حد ما وفق اتجاهات مــن يتواجــد معهم المراهق فى وقت معين والخطر الحقيقى الذى يهدد النمو الــدينى فــى هذه المرحلة يتمثل فى أن الكبار يتصورون أن الإيمان يأتى فــى الأولويــة الثانية بالنسبة للمرهقين. وأنه يفترض أن يقتصر على أداء الشعائر والطقوس الدينية .

لذا فإن العديد من خصائص النمو الدينى لهذه المرحلة تستمر لــدى العديد من الراشدين Adults ويتصور الناس الله فى هذه المرحلــة بكونــه مصدر شخص للإرشاد والتوجيه ، ولكن بصورة أقل تجسيدا أو تشخص من المرحلة السابقة .

<u>٤) المرحلة الرابعة (بداية الرشد) :</u>

مرحلة الإيمان القـــائم علـــى التأمـــل الفـــردى - Individuative reflective faith وفى هذه المرحلة يبدأ الفرد فى التمييز بين نظام القيم ، وادراكات وآراء الآخرين – كأحد مظاهر تطوير أو نمو الهوية الذاتية وهنا يتحول الفرد إلى المرحلة الرابعة التى تقبل فيها طواعية المسئولية الشخصية فيما يتعلق بمعتقداته ، وأفعاله واتجاهاته . والإيمان فى هذه المرحلة ذا طابع شخصى . وأنه تأملى يعكس بصدق ما يعتقده الفرد ، وينهمك الناس فى هذه المرحلة فى التفكير الذاتى الناقد ، وفى التحقق والفحص لمعتقداتهم وقيمهم . ويصبحون قادرون على تصور الله بطرق مجردة وليس كناصح أو مرشـــد شخصى .

٥- المرحلة الخامسة :

مرحلة الإيمان الارتباطى Emjunctive Faith (منتصف العمر) .
وفى هذه المرحلة يدرك الفرد الأفكار والانفعالات والدوافع والذكريات التـــى سبق قمعها والتى لم تكن فى حالة عمل والتى سبق اكتسابها مـــن العوامـــل الوالدية والأخلاقية والدينية بوصفها محددات ذات تأثير على سلوكه الـــدينى الحالى .

وبينما تساعد المرحلة الرابعة الفرد فى وضع الحدود التى يعين فى ضوءها الذات ويفصلها عن العالم ، تصبح هذه الحدود فى المرحلة الخامـــسة أقـــل وضوحا وأقل ثباتا وجموداً .

٦- المرحلة السادسة :

مرحلة الإيمان العام :- universalising Faith وهذه المرحلة نادرة ، وفى حالة وصول الفرد إليها يصبح لهؤلاء الأفراد تأثير على المجتمع ، ويكـــون لديهم اهتمام شديد بعالمية المفاهيم الأخلاقية خاصة التسامح والحـــب غيـــر

المشروط والعدالة المطلقة ، ويكون لديهم تركيز واسع على قيم الحق والخير والعدل ولا يرضون بديلاً عن الخير العام لكل الإنسانية . وتتجسد خصائص هذه المرحلة بكامل مكوناتها فى الأنبياء والمصلحين .

ثانيا : جون ويسترهوف John Westerhoff

استخدم جون ويسترهوف مايطلق عليه المحاكاه عن طريق الحلقات المتتابعة المكونة للشجرة ليصف النمو الدينى حيث تبقى كل حلقة متجسدة فى الحلقات التالية حتى وإن تطورت حلقة أخرى حولها ، وقد عرّف الإيمان بأنه (فعل يتضمن التفكير والانفعال والرغبة ، وهو يتدعم ويتحول ويتسع من خلال تفاعلنا مع مجتمع يعتنق عقيدة معينة)

وقد اقترح جون ويسترهوف أربع مراحل للنمو الدينى هى :-

١- **المرحلة الأولى :** مرحلة الإيمان التجريبى Experienced Faith (أطفال ما قبل المدرسة ومرحلة الطفولة) . وتسمى بمرحلة التأسيس الإيمانى ، فالطفل يجرب ، ويستكشف ويختبر ويتجاوب مع المعتقدات والقيم الدينية عن طريق نسخ إيمان الآخرين ، ومن خلال الملاحظة والتفاعل يبدأ فى اكتساب إيمان خاص به .

٢- **المرحلة الثانية :** مرحلة الإيمان بالانتساب إلى جماعة أو مؤسسة Afflictive Faith (مرحلة المراهقة) .

حيث يتميز إيمان الفرد فى هذه المرحلة بالانتماء القوى إلى جماعة معينة ، وأهم خاصية لهذا النوع من الإيمان الطابع الانفعالى القوى . ويوجد لدى المراهقين إحساس عام بأن لطريقة المجتمع فى فهم الإيمان التأثير الأساسى على القيم والأفعال .

٣- **المرحلــة الثالثــة :** الإيمــان المــرتبط بالبحــث والاستكــشاف Searching Faith (المراهقة المتأخرة) . وهنا تثــار نزعــات الشك والارتياب حول القيم والمعتقدات الدينيــة وتــصبح موضـــع للمراجعة والتساؤل ، وهنا تثار دافعيه المراهقة لتجريب واختبـــار المعتقدات الدينية للآخرين ولطرقهم فى التعبير عن الإيمان .

٤- **المرحلة الرابعــة** : الإيمــان الــذاتى أو الخــاص (الراشــدون) Owned Faith ويصل المرء إلى هذه المرحلة عندما يقبل طواعية إيمانه ويتعايش بسلام مع عقيدته راغبا فى أن تتصف بها. ويبـــذل مثل هذا الشخص كامل جهده لنشر إيمانه وإقناع الآخرين به .

ثـالـثـا : بـرويـس بـورز Bruce Powers

قدم بورز طريقة جديدة فى فهم عملية النمو الدينى ، حيث يرى أن النمو الدينى عملية ذات طابع دورى أو دائرى تساعد الشخص فى التوافق مع مطالب الحياة ، وتتضمن هذه العملية الإدراك العميق بتعاظم الحاجة إلى إعادة إحياء التعاليم الدينية ، وفهم الخيارات والاحتمالات الإيمانية المتاحة أمام الفرد ، والاقتناع بشعائر وطقوس معينة ، وتطبيق المعارف الدينية وتحويلها إلى سلوك عملى حياتى ، وقد صاغ مراحل محددة للنمو الدينى مستفيداً من الطرح النظرى لكل من Fowler , Westerhoff إضافة إلى خبرات ورؤاه النظرية ، وقد ستخدم مفهوم أطوار أو مسارات النمو بدلاً من مصطلح مرحلة النمو.

١- المسار الأول :- التنشئة أو التربية :- Nurture

(من الولادة وحتى سن ست سنوات) . التنشئة هى العمليــة الرئيــسية الأولى التى يتعرض الطفل من خلالها إلى اكتشاف معنـــى الحيــاة. ويعــد الوالدين والمعلمون أكثر الناس فعالية ونفاذاً إلى البنية النفسية للطفل واهــم متغير فارق فى هذه البنية هو الحب غير المشروط وليس الكلمات .

٢- المسار الثانى :- الغرس والتلقين :- Indoctrination

(من سن ٧ سنوات إلى ١٨ سنة) والهدف الأساسى لهذه العملية تتمثل فى الاكتساب والسيطرة على محتوى العقيدة أو الإيمــان ، ويكتــسب هــذا المحتوى ليس فقط من الكتب السماوية أو الدينية المقدســة أو مــن خــلال الاستماع إلى الخطب والمواعظ ولكن أيضا من خلال التفاعل مع ذوى النفوذ والتأثير . ولدى الإنسان فى هذه المرحلة القدرة على إدماج مضمون العقيدة والإيمان فى بنيته النفسية ومن خلاله يستطيع أن يستجيب بفاعلية للقــضايا الحياتية المختلفة ، وتتطلب عملية تعلم محتوى الإيمان وعكسه أو تــضمينه لمختلف مطلب الحياة السيطرة على إجراءات تحسين النمــو الــدينى لــدى الشباب ، ولا يخفى على أحد الدور الحيوى للوالدين والمعلمــين فــى هــذه المرحلة .

٣- المسار الثالث : اختبــار الواقــع : (مــن١٩ إلــى ٢٧ ســنة) .Reality Testing

يحاول الفرد فى هذه المرحلة اختبار المعتقدات والقيم فى ميــدان arena الحياة ليرى هل ستصمد أم تتعرض للانهيار ، وعند هذه النقطــة تتعــرض الرؤى المثالية Idealism التى كونها الفرد فى المرحلة السابقة للاهتــزاز ، وقد يؤدى ذلك إلى تغييرها أو استبدالها بأخرى أكثر واقعية .

٤ – المسار الرابع :– التفضيل والاختيار من البدائل Making choices (من سن ٢٥ سنة إلى ٣٥ سنة)

وفيها قد يصل الفرد إلى إيمان حقيقى قائم على اقتناع شخصى دون تأثير من أى مصادر أخرى، وذلك لقيام الشخص العقلانى بالاختيار من أنساق ومذاهب الإيمان المختلفة.

٥ – المسار الخامس : الإخلاص والورع النشط والفاعل Active Devotion

وتبدأ هذه المرحلة فى سن السادسة والثلاثين تقريبا . وتمثل قمة أوج النمو الدينى وفيها يدافع المرء بكامل ما أوتى من قوة عن معتقده الدينى مظهراً ولاء وإخلاصاً دينيا كبيراً يجسده سلوك إيمانى يفعل كل المعتقدات والقيم الدينية التى تمثل جوهر وروح العقيدة .

رابعا : فون هوجل: Von Hugel

انطلق فون هوجل فى تناول مراحل النمو الدينى من المراحل النهائية الثلاث التى تنظم مسار النمو النفسى بشكل عام وهى الطفولة – المراهقة – والرشد . واصفا المطالب النمائية والأنشطة التى تميز كل مرحلة من هذه المراحل مؤكداً على أن يرتبط الدين بكل محدداته ومكوناته بالحاجات والأنشطة المميزة لكل مرحلة نمائية، واستنتاج بالتالى أن الدين يجب أن يتضمن ثلاث عناصر أساسية: عنصر تأسيسى أو بنائى يتطابق مع حاجات وأنشطة مرحلة الطفولة، وعنصر نقدى يتطابق مع مطالب وأنشطة مرحلة المراهقة ، وعنصر روحانى يتطابق مع مطالب وأنشطة مرحلة الرشد .

وعندما يصل الطفل إلى مرحلة المراهقة فإن ذلك لا يعنى أن مطالب وأنشطة مرحلة الطفولة تختفى ، مرحلة الرشد فإن ذلك لا يعنى أن مطالب وأنشطة المراهقة تختفى بل هى مسألة سيطرة أو سيادة إن صح القول

لمطالب وأنشطة المرحلة النمائية التى يتواجد فيها المرء وتنحـــى مطالـــب وأنشطة المراحل النمائية السابقة وبالتالى فإن الدين يجب أن يـــشمل ثلاثـــة عناصر البنائى ، النقدى ، الروحى .

١ - المرحلة الأولى : الطفولة

العنصر البنائى أو التكوينى institional والاهتمام الأساسى فـــى هذه المرحلة يرتبط بالحركة البدنية والانطباعـــات الحـــسية ، والحاجـــات الأساسية مثل الطعام ، والدفئ ، والحماية ، والود ، وذاكرة الطفـــل تمتلـــئ بالقصص المرتبطة بتاريخ الأسرة وخبرات الحياة ، ويتقبل الأطفال ما يقوله لهم الكبار كحقائق مطلقة ويحتاج الأطفال أيضاً إلـــى التوجيـــه والإرشـــاد المباشر وتعد الحاجة إلى الحب والحماية من أهم الحاجات الانفعالية للأطفال وبدونها لا يمكنهم الثقة فى أنفسهم أو فى الآخرين .

المرحلة الثانية : المراهقة

العنصر النقدى أو الناقد Critical وهـــى مرحلـــة نـــشاط العقـــل وإخضاعه كل شئ للتساؤل ، وخاصة عندما يحاول المراهق اكتشاف وحدة ومعنى للانطباعات الحسية المتعددة ، وللوقائع ، والتعليمات ، والمعتقدات ، والخبرات ، التى تقدم له أو يتعايش معها ، وعادة ما يطور المراهق خطـــة عن المستقبل تعتمد على نظرية محددة عن الحياة ، ويوجد ميل لدى المراهق للتمرد وعدم الطاعة ، ورفض الطاعة القائمة على التقبل دون تساؤل مهمـــا كان مصدر السلطة ، فهم تواقون للنقد ، والقراءة عن والاستماع للنظريـــات المعارضة .

المرحلة الثالثة :- الرشد –العنصر الروحى Mystical

الخاصية الأساسية التى تميز النمو الدينى لمرحلة الرشد تطور ونمو وعى وإدراك قوى بالضمير الداخلى Inner consciousness ، وبتعقد المشاعر والانفعالات داخلنا ، وبما يوحى إلينا من داخلنا ومن خلال الأنشطة التى نقوم بها، والحساسية لوجهات نظر الآخرين عند التفاعل الاجتماعى معهم، وللعمل، وللقراءة ، وآمالنا ، ومصادر اليأس والحزن والفرح والتوقعات، والأشياء المؤكدة والأشياء موضع الشك . وكلما نصبح مدركين لعالمنا الداخلى ينتابنا شعور بالخوف والانجذاب فى نفس الوقت وفى سنوات الرشد نصبح أكثر شعوراً بتعقد حياتنا الداخلية ، وبغموضها وعدم قابلية بعض مكوناتها إلى النقل إلى الآخرين .

<u>الدلالة التطبيقية لنظريات النمو الدينى</u>

إذا ما نظرنا إلى نظريات النمو الدينى نجدها توضح كيف يتطور الإيمان مع تحديد المراحل المختلفة التى تنظم مسار النمو الدينى ، ويتجاهل بشكل عام التناول المفصل لنشأة الإيمان والإجابة على سؤال منطوقه كيف يتشكل الإيمان أو الدين ؟

ومع ذلك يمكنن تلمس بعض الإستبصارات المفيدة فى التنشئة الدينية للنشئ فى ضوء هذه النظريات وهى على النحو التالى :

<u>١ - الدين أو الإيمان مفهوم وحالة دينامية ، وليس مفهوم او حالة ثابتة غير قابل للتغير :-</u>

فقد أوضحت نظريات النمو الدينى كيف أن متغيرات معينة يمكن أن تحسَّن وتسرع النمو الدينى ، أو تعيق هذا النمو ، وكيف أن لبقية ومظاهر النمو الأخرى مثل النمو المعرفى ، والاجتماعى ، الخلقى ، البدنى والانفعالى تأثير مباشر على النمو الدينى .

٢ – يؤثر السياق الاجتماعى بشكل دينامى وفاعل على النمو الدينى:–

للنمو الاجتماعى تأثير هام ومباشر على النمو الدينى ، فأثناء مرحلة الطفولة يكون لمواقف التفاعل الاجتماعى مع الآبـــاء ، ونوعيـــة النمـــاذج السلوكية التى يتعرض لها الأطفال فى البيئة الأسرية تأثير مباشر وفعال على أفكار ووجهات نظر الأطفال عن الخالق عز وجل، وقدرتهم للثقة بالله. أمـــا فى مرحلة المراهقة يتعرض المراهقون للتفاعل الاجتمـــاعى مـــع ســـلطات خارج إطار الأسرة ، وللعلاقات مع الأقران بوجه خاص أهمية فارقة ومميزة خاصة فى مرحلة أزمة الهوية الدينية التى تصاغ أبعادها ومحدداتها فى هذه المرحلة . ولدى المراهقون ميل مباشر للتوفيق والربط بين ما تعلموه ومـــا يقوله الآخرون أو يعتقدون فيه ، ويؤدى هذا الميل بطبيعة الحال إلى مرحلة من الشك والارتياب وعدم الكف عن التساؤل حول قيمة وجـــدوى الأفكـــار والمعتقدات والقيم والاتجاهات الدينية على وجه الخصوص ، ومع الـــسنوات الأولى للرشد يبدأ الناس وربما للمرة الأولى فى التفكير الشخصى العميق فى هذه المعتقدات والتحرك نحو فهم واقتناع ذاتى بمحتوى العقيدة التى يتبنونها .

تؤثر الخبرات السابقة بشكل فعال ومباشر على النمو الدينى الحالى:–

تعكس فكرة المماثلة بين النمو الدينى ونمو الشجرة تتابع حلقات النمو الدينى بشكل يتعذر معه فصل أثر مرحلة نمائية عن مرحلة نمائية أخرى كما سبق أن أوضح " ويسترهوف " . وعند التعامل مع الناس من المهم أن نـــدرك أن الخبرات التى سبق أن حازوها فى الماضى تؤثر بشكل أساسى على الحالـــة العامة لرؤاهم وسلوكياتهم الدينية ، ولهذا الاستبصار أهميته الخاصـــة عنـــد التعامل مع ما يطلق عليه مفهوم الهوية الدينية لدى الشباب، فإذا مـــا أردنـــا

تعديل هذه الهوية وعلاج جوانب القصور فيها علينا أن نقف على الظـــروف السابقة والحالية التى تخلقت هذه الهوية فى ظلها .

<u>٣- تشهد مرحلة المراهقة تحول حاد ونوعى فى النمو الـــدينى والالتـــزام الدينى :</u>

إن الخيط الأساسى الذى يربط بين معظم نظريات النمو الدينى هو أن مرحلة المراهقة فترة ارتياب وشك دينى والتى ترتبط أساسا بتطـــور نمـــو القدرات المعرفية على نحو ما يسميها جان بياجيه بمرحلة العمليات الـــشكلية أو المجردة Formal Operations ، والتى ترتبط أيضاً بحاجة المراهـــق إلى الاستقلال الشخصى عن الوالدين . وما نود التأكيد عليه فى هذا الـــسياق أن مرحلة الشك والارتياب والتساؤل الدائم هذه لا تعنى أن المراهق يعـــانى من أزمة أو مشكلة روحية معينة ، بل هى عملية نمو عادية وطبيعية لابد أن تتهيأ الظروف الاجتماعية والإنسانية الفعالة لمساعدة المراهقة على اجتيازها بشكل آمن. والواقع أن التساؤل أحد ملامح النمو الدينى وعلى رجال الـــدين والآباء والمربين الاستجابة لهذه التساؤلات حتى وإن كانت مثيرة للقلق ، وإلا سيتصور الشباب أن معتقداتهم الدينية لا يمكن أن تصمد أما الفحص الدقيق ، ولكن استجابة الآباء والتربويين ورجال الدين بصراحة ووضوح ودون إهانة أو نقد أو استنكار Condem nation سيقر فى البنية النفـــسية للـــشباب أن الشك هو جانب عادى من النمو النفسى الدينى بشكل خاص .

<u>٤- لابد أن ينشأ الشباب وفقا للمعايير الدينية :</u>

اقتضت حكمة الخالق عز وجل أن ينظم مسار النمو الإنسانى بمرحلة تحول بين الطفولة والرشد وهى مرحلة المراهقة التى يتعين أن تحل فيهـــا العديد من الجوانب أو الإشكاليات النمائية . وإذا ما أراد الإنسان أن يعتنـــق

عقيدة دينية معينة لابد وان يقر فى وعية أن الدين عقيدة وشريعة ينظم بنية الشريعة معايير يجب التسليم بصحتها ، والترجمة السلوكية لها ثانية وفق نهج (افعل ولا تفعل) . وبالتالى لابد وان نساعد المراهقين على التحدث عن صراعاتهم النفسية والسلوكية وأن نساعدهم فى نفس الوقت عى تضمين المعايير الدينية فى هذه الصراعات بطرق إيجابية وفعالة ، وذلك لضمان اعتبار هذه المعايير وسائل تربوية فعالة فى التنشئة الدينية .

<u>٥- يرتبط النمو بالحياة الفريدة والمميزة للفرد .</u>

يجب أن لا نتوقع نفس التغيرات النمائية وبنفس الصيغة لدى كل الأفراد فالمراهقين أفراد فى مراحل مختلفة للتحول النمائى فى مرحلة المراهقة. فقد نجد لدى فرد ميل قوى جداً للصلاة فى بداية المراهقة، بينما نجد لدى آخر ميل قوى جداً للإقلاع عن السلوكيات المعيبة، كلاهما يوجد تغير فى النمو الدينى ولكن تختلف المؤشرات السلوكية الدالة عليه، وقد تكون مرحلة المراهقة فى ظل ظروف اجتماعية وإنسانية معينة فترة سهلة وعادية وبالتالى يتوقع فيها حدوث نمو دينى طبيعى بل سريع الإيقاع ، ولكنها قد تعتبر فى ظل ظروف أخرى فترة نمائية صعبة جداً بالنسبة للبعض منهم لذا قد تستنفذ هذه المرحلة كل طاقات النمو النفسى فى التوافق السلبى مع هذه الظروف وبالتالى يتعذر الوصول إلى النضج الدينى فى صيغته السوية .Faith Maturity

٦- يتضمن النمو الدينى التفاعل بين ثلاثة مكونات المعرفة، الاتجاهات والقيم، والأفعال والسلوك :-

يشمل النمو الدينى لكل المراهقين تعاظم الركام المعلوماتى عن محتوى الدين، وبالتسليم المطلق بالقيم والمعتقدات والاتجاهات ، وبأسلوب حياة يتميز بالطاعة التامة للتعاليم الدينية ، وهذه هى الأسس البنائية للإيمان ، لذا يرى " Neil Anderson " فى كتابة " السير فى الظلام " أن قوة الإيمان تتحدد بعمق المعرفة الدينية عن العقيدة أو المذهب الدينى الذى يتبناه المرء لذا من المهم جداً إسراء وتوسيع البناء المعرفى للناس حول الدين لما لذلك من أثر فعال على النمو الروحى والأخلاقى .

٧- يحتاج الشباب إلى المساندة والدعم والتشجيع غير المشروط:

إن المراهقة مرحلة نمائية حرجة وقد يوجد بها العديد من الجوانب السلبية ، وأى انتقاد يوجهه رجال الدين أو الآباء أو المعلمون يدعم فقط اعتقاد المراهق بعدم جدارته وعدم قدرته على العيش وفق نهج دينى مستقيم، وإذا كانت توقعاتنا مرتفعة جداً وغير عقلية سنميل إلى النقد الدائم وإساءة معاملة المراهقين ، ويؤدى ذلك إلى إعاقة النمو الدينى بل إلى انحراف مساره عن السواء .

٨- يجب أن تعكس عملية التعليم ثوابت النمو الدينى الذى كشفت عنه نظريات النمو الدينى :-

تضع محددات النمو الدينى ضوابط معينة على الطريقة التى يتعلم بها الطفل ، والمراهق ، والراشد وإذا ما اقتربنا وفهمنا خصائص كل مرحلة نمائية واستطعنا أن نحدد بدقة مطالب النمو النفسى لكل مرحله لأمكننا ذلك من صياغة تعليمات وتوجيهات وإجراءات تعليم مناسبة وفعالة .

فالأطفال يتعلمون من خلال ملاحظة آبائهم ، وبالتالى فـــإن عمليـــة التعليم يجب أن تركز على وتدور حول السرة والحياة السرية ويتأثر الأطفال كذلك بشكل كبير بالأمثلة والقصص الدينى ، وعندما ما يصل الطفـــل إلـــى مرحلة التفكير المجرد يكون باستطاعتهم فهم المعتقدات والقيم الدينية بـــشكل اعمق خاصة فهم الدلالة السلوكية لها . ولابد من استقلال ميل المراهق إلـــى الارتياب والتساؤل فى تصحيح الكثير من الأفكار الخاطئة المرتبطة بالـــدين والسلوك الدينى .

المراجع

١- عرض وتحليل لمقالة

Mark Tittley, Youth and Faith development, 1999 .
http :// w w w. Youth. Co.Zo /model / moin. thm .

الدراسة الثالثة
الدين والمجتمع
وجهة نظر ماكس فيبر

٣- العلاقة بين الدين والمجتمع[١]

يعد "ماكس فيبر ، وإميل دوركايم" من أهم علماء الاجتماع فى مجال دراسة العلاقة بين الدين والمجتمع، وقد اهتم ماكس فيبر بوجه خاص بدراسة وتفسير نشأة الأديان، وتأثير المجتمع على الدين، وقد ارتقى طموحه إلى دراسة تأثير الدين على المجتمع، ويمكن الاستشهاد بما قاله "تالكوت بارسونز" فى هذا الصدد والذى مفاده أن تركيز ماكس فيبر لم يكن ينطلق من اعتبار الدين قوة استاتيكية ثابتة، بل من اعتبار الدين مصدراً هاماً من مصادر ديناميات التغير الاجتماعى. " Source of the dynamics of social change "

ولا يقتصر الإسهام الأصيل لماكس فيبر فى مجال علم الاجتماع على دراساته المهمة فى إطار المتغيرات والمؤثرات الأساسية على الرأسمالية الغربية المعاصرة والذى تمثل بوضوح فى كتابه "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية" بل أيضاً فى دراساته المتعمقة للديانات الأخرى فى مختلف دول العالم، فقد كرس معظم حياته المهنية لدراسة الدين وذلك لاعتقاده الراسخ أن "الدين هو المصدر الحاسم والرئيسى للتوجيه الروحى والأخلاقى لأتباعه، بل وفى نُظم كل فعالياتهم اليومية" ويتصاحب مع هذا الاعتقاد تأكيده على أنه لا يوجد مجتمع مهما كانت درجة تحضره يخلو من ما يمكن تصنيفه تحت مسمى "الدين" وبالتالى صيغت الحاجة إلى دراسة تأثير هذا المصدر الأساسى للتوجيه والإرشاد الروحى والأخلاقى على المجتمعات وبصورة مقارنة.

وبسبب اعتقاد فيبر فى التأثير الحاسم للدين على المجتمع وأعضاءه تصور أن فهم المبادئ والمعتقدات والنظم الروحية للدين مهما كان مسماة

يؤدى بالتبعية إلى فهم طبيعة المجتمع، وقد انتظمت التحليلات السوسيولوجية لفيبر فى هذا المجال على تناول العلاقة بين الدين والنظم الاقتصادية استناداً إلى أن الدين هو المتغيــر المــستقل Independent Variable والنظــام الاقتصادى هو المتغير التابع Dependent Variable بدلاً مــن اســتخدام الدين كإطار عام لتفسير معظم النظم الاجتماعية المكونة للبناء الاجتمــاعى بشكل عام.

وقد استخدم فيبر الدين بصورة ساوت بين تأثيره على نمو الرأسمالية وتأثير المتغيرات المادية الأخرى. وعلــى نحــو مــا يقــول " Anthony Gddens" "لابد من اعتبار الأخلاق الدينية أهم المتغيرات المــؤثرة علــى المؤسسة الاقتصادية، وإن ارتباطها بالتقدم أو التأخر فيما يطلق عليه بالرشد Rationalism أمر لا يمكن إغفاله، بل إن هذا التوجه هو المــسيطر علــى الحياة الاقتصادية فى الغرب".

ويرى ماكس فيبر فى طرحه لمشروع تفسيرى لتطــور الرأســمالية الغربية خلافاً لآراء كارل ماركس أن للمتغيرات الروحية أو الدينية التــأثير الأكثر فعالية فى عملية تطور الرأسمالية مقارنة بتأثير المتغيرات الماديــة، وقد تجاهل كارل ماركس متغير الدين تماماً فى معظم أعماله التى تناولــت نمو وتطور الرأسمالية أو النمو والتطور الاجتماعى بشكل عام ، ولماذا أذان لو افترضنا صحة التحليل المادى لماركس لــم يتطــور أو ينمــو الإقطــاع والرأسمالية البدائية فى الصين بنفس الصيغ والشكل الذى تطرحــه البنــى الرأسمالية فى أوربا؟ وبناء على ذلك جاهد فيبر للبحث عن المتغيرات التــى تشجع على اختلاف أناط التطور. وقد وجد أن المتغير الحاسم فى ذلك هــو الدين والقيم الروحية.

وعلى الرغم من أن دراسات فيبر فى هذا الإطار تفتقد إلى الضبط المنهجى الذى يحكم الدراسات المقارنة فركز فى الورقة الراهنة على تحليلات ماكس فيبر التى تتعلق بالإجابة على السؤال التالى :
لماذا تطورت ونمت الرأسمالية فى الغرب ولم تنمو أو تتطور فى الشرق؟ وفى سبيل الإجابة على هذا التساؤل جاءت أهم أعمال ماكس فيبر خاصة الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية. الدين فى الصين ، والدين فى الهند. كما ننظر أيضا إلى دراسات ماكس فيبر عن الديانات الأخرى فى علاقتها بالأخلاق البروتستانتية .

وقد أجرى فيبر دراسات عن الديانات الغربية بهدف أساسى يتمثل فى تأييد وجهة نظره التى تنطلق من التسليم بأن لكل دين مجموعة من الأخلاق ترتبط بشكل أو بأخر بشكل النظام الاقتصادى ومدى التطور الذى يلحق بهذا الشكل وأن هناك مجموعة من الأخلاقيات الروحية ذات الطابع العقلانى أو الرشيد تؤدى إلى التقدم فى النظام الاقتصادى والذى تجسد بصورة مثلى فى الرأسمالية الغربية، وقد قام فيبر بدراسات عن الهند والصين ليوضح الفروق فى الأخلاق الدينية للكنفوشيسية الصينية والهندوسية الهندية فى ضوء ما يعتقده عن النظام الأخلاقى فى العقيدة البروتستانتية بوصفه الأساس المخلق لما يعرف بالتفكير العقلانى الرشيد الذى يتصور أنه المتغير الفارق فى التقدم الحضارى للدول الغربية ولقد وجهت العديد من الانتقادات لتصورات فيبر وقد يكون من الأوفق قبل عرض هذه الانتقادات لما يطلق عليه مدخل على الاجتماع المقارن الذى انطلق منه فيبر فى دراساته أن ننظر إلى ما يتصوره فيبر لخصائص الأخلاق البروتستانتية فمن المعروف أن فيبر كتب " الأخلاق البروتستانتية " سنة ١٩٠٤-١٩٠٥ فى

وقت اهتمت فيه التحليلات العلمية بمختلف تخصصاتها بتفسير نمو وتطور الرأسمالية . خاصة مجموعة كتابات كارل ماركس فيما يتعلق بتفسير هذه الظاهرة قبل هذا التاريخ ولكن شعر فيبر بان هذه الرؤى والتحليلات غير كافية لتفسير لماذا نشأت وتطورت الرأسمالية فى دول أوربا الشمالية دون غيرها من الدول ولم تهدف تحليلات فيبر تفسير الرأسمالية الفنى بشكل عام ، ولكن تفسير نمط خاص من الرأسمالية هو الرأسمالية فى الدول الأوربية الغربية الحديثة The modern occident والتى يسود فيها نمط مميز من الرأسمالية ونمط مميز للعقيدة الدينية هو العقيدة البروتستانتية التى عبر عنها بما أطلق عليه الأخلاق البروتستانتية The protestant Ethic وقد لاحظ العديد من الخصائص الأخرى تتعلق Pertaining بوجود ما يسمى بالطرق المنظمة والمؤسسات الرشيدة Systematic method and rational organization تؤدى إلى تطور معمارى وفنى وعلمى لا يوجد إلا فى دول الغرب والشمال الأوربى على وجه الخصوص.

ويزعم فيبر أن الرأسمالية هى الصيغة الأكثر رقياً وتقدماً لكل الأنشطة والحالات التى عرفها الإنسان عبر تاريخه الطويل، وعلى الرغم من أن الصين والهند وحضارة بابل ومصر وحضارات العصور الوسطى، والحضارة الهلينية والرومانية ألفت شكل ما للرأسمالية إلا أن المشروع الرأسمالى Capitalistic enterprises لدول شمال غرب أوربا يختلف لأن الصيغ الأخرى للرأسمالية مثل التحويلات التجارية والائتمانية والبنكية كان يقف وراءها رؤى ومزاج غير عقلانى قائم على التأمل والتفكير الخيالى Irrational and speculati characterve وتتوجه بشكل خاص إلى اكتساب المزيد من القوة والسيطرة.

أكثر من ذلك طور الغرب المشروع الرأسمالى وامتد بتطبيقاته إلى مجالات وصيغ لم تكن معروفة من قبل . وتمتاز الرأسمالية الغربية وفقا لرؤى فيبر بالعقلانية والرشد فى كل المجالات كالتنظيم العقلانى للعمل والمؤسسات الصناعية الرشيدة . وقد أسست الرأسمالية الغربية بُنى مستمرة ورشيدة لكل مجالات الحياة الاقتصادية . وقد تساءل فيبر لماذا لم تؤدى الأشياء التى وجدت خارج إطار الدول الغربية مثل العلم والتجارة والقانون إلى الرأسمالية الرشيدة فى الدول التى وجد فيها تطور علمى وتجارى وقانونى مثل الهند والصين ومصر ....وعندما تناول فيبر تطور الرأسمالية فى أوربا لاحظ أن رجال الصناعة ومالكى رأس المال والعمال فائقى المهارة وحتى الأشخاص الفنيين يعتنقون العقيدة البروتستانتية مما قادة إلى ما يعرف بالتحليل السببى The causal analysis وقد لاحظ أيضا أن فى العديد من الحالات التى يعزل فيها الأقليات ويحرمون من القوة السياسية نجدهم – الأقليات– يركزون بشكل كبير جدا على القوة الاقتصادية وكل ما يقرب منها ويعد اليهود بصفة خاصة مثال واضح على هذا المنحى . ويصرح فيبر بأن البروتستانت ناجحون بشكل عام فى المجال الاقتصادى سواء أكانوا يمثلون أقلية فى مجتمع ما أم يمثلون الجماعة الحاكمة فى هذا المجتمع بينما نجد أن الكاثوليك لا يحرزون أى تقدم أو تطور اقتصادى خاصة فى الأوقات التى يتعرضون فيها للاضطهاد persecuted ووفقا لرأى فيبر لوحظ وجود نشطا اقتصادى كبير للبروتستانت أثناء نهايات العصور الوسطى وقد أدى هذا النشاط إلى نشر بذور الرأسمالية الاقتصادية فى كل من هولندا وأسبانيا والنمسا مما أفض بفيبر إلى الاقتناع التام بأن الرأسمالية الحديثة نشأت فى كنف الأخلاق البروتستانتية الداعية إلى العمل

والتنظيم العقلانى الرشيد ومنذ هذا التاريخ أصبحت مهمة فيبر عزل المتغير المسبب الذى جعل البروتستانت حاملى لواء ما اسماه فيبر (بروح الرأسمالي أو روح الرأسمالية Capitalist spirit واعتمد فيبر فى تعريف مـــصطلح روح الرأسمالية " على اقتباس مأخوذ عن Benjamin Franklin والذى مفاده " روح العمل الجاد والأمين المصحوب باحتقار التسكع والتعطل عـــن العمل وإضاعة الوقت "

The virtue of good honest and active business coupled with modesty and scorn of idleness.

وتجدر الإشارة إلى أن " Benjamin Franklin " صاغ هذه الجملة على نحو ما يرى فيبر من العقيدة الكالفينيه Calvinism التى يؤمن بها مبـــررا إياها بنص من الإنجيل مفاده أن الإنسان إذا اجتهد فى عمله كان فى مرتبة أعلى من الملوك

- Seest thou a man diligent in his business ?

he shall stand before kings “

وفى هذا الإطار قام فيبر بتفسير ووصف بعض العقبات obstacles تحول دون نمو أو تطور الرأسمالية . منها ما أطلق عليـــه " بـــروح التقليديـــة أو المحافظة على التقاليد Traditionalism التى تمثل التوجه الأساسى للكنيسة الكاثوليثية وغيرها من العقائد . وقد ظهر ذلك بوضـــوح فيمـــا أوضـــحه " Kemper Fullerton من أن الكنيسة الكاثوليثية معارضة تماما وفى كـــل الأحوال لممارسات المشروع الرأسمالي اعتمادا على أن " التكالب " علـــى جمع المال وتخزينه يعد انحطاطا اجتماعيا وأخلاقيا وخطر مؤكد على الدين والعبادات الدينية وهنا إقامة لتناقص مفتعل بين الحصول على وضع الثروة والورع والتقوى الدينية وفق رأى ماكس فيبر ومن العقبات الأخرى ما أسماه

فيبر بأخلاق العمل التى تتناقض مع نمو وتطور الرأسمالية ومن هذه الأخلاق التصور بأن إنتاجية العامل تتوقف على مستوى ونوع الأجر الذى يتلقاه وقد أثبت فيبر خطأ هذا التصور حيث وجد أن هناك تجارب تاريخية توضح أن محاولات زيادة الإنتاجية من خلال رفع الأجور قوبلت بانخفاض فى معـــدل العمل وذلك لوجود رغبة قوية العمال للحفاظ على نفس مستويات المعيشة فى حين أن تقليل الأجور يرتبط أيضا بانخفاض معدل الإنتاجية نظرا للقـــصور فى متطلبات المعيشة التى ألفها العمال وهذه النتيجة جديرة بالاهتمام فى إطار مقارنة فيبر بين أخلاق العمل فى العقيدة البروتستانتية وهذه الأخـــلاق فـــى العقائد الهندية والصينية إذا يرى فيبر أن من المتعذر القضاء على الأخـــلاق والروح المحافظة على التقاليد الموروثة والمضادة روح السعى والنضال فـــى العمل من خلال رفع الأجور أو تقليلها ولكن يتم ذلك من خلال عملية تربية دينية متواصلة وشاقة لغرس روح الورع والتقوى والسعى إلى العمل الجـــاد والنشط . ويرى فيبر أيضا أنه يوجد نوعين من التعـــاليم two teachings يستند إليهم قادة الإصلاح reformation leaders يمكـــن مـــن خلالهـــا التأثير على اتجاهات الناس نحو العمل والثروة يطلق على أحـــدهما مـــذهب الحتمية أو الجبرية The Doctrine of predestination أما الثانية فيطلق عليها الأداء المعتمد على الرغبة والدافعية الذاتية one's calling وهو مـــا يعول عليه فيبر ويعتبره الدافع الأساســـى للعمـــل وفـــق شـــيوع الأخـــلاق البروتستانتية ولكى يظهر الأداء الوظيفى للرأسمالية الغربية يجب أن تكـــون أخلاق العمل خالية من الارتباط التام بالأجور كهدف فى حد ذاتها ولابد أن يكون العمل والعمل فقط هو الغاية النهائية لكل فعاليات وأنـــشطة الإنـــسان ويرى فيبر أن هذه الروح غير موجودة فى العصور القديمة أو حتـــى لـــدى

الكاثوليك ولكنها أى -روح العمل وأخلاقه القائمة على التوجيه والرغبة الذاتية- وجدت مع شيوع البروتستانتية خاصة بعد ترجمة مارتن لوثر للإنجيل ويرتبط بفكرة الدافعية الذاتية للعمل ما أطلق عليه بعقلانية العمل rationlization of work بوصفها معيار تقييم الواجبات المرتبطة بالشئون الدنيوية للإنسان وبوصفها أيضا الصيغة الأرقى للنشاط الخلقى للفرد وبوصفها تعطى الدلالة الدينية لكل الأنشطة الحياتية اليومية فى حين يفهم الكاثوليك مهنة الإنسان بوصفها الوسيلة لكى يعيش حياة دينية منعزلا عن العالم ومع ذلك يعتقد فيبر أن مفهوم مارتن لوثر لعمل الإنسان ومهنته غير كاف لتفسير ووصف أخلاق الرأسمالي لكونه – يقصد مفهوم لوثر – ينمو وفق خطى الرؤى الاتباعية التقليدية حتى بعد اتساع تأثير حركات والإصلاح الاجتماعى مع ظهور الكالفينية المتزمنة وحركة المتطهرين والتى لم يكتب لها الاستقرار أو الاستمرار عكس ما حدث للتجمعات البروتستانتية المتقشفة فى هولندا وإنجلترا وفرنسا وغيرها من الدول الأوربية وقد وجد فيبر أسس روح الرأسمالية فى تأثير الجزاءات النفسية التى تنشأ من المعتقد الدينى والممارسة الدينية التى توجه وتحدد مسار السلوك العملى وتدفع الفرد للالتزام به وقد كان للكالفينية الجبرية تأثيرا دالا على رؤى فيبر على الرغم من أن الجبرية الكالفينية ليست إلا متغيرا واحدا فيما يعتقد فيبر للعقلانية المنهجية methodical Rationlization of life ومع ذلك لتأثيرها النفسى دلالة قوية جدا على سلوك الفرد ويبدو أن التأثير الأساسى للحركات الدينية الداعية إلى الورع والتقوى يأتى من الضغط والإجبار الذى تمارسه على أتباعها للاندماج فى حالة من الرحمة يدعمها ثقة الإنسان فى نفسه وتقوده إلى تلمس العمل الجاد وقد نجم عن هذه الطوائف البروتستانتية عدة نواتج

منها: إقرار نمط من السلوك يدفع الفرد إلـــى الحيـــاة المنظمـــة والمنطقيـــة والتخطيط العقلانى للحياة الكلية للإنسان بحثاً لما وراء الحيـــاة الدنيويـــة. وأيضا الرفض الأخلاقى للاسترخاء والاطمئنان القائم على مجـــرد التملـــك والثروة والتى تقود إلى الخمول والبلادة والانحراف عـــن الخـــط المـــستقيم والنهج القويم للحياة، والاستمرار فى العمل الجاد حتى وإن كان يتوافر لـــدى الإنسان الثروة التى توفر له حياة آمنة وأدت هذه الأخلاق بفرانكلين إلـــى أن يعلن فضيلة العمل الجاد واستفادة المرء من كل لحظة من لحظـــات حياتـــه وبالتالى صياغة ما عرف فى حينه بأخلاقيات وروح الرأسمالية الغربية

The spirit of occidental capitalism

هذه الأخلاق والروح تتعارض بشكل حاد sharp contrast ليس فقط مـــع أخلاقيات الديانات الشرقية Orient ولكن أيضا مع كل القواعد المغلقـــة أو المتصومعة Monastic rules فى دول العالم. وتتعارض أيضا مع الأخلاق الدينية والكاثوليكية فى العصور الوسطى التى ترى أن العمل ضرورة فقـــط لبقاء الفرد والمجتمع على قيد الحياة.

يرى فيبر أن الدين فى الصين لا يسمح بتطور أو نمو الاقتصاد الرشـــيد المرتبط بروح وخصائص الحياة أو الدول الغربية ويقصد بالرشد الـــدينى أو العقلانية الدينية كما يرى فيبر درجة تحرر الدين من الأفكار والتـــصورات السحرية الغيبية والدرجة التى تصاغ من خلالها العلاقات بـــين الله والعـــالم والإنسان. ولهذه العقلانية الدينية تطبيقـــات عديـــدة تتنـــاقص مـــع تأكيـــد الكنفوشوسية الصينية على الأفكار والتصورات السحرية الغيبيـــة المثاليـــة وعلى النزعة المحافظـــة conservatism حيـــث يتـــصور فـــى العقيـــدة الكنفوشوسية أن الكون منظم بشكل يتعذر تصور تغيير يلحقه والعالم جـــزء

من هذا الكون له قوانينه ونواميسه الثابتة ويتحقق الأمن والطمأنينـــة للعـــالم والروح الإنسانية إذا ما توافق الإنسان وخضع طواعيـــة للنظـــام الكـــونى المتسق. هذه العقيدة تؤدى على نحو ما يعتقد فيبر إلى التوجه إلـــى الحفـــاظ على التقاليد والأعراف الموروثة traditionalism ، ويشجع علـــى نفـــس الروح المحافظة والتقليدية فى النظام الهندوسى الهندى فقد أعلن (فيبـــر) أن من أهم خصائص الهندوسية الخوف غير المبرر والفظيع من الشر المحقـــق إذا ما حدث تجديدات أو تغيرات ما فى نسق الحياة لأن القسم الأعظـــم لهـــا يدعم ما يطلق عليه بالولاء الأعمى والمطلق للطائفة الدينية وان كل فعاليات الفرد مسخرة لخدمة الطائفة الدينية وأضاف فيبر أن عقيـــدة الكارمـــا The karma doctrine حين ظهرت كانت بمثابة الصدمة والأفكـــار الثوريـــة التقدمية قوبلت باستهجان ورفض مطلق من قبل نظـــام الطوائـــف إذ مـــن المستحيل أن تؤدى هذه الحركات الثورية إلى تغيير التقليدية الدينية. عكـــس العقيدة البروتستانتية التى ترفض بشكل كبير الغيبيات والتقاليد وبالتالى ظهور ديناميات أداء ذات طابع عقلانى موضوع تقدمى بهدف تحقيق ما يطلق عليه المجد لله، صحيح أن فيبر كان مقتنعا بان الرشد والعقلانية عبرت عن نفسها فى كل من الكنفوشيوسية والبروتستانتية ولكن اتضحت تجلياتها بشكل كبير فى البروتستانتية بتأثيرها المطلق علـــى مـــا يعـــرف بالرشـــد والعقلانيـــة الاقتصادية. وتجدر الإشارة إلى أن فيبر أدراك أهمية متغيرات أخرى تـــؤثر على تطور الرأسمالية العقلانية rational capitalism حيث لم يقبل فقـــط التفسيرات المادية ولكنه أدراك أهمية وجود متغيرات أخرى أعمـــق وأكثـــر دلالة منها ما يمكن أن تؤخر أو تشجع على نمو وتطور العقلانية الاقتصادية ولاحظ فيبر أن بعض الظروف المادية ربما أدت إلى نمو وتطور الرأسمالية

فى بعض صيغها وأن لما يطلق عليه المجموعة القرابية أو نسق القربة أهميه الخاصة أيضا فى هذا الإطار خاصة فى تركيزه علـــى الـــروابط القرابيـــة kinshipties

أوجه الـنقد لـتصورات ورؤى ماكس فيبر

تعرضت رؤى وتصورات ماكس فيبر ومدرسته للعديد من أوجه النقـد وذلك لتجاهله عمدا إن جاز القول لتأثير الكاثوليكية والبؤديـة والهندوسـية والكنفوشيسية فى دعم وتثبيت النظم الاجتماعية فى الأقطار التى تتبناهـا ، وذلك فى إطار محاولته لإثبات أن البروتستانتية وما تستند إليه مـن عقيـدة وأخلاق تفضى إلى نمو وتطور اقتصادى رشيد فى اتجاه الصيغة الرأسمالية للتطور مقارنة بالعقائد الأخرى ويتضح ذلك جليا فى كل أعماله حيث تظهر عملية تحليل هذه الأعمال أنها تنطلق من وتنتهى أيضا عند تأكيداته على ما أسماه بالروح أو الأخلاق البروتستانتية ، وعليه انتظمت الانتقـادات التـى وجهت لماالكس فيبر حول هذه القضية لذا خضعت ادعاءات فيبر حول تأثير التعاليم البروتستانتية على نمو الرأسمالية للفحص والاختبار من عدة جوانب.

وتعد انتقادات H . Robertson أعنف الانتقادات فى هذا الإطار one of the most vehement والتـى يمكـن تلخيـصها كمـا عرضـها Robertson فى مقاله بعنوان نقد ماكس فيبر ومدرسـته Acriticism of max weber and His school أن تحليلات ماكس فيبر تفتقـد الأسـس التاريخية أو الشواهد التاريخية التى تدعمها، وأن أحكامه بنيت على أسـاس معرفة مجتزئة لا تعبر عن الواقع الحقيقى للدول التى درسها خاصـة فـى دراسته عن الدين فى الصين the religion of china هذا بالإضافة إلـى غموض مفهوم روح الرأسمالية واعتماد فيبر على التفسير الأحادى لما يطلق عليه بالدافعية الرأسمالية وأن من الصعب قبول الإدعاء القائـل بـأن كـل

مساعى وتوجهات الرأسمالى البروتستانتى لجمع الثروة من أجل خدمة ورفع لواء عقيدته fulfilment of his calling، ويـــشير Robertson إلـــى أن الرأسمالى النموذج كائن يبدو وأنه من العصور القديمة ولا وجود له بالفعــل فى واقع الحياة المعاصرة ، ويشير كذلك إلى إمكانية وجود رأسمالى نموذجى لديه روح رأسمالية خالصة لا ينتمى إلى الطائفة البروتستانتية مثل Jakob fngger وهو كاثوليكى لديه رغبة فى جمع المال قدر استطاعته ، ويعتبــر Robertson هذه الرغبة اتجاه عالمى لدى معظم الناس وليس قاصرا على البروتستانت.

وقد أكد أيضا أن مدخل فيبر لوصـــف عقيـــدة الإيمـــان البروتـــستانتى protestant doctrine of calling لا يمكن تأييده أو إثبات صحته فنجـــد على سبيل المثال أن روح التقشف والزهد ليست قاصـــرة علـــى معتنقـــى البروتستانتية بل وجدت شواهد مؤكدة على سريان هذه الروح لدى الناس فى العصور الوسطى وليست قاصرة أيضا على المتعبدين فى الأديرة بل تـــشيع كذلك لدى عامـــة النـــاس . ويلـــتقط Gordon marshall الخـــيط مـــن Robertson مقتفياً فى ذلك ادعاءات Hartwell والتـــى مفادهـــا وجـــود العديد من الأمثلة لتطور الرأسمالية خارج مجتمعـــات غيـــر بروتـــستانتية، ووجود مجتمعات بروتستانتية لم تطور فيها الرأسمالية ومن هذه الأمثلـــة : تطور الرأسمالية فى كل من فرنسا ، أسبانيا ، إيطاليا ، البرتغال قبل عهـــد الإصلاح الدينى ، فى حين نجد أن دول مثل سويسرا، واسكتلندا ، والمجـــر وأجزاء من هولندا وجدت فيها البروتستانتية دون تطور أو نمو المـــشروع الرأسمالي .

مما قد يشكك فى المدخل النظرى التفسيرى لنمو الرأسمالية الذى طرحه فيبر ، ويرى Roberston وجود تشابه فى الإتجاهات نحو المشروع الرأسمالى فى كل من الكاثوليكية والبروتستانتية . ففى كلا العقيدتين يؤكد على أنه من السخف قبول افتراض أن الثروة والمال تؤدى بالناس إلى الاسترخاء والكسل بل إن العكس هو الصحيح . ولكن ميل فيبر إلى التحقيق الكامل لفكرة الإيمان على نحو ما يرى جعله يؤكد بصورة قاطعة على فكرة العمل من اجل المجد لله . working for the (glory of God) مما يؤى بالطبع إلى تراكم الثروة فى ظل الإدعاء بأن هذه الثروة لا يجدر الاستمتاع بها بسبب غلبة وسيادة روح الزهد والتقشف، لذا يجب إعادة استثمارها ، وعليه كان تأكيد فيبر على نوع محدد وخاص من المؤسسة الرأسمالية ، وليس على الإطار العام لما يعرف بالاقتصاد السياسى political capitalism .

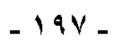
هذا وقد أكد ماكس فيبر فى " الأخلاق البروتستانتية " أنه يقبل بالمفهوم المادى the materialist conception لتطور الرأسمالية مثلما يقبل بالتفسيرات الاجتماعية النفسية socio-psychological exclamations ولكنه لا يهدف إلى استبدال جانب معين من المفهوم المادى ، بجانب آخر من التأويلات السببية المعنوية أو الروحية spiritualistic causal imterpretation وفى كتابة (الدين فى الصين) ابتدأه فيبر بالنظر إلى البُنى الاجتماعية فى الصين من أجل توضيح الجانب المادى للنمو الاقتصادى وتأثيره على هذه البنى ومع ذلك لوحظ أن الإطار العام الذى ينتظم أعمال ماكس فيبر ينطلق من اعتبار الدين والروح الدينية البروتستانتية على وجه

الخصوص هى البيئة المثلى لظهور وتطور الرأسمالية الغربية فى صـــيغتها العقلية الرشيدة على نحو ما يرى.

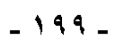
المـراجع

١- عرض وتحليل لمقالة

Religion and Economic development from Max weber prespective.
http : llhone . freeuk . com / ethos / weber . htm



الدراسة الرابعة
الدين كما يفهمه رجل الشارع



٤- الدين كما يفهمه رحل الشارع ؟[١]

مدخل سردى لتحليل الاتجاهات الأصولية والسحرية لدى المراهقين

هدفت الدراسة إلى تحليل الاتجاهات الأصولية أو التعصبية والسحرية لدى عينه من المراهقين استنادا إلى التحليل الكيفى للوثائق المرتبطة بالسيرة الذاتية وذلك لرصد أبرز الموضوعات الحياتية ذات الصلة بتطور السيرة الذاتية للمراهق والتحولات الكبرى التى تتزامن مع هذا التطور خاصة فيما يتعلق بالاتجاهات الدينية أو التحول من عقيدة معينة إلى عقيدة أخرى وقد اتبع ذلك بعرض عدد من دراسات الحالة وقد عقدت مقارنات بعد تحليل مضمون البيانات المشتقة من الحالات وقد أشارت النتائج إلى أن الإجبار أو الإلزام obligation على اعتناق الأفكار والقيم والمعتقدات الموروثة والتقليدية لم يعد النموذج المستخدم فى التنشئة الدينية religious socialization وخلصت الدراسات إلى تحديد بعض الخصائص ذات الصلة بالاتجاهات أو التوجهات الدينية لدى المراهقين :

١) الخروج السافر عن مقتضى تعليمات الدين بل والارتماء فى أحضان الهرطقة الدينية Heresy .
٢) البحث الدينى يبنى على ما يعرف بأسلوب الحياة القائم على التفضيل الشخصى .
٣) التوافق الشعائرى مع موضوعات الحياة هو الميكانيزم المسيطرة على السلوك الدينى
٤) يقوم البحث الدينى على دوافع ذات طابع حسن .

وقد استند فى هذه الدراسة على رموز الأساليب الدينية typology كإطـــار مرجعى للتفسير وذلك من أجل :

أ) اختيار وفحص بنية التوجهات الأصولية أو التعصبية .

ب) فهم النمو والتحول فى المعلومات الدينية الواردة فى الـــسيرة الذاتية للحالات موضع الدراسة .

يمكن القول بكثير من الصحة أن الخريطة الدينية The religious landscape قد تغيرت بشكل لافت للنظر فى العقود الأخيرة ويبدو أن هذه الحالة لا تنطبق على جيل الراشدين فقط بل هى أكثر انطباقا وصدقا علـــى جيل المراهقين ففى ألمانيا نلاحظ تراجعاً حادا فى مشاركة المـــراهقين فـــى الشعائر والطقوس الدينية مع ظهور اتجاهات واهتمامات وأنشطة دينية غريبة وذات طابع خاص وفردى ويعنى الالتزام الدينى أو الارتباط الدينى لـــــ٥% على الأقل من المراهقين الولع. والافتتان والارتباط التام بتيـــارات دينيـــة متطرفة وأو بأنصاف ديانات من خلال نظم دينية أو طقوس دينية معينة إنها مجموعات وطقوس دينية ذات طابع خرافى وسحرى لم نكن نعتبرها فيمـــا سبق دين على الإطلاق، وبسبب هذا الانحراف عن المسار المعيارى للـــدين كما يمارس فى المؤسسات الدينية التقليدية، جدت ظاهرة ما أطلقنـــا عليـــه مجازاً (الدين يباع على قارعة الطرق والأرصفة).

وفيما يتعلق بمصطلح سحر الـــشباب Youth occultism، يوجـــد العديد من المناقشات النظرية يمكن أن تلقى مزيد من الضوء علـــى ظـــاهرة الانحراف الدينى لديهم ويوجد بعض البحوث الكمية والمسوح الكميـــة التـــى تناولت هذه الظاهرة ولكن يوجد ندرة حادة وغير مبررة فى نفس الوقت فى البحوث والمسوح الكيفية التى تعتمد بشكل خاص على تحليل السير الذاتيـــة

فى حين لا يوجد أى بحث عن الأصولية المسيحية فى ألمانيا يـــستند علـــى البحث الكيفى المنطلق من تحليل السير الذاتية .

وعليه فإن البحث الحالى محاولة امبريقية لتصوير نسبة التغير فى الخريطة الدينية والوصول إلى إستبصارات ودلالات كيفية حول المتغيرات الشخصية biographical factors والتطورات والتحولات التـــى توجـــد عندما يشترك أو يتبنون مثل هذه التو جهـــات الانحرافيـــة وســـأقدم نتـــائج مشروعين بحثيين للتحليل الكيفى للسير الذاتية أجريا مؤخرا فى جامعة بيلفلد Bielefeld university

- اعتمد فى المشروع البحثى الأول على تحليل التحول عن الأصولية المسيحية وذلك بتحليل السير الذاتية لبعض المرتدين عنها .

وكان الاهتمام الأساسى للتحليل منحصر فى محاولة نظم العلاقة بين السيرة الذاتية للفرد religious career والسيرة الذاتية له كما وردت فـــى كتاباته ومذكراته فى ضوء التـــساؤل عـــن مـــدى الإتـــساق أ و التحويـــل والاستمرار فى شخصية أى ما يعرف بالهويـــة والذاتيـــة Identity and autonomy .

- أما المشروع البحثى الثانى فقد هدف إلى تحليل ما يطلـــق عليـــه بميكانيزمات طرق الجذب أو الافتتان بأفكار وعقائد معينة ways of dis- Enchantment وقد اعتمد فى تحقيق هذا الهـــدف علـــى دراسة الحالة لبعض المراهقين ذوى التفكير الـــدينى الـــسحرى أو الخرافى .

طريقة التحليل : المدخل السردى Method of Analysis

استخدام فى مشروعى البحث مزيج من طرق التحليل المتتابع أو المتسلسل على نحو ما اقترح وكذا المدخل السردى أو الروائى فى البحث البيوجرافى الذى صاغه وطوره وقد بدأنا كل حالة بالتحليل المتعاقب وبالسجل الكامل لنص المقابلة من اجل الوصول إلى صياغة تمهيدية للفروض المتعلقة بالحالة ثم بعد ذلك اختيار هذه الفروض وذلك بإجراء مزيد من التحليل المسند إلى ما يطلق عليه بالنمط البيوجرافى وبتطبيق مداخلنا السردى لتحليل المقابلة وما نود قولة فى هذا الاطار ان التحليل السردى كأداة لتحديد التغيرات النمائية والذاتية التى تحكم السيرة الذاتية الماضية للفرد اكثر فعالية من الأدوات الأخرى المستخدمة فى التحليل اكثر من ذلك تفيدنا هذه الأداة فى الوقوف على التطورات والتحولات التى تطرأ على النمو الدينى للحالة أثناء وبعد ترك وسط أو سياق بيئى معين يوجد فيه توجهات وشعائر دينية معينة .

ولكون المدخل الروائى كأسلوب للبحث الدينى حديثا نسبيا نقدم فيما يلى شرحا مختصرا للخلفية النظرية له .

ومن أهم خصائص المدخل السردى فى البحث السوسيولوجى الكيفى أن له أبعاد مرتبطة بالدلالة والمعنى والبنية النحوية والصرفية ويرتبط البعد الدلالى للسرد أو القص بلغة الحياة اليومية وتقدم فى نفس الوقت المضمون النفسى للحياة اليومية أما البعد البنائى أو النحوى فإنه يسمح للمرء بإعادة نظم تاريخ الحياة مع تحديد الديناميات المرتبطة بها فى إطار متكامل ويمكن باستخدام هذه الأداة أن ننتبه إلى اهمية عنصر الزمن وتتبع السرد بدلالة الزمن وبالتالى تتبع التطور البنائى والغائى والوقوف على الأبعاد المرتبطة

بالغايات والبنى ذات الطابع التراكمى archeological &teleological dimensions ومنها :-

أولا : الوصول إلى الخلفية الأساسية المرتبطة بالموضوعات الحياتية الأكثر تأثيرا على حياة الفرد فى الوقت الحالى .

ثانيا : فحص ومعرفة عواقب هذه الموضوعات على البناء النفسى للفرد من خلال تحليل المذكرات والسير الذاتية .

وبناء على ذلك يمكن إعادة بناء وتشكيل الأبعاد التى يميل المرء إلى كبتها أو قمعها والتى قد لا يشعر بها الراوى وكذا الأبعاد التى قد تخرب أو تفسد مسار تسلسل الأحداث الروائية عند الحكى أو السرد وعليه فنحن نأخذ فى الاعتبار ان سياقات وممرات السرد أو الحكى نوافذ مفتوحة يمكن من خلالها الوقوف على البنى السيكوديناميه والنمائية المختفية أو الكامنة وراء النص الذى يرويه من أن نجد طريقة تتبته وفقا لها إلى الأقسام الصغيرة والمتوسطة أثناء السرد حال إجراء المقابلة مع الحالة أو العميل ونحن نفترض أن هناك فرق بين الجمل النظرية التى يرويها العميل أو الحالة أثناء المقابلة والقصص التلقائية التى تصدر عنه فى الظروف العادية لذا سنتجاهل مؤقتا الجمل النظرية للعميل أو الحالة ، ونركز بشكل خاص على الأجزاء أو الأقسام السردية وقد نأخذ فى وقت لاحق البناء النظرى الشخصى للحالة فى الاعتبار .

ونتائج التحليل السردى ذات طابع رمزى أو طوبولوجى فى الكثير من الحالات ومن خلال هذا الطابع يمكن تتبع مسار لسيرة الحياة والتى يمكن إخضاعها أيضا للتقويم المقارن وفق نماذج العمليات لمسارات الحياة العادية أو النموذجية .

ومثل هذا المنهج الكيفى البيوجوافى لا ينجم عنه بيانات كمية بطبيعة الحال لأن التبرير المنهجى methodological rationale أو المنطق المنهجى مختلف : والذى يتمثل فى الولوج الجاد فى عملية فحص واختيار منهجى صارم يستكشف فى ضوءه الميدان أو المجال من اجل توضيح وإثراء أبعاده الطوبولوجية ويعنى ذلك المرونة المنهجية والانفتاح والتقبل للحالات غير المتوقعة والمثيرة للدهشة والتى تخرج عن مسارات الحياة القياسية المتعارف عليها .

دراسات الحالة **case studies**

نظرا لضيق المساحة المتاحة لهذا المقال سأعرض فقط لحالتين تمثل أحدهما ما يمكن تسميته بالوقوع فى اسر الأفكار والصيغ العقائدية السحرية ذات القابلية للنفاذ والجذب dis - enchantment وتمثل الثانية نموذج للمشروع الأصولى المتعصب fundamentalism

الحالة الأولى :- هايكى Heike

نشأت هايكى فى أسرة مكونة من أب وأم وأخ غير شقيق ويتذكر هايك بالإضافة إلى الرحلات والإجازات الممتعة التى كانت تقوم بها أيام الأحد من كل أسبوع المشاجرات والصراعات والانفجارات التى غالبا ما كانت تحدث بين والدتها ووالدها وعادة ما كان والدها ينفجر فى ثورات غضب متتالية على والدتها والتى وصفتها هايكى بأنها كانت تعاملها بقسوة شديدة وتهملها وتعضها كوسيلة للعقاب وعلى الرغم من ان هايكى لم تعلن صراحة ان أمها كانت مدمنة للخمر إلا انه أمكن الاستدلال على ذلك من بعض المفردات التى جاءت على لسان هايكى وكانت تترك هايكى فى المنزل عندما يذهب والديها مساءا لقضاء بعض الحاجيات أو السهر وعادة ما كان يغلق باب الغرفة التى تتواجد فيها وعلى الرغم من أن هايكى قد تم

تعميدها وفق المذهب البروتستانتى إلا ان من الواضح ان الدين لم يكن لـــه دور واضح فى هذه الأسرة ولكن اشتركت هايكى مثلها مثـــل بقيـــة جيلهـــا الحفلات الدينية فى الكنيسة البروتستانتية فى الضاحية التى تقطن فيهـــا ثـــم تحولت فيما بعد إلى تبنى المذهب الكاثوليكى ولم يكتشف والديها هذا التحول إلا قبل ان نجرى معها مقابلات بفترة قصيرة ، حيث لـــم يكـــن باســـتطاعة هايكى مشاركة أو تبادل الحوار الدينى مع والدها أو والدتها وعنـــدما مـــا وصلت هايكى إلى سن العشرين تحطمت وتوقفت علاقاتها تماما مع والدتها . وتتذكر هايكى أنها فى الطفولة كانت تخاف من أشياء وكائنات فى الليل فـــى حجرتها والتى لم يكن باستطاعة أمها أن ترى هذه الأشياء أو الكائنات عندما كانت تحضر إلى حجرة هايكى لترى لماذا تصرخ وقد تحدثت هايكى عـــن نوع قبيح جدا من الكائنات كانت تراه يقف بجانب سريرها على نحـــو مـــا ذكرت :

لقد كنت وحيدة فى المنزل وكانت أمى عند جارتنا فى الدور الأعلى وجاء هذا الكائن الغريب ورأيت عنكبوت فى ركن الحجرة وصحت بـــأعلى صوتى غير معقول غير معقول على الإطلاق وقفزت إلى الدولاب لأختبـــئ فيه وقد اختبئت فيه لمدة طويلة صائحة بأعلى صوتى أمى أمى لقد جاء ثانية لقد جاء ثانية ولم تكن تفهم أى شئ وأنا اصيح إنه خلفك إنه خلفك هناك وقد اعتقدت أمى أنى مجنونة إلا ان الطبيب النفسى أكد لها أنى فى كامل صحتى النفسية والعقلية .

وقد تحدثت هايكى فى مقابلة اخرى عن خبرة أخرى مشابهة لهذا النوع .

لقد كانوا فى ابشع صورة ولا أجد طريقة دقيقة لوصفهم بالنسبة للون كانوا يميلون إلى اللون الأخضر .لا لا أنه اخضر قاتم أو محروق وقد كـــان

معهم نار أنهم أقرب إلى الشياطين وقد ظلوا فى مطاردتى بهدف قتلى أو التخلص منى وما أعلمه هو شيء واحد فقط لقد كنت هناك فقط وهم معى وإذا ذهبت إلى النوم وعندما أصحوا أجد رغبة جارف فى التحدث مع والدتى ولكنها لم تستمع لى قط على الرغم من أنى أصرخ واصرخ ويتملكنى خوف ورعب شديد وعند هذا الحد اذهب إلى الباب لأخرج فأجد من والدتى رفض وإجبار لى على الذهاب إلى سريرى والنوم وهنا اصرخ لمدة طويلة حتى أكاد أختنق وأموت فتأتى والدتى مرة ثانية إلى حجرتى مسرعة قائلة إيه اللى جرى ليكى تبدى شاحبة الوجه كالليمونة وقلبك يكاد أن يتوقف فأقول لأمى " أنا احتضر لقد حضروا لأخذى " وفى مقابلة أخرى تذكرت هايكى خبرات رعب مشابهة خاصة فى الليالى التى كان لا يوجد والديها فى المنزل فعندما يذهب والديها إلى خارج البيت ليلا فإنهما يقومان بنزع فيشه التليفون وإغلاقه وإغلاق الأبواب والنوافذ تاركينها وقطتها فقط ، وعن إحدى هذه الليالى أخبرتنا أنها سمعت شخصا يقرع الباب فانتابها رعب وخوف شديد وارتعاش مبالغ فيه واختبأت فى مكان منزو فى المنزل وكانت قطتها تقبع فى مكانها ساكنة آمنة مطمئنة وما أثار خوفها هو توقعها أن الكائنات المرعبة التى تراها فى أحلام اليقظة والذين هم على شكل نصف إنسان ونصف حيوان ستحضر مرة ثانية .

وعند اقتراب هايكى من سنوات المراهقة المبكرة بدأت فى رسم الكائنات المرعبة وتعلمت أن تشرح وتفسر من أين تأتى هذه الكائنات ومحددة ان هذه الكائنات تأتى من جهنم أو الجحيم from hill وقد تحدثت عن زميل يشاركها هذه التخيلات والأوهام fantasies أطلعته على الرسوم وأعطته إمكانية أو قدرة على رؤية كائنات لا يستطيع الآخرون رؤيتها

ولكن حدث ذلك عندما كانت هايكى تبلغ من العمر ١٦ سنة وعندها بدأت فى الانهماك فى ممارسات وأنشطة ذات طابع خرافى سحرى وهـــى occult وأثناء تواجدها فى جماعة صغيرة تشمل أمها أجريت ممارســات لإحــضار الشياطين demons وكان لهايكى الخبرة الكافية التى تؤهلهــا أن تكــون الوسيط أو الفتاه التى يتم الاستدعاء من خلالها وفى إحدى جلسات تحــضير الأرواح خاصة الجلسة الثالثة أرتفع معدل القلق بشكل كبير لدى هايكى حال تخيليها أن استدعت أو أحضرت الكائنات المخيفة التى كانت تراها فى أحلام اليقظة daydreams أثناء طفولتها وعند قراءتها للكتب خاصة المجلــدات الشارحة للفن الأثرى لدى البابليون Babylon وقد اســتطاعت هــايكى أن تتعرف على وتحدد هذا الكائن فقد كان شيطانا يدعى " باسوسو passusu " وقد أدت كل هذه المعلومات والممارسات إلى معاناة هايكى من إحباط مرض عميق deep pathological depression لدرجة تحدثت هيكــى مــرات كثيرة عن ثلاث محاولات للانتحار .

وخلال فترات الإحباط هذه كانت هايكى تبحث عن مساعدة وذلــك باللجوء إلى الدين التقليدى المعيارى ولكن لم تجد أى عون أو مساعدة وفــق التقاليد الدينية البروتستانتية وقد وجدت ضالتها فى سياق الكنيسة الكاثولوثية وذات مرة وعند حضورها لقداس mass طلب منها أن تكــون الممــارس الأساسى أو الكاهن priest الذى يقود الشعائر والطقوس الدينية وانتابها قلق وتوتر شديد لكونها مثار انتباه المحيطين بها والكاهن فى المذهب الكاثوليكى ممثل لما يعرف بالأصولية المتطرفة وبهذه الطريقة وجدت هايكى نفسها فى قلب نهج ونسق تفكير دينى أصولى منغلق لا مجال فيه للتساؤل عن عالمها

الشيطانى وهنا جاء تحولها إلى اعتناق المذهب الكاثوليكى وبالتـــالى إعـــادة تعميدها وكان هذا اليوم من أجمل أيام حياتها وتحكى عن ذلك اليوم قائلة :-
" لم ارغب مطلقا فى مغادرة مكان التعميد وعندما استدعونى للاحتفال أردت البقاء وقلت زدنى اعطنى المزيد وكان ذلك خبرة جديدة تماما وهنا انتـــابنى شهور بالسعادة والحبور والدفء والإحساس بالأمن ويكأن الله يحتضنى بين ذراعيه "

وفى وقت إجراء المقابلة كانت هذه المشاعر مازالت مسيطرة على هايكى ويوحى كل شئ موجود فى حجرتها حيث أجريت المقابلة بالتوجـــه الأصولى البحت فقد كانت الحجرة مزدحمة بتماثيل السيدة العذراء .

الحالة الثانية : توماس **Thomas**

كان يعيش توماس خلال طفولته وشبابه فى مدينة كبيرة بشمال ألمانيا والتحق بعد الدراسة الثانوية بالجامعة لدراسة البيولوجيا ليصبح معلم علـــوم وبعد أن أنهى تدريباته الميدانية لم يستطع الحصول على عمل كامل الوقـــت كمعلم لعدة أسباب لا نعلمها ولكن كان يحصل على لقمة عيشة من التحاقـــه بوظائف كثيرة فى أماكن مختلفة وفى الوقت الذى أجريت فيه المقابلة كـــان يعيش توماس مع أمراة لديها طفلان صغيران وطفل آخر يبلغ مـــن العمـــر ثمانى شهور وقد أدرت الحوار بشكل أستطيع من خلاله القـــبض ان جـــاز التعبير على نقاط التحول فى المسار أو السيرة الدينية لتوماس .

وبسبب إهتمامه وإنجذابة الواضح للجماعات المتعصبة والأصـــولية أخبرنا توماس قصة مفادها أنه عندما كان يدرس بالجامعة كان يبـــدو مـــن الغريب والمثير للدهشة فى نفس الوقت أن يقرأ يافطة معلقة على أحد أبواب

الشقة المجاورة لشقته مكتوب عليها " لا تزعج – الوسيط " وقد وصف توماس شغفة الشديد لمعرفة القصة وراء هذه اليافطه على النحو التالى

" تولد لدى شعور داخل نفسى بأن هذا ليس كل شئ وأثير داخلى تساؤلات كثيرة تدور كلها حول كيف اعيش ؟ حسنا فقد كان ذلك بحثا مكثفا عن نوع من الراحة والسكينة أتخفف بها من الأعباء والضغوط التى اشعر بها والتى كان من المتضرر على فى هذه الفترة أن احدد مصادرها أو حتى أسبابها ولكن استطعت فى النهاية أن أضع بعض المؤشرات لحالتى هذه تتمثل فى :

- الشعور بالعجز وقلة الحيلة وفقدان الحرية .
- الإحساس الموحش والقاتل بالذنب دون معرفة بأسباب سيطرة هذا الإحساس علىِّ .
- الإحساس بالعجز عن الاستقلال عن أسرتى بل والرغبة فى الاعتماد المطلق عليها
- القصور المفزع والحاد فى الثقة بالنفس .

ومرت السنوات واقترب توماس من الامتحان العملى للسنة الثانية وقد سيطر عليه إحساس بالتوتر والضيق والضغط حيال هذه الامتحانات القادمة فأشار عليه صديق بضرورة الذهاب إلى أحد المعالجين الروحانيين Bhagwan meditation وبعد الزيارة الأولى تحدث توماس إلى نفسه قائلا:

" نعم يا رجل أنت عادة ما تفعل ذلك وعليك أيضا ان تتخلص من شيئا ما ليس الأمر على هذا النحو آه لم أكن واضحا بشكل كاف فيما يتعلق

بـــ.......، هذا طبيعى ومثير للفضول بكل تأكيد ، هذه الطقــوس الروحيــة الآسيوية ، أنها شيئا ما يمكن أن يغيثنى "

ويتذكر توماس بعد ٣-٤ سنوات من انضمامه إلى أحــد الحركــات الروحية وهى حركة Bhagwan أنه أحس بالنجاة نوعا مــن الــضغوط والمشاعر الانفعالية السلبية، ولكنه سرعان ما ترك هذه الحركة لأسباب أشار إلى بعضها وهي أن الأيدلوجية الفكرية لهذه الحركة جعلتــه ضــيق الأفــق ولشعوره بوطئة الكتب والقمع الجنسي حيث أن من أفكار هذه الجماعــة أن الجنس محرم وأنه نوع من الأفعال الشيطانية التي يجــب أن يتبــرأ منهــا الإنسان ؛ وقد يكون السبب هو هجر صديقته له ورحيلها إلى الهنــد أثنــاء السنوات التى انضم فيها توماس إلى هذه الحركة ؛ فهجر هو بالتــالي هــذه الحركة وانضم إلى حركة أخرى تعتنق أفكار مناقضة تماما للحركة الأولى ؛ وقد أخبرنا توماس بأنه قضى سبعة أيام فى ورشة عمل اجتمع فيها أنــصار هذه الحركة في بيت ريفي قديم دون أكل أو نوم للقيام بأنــشطة وتــدريبات يومية رتيبة ؛ والمثير للدهشة أن هذه الخبرة السيئة لم تكن الخبرة الوحيــدة التى كشف عنها توماس ؛ ويضيف ذلك بقوله : ـــ

من طقوس هذه الحركة أن يقف المرء في وضع حركي لمدة طويلة؛ وهذا الموضع يسبب ألم لا يطاق يفضي بالمرء إلى البكاء والصراخ بل وإلى الارتجاف بشدة ؛ ثم سرعان ما يشعر المرء بمثل هذه الانفعالات الأساســية بالفعل ؛ إذ ليبدو الصراخ شبيها بصراخ طفل فى سن الثالثة مــن العمــر ؛ وعلى المرء الالتزام الحرفي لهذه الوقفة لكونها شكل مــن أشــكال العــلاج ويمكن من خلالها أن يعمل المرء إلى مرحلة التحرر الــذاتي مــن ســيطرة الشهوة والرغبة .

وقد أخبر توماس أيضا أنه حصل على خبرات إيجابية من انضمامه إلى هذه الجماعة:ـــ

كان للمرء حزب ، يحتفل بشكل مستمر بليلة رأس الـسنة ، وهـذا شبيه بالأسرة الكبيرة ، كل فرد يعرف الآخرين جيدا ، يرقص كلانـا مـع الآخر ، نحصل على متعة كبيرة ، يستطيع كل فرد أن يشعر بالارتياح فـي ظل وجود شريك له .

ولكن بعد موت قائد هذه الجماعة تركها توماس وهو يعيش الآن حياة هادئة نسبيا كواحد من جوقة المرتلين فى مسار الكنيـسة البروتـستانتية ، ويكسب قوته من خلال قيادته لسيارة أجرة ، ثم قابل بعد ذلك وسطاءagents لأحد الحركات الدينية العلمية التى تؤكد على دور الروح أو طاقة الحياة فى الكون المادى والتى يطلق عليها اصطلاحا scientiology السيانتولوجيا وقد وافق بعد إلحاح منهم علـى الإجابـة علـى أحـد اختبـارات الشخـصية personality ، وعلى نقيض الصديق الذي يترك صديقه بعد المقابلة الأولى أصبح توماس أكثر ولعا وفضولا ، ويصف هذا الموقف بقوله : ـــ

نعم لقد أخذت هذه الاختبارات وبطريقة ما أصبحت أسيرا لها ، على الرغم من أني لم أكن أرغب مطلقا فى الذهاب إلى هناك حيث لم يكتب لـي الذهاب إلى هناك من قبل ـــ يقصد مقر هذه الجماعـة ـــ ولكـن ذات مـرة وجدت نفسي هناك وقلت حسنا ماذا لو ؟ .... ثم انتـابنى شـعور غريب بالفضول ....، هل يمكن التحرر والخلوص من الخطيئـة ؟ هـل يمكن أن يعتق المرء من ماضيه ؟ من هذا الماضي الكئيب ؟ .... إلا أنه علاج يتطلب ممارسات وسلوكيات صعبة ، دعنا نقول قاسية متعـصبة طائفية إن أصح القول .

وقد وصف توماس اتجاهه نحو هذه الجماعة الجديدة بكونــه شــديد الاختلاف عن اتجاهاته نحو الجماعات السابقة مستخدما مصطلحات التكلفــة والعائد cost and protfit ، وعلى الرغم من أن تومــاس يــتكلم بــشكل تفصيلى ومكثف عن خبرته الإيجابية فى العلاج على طريقة هذه الجماعــة الجديدة ، إلا أنه لم يصل أبدا إلى البرء أو الشفاء من آلامه النفسية الحادة بل وسقط صريعا وفريسة لأحلام يقظة استغرقت كامل طاقاته الفكرية والجسدية مانعة إياه من ممارسة أنشطة ومهام الحياة اليومية ، مما أذهب كل مــصادر الارتياح عنه ، ولكن في نفس الوقت لم يكن باستطاعته ترك هذه المنظمة ، ولم يكن ذلك متاح له إلا بعد انضمامه إلى جماعة والتى كانت الفصل الأخير فى حياة توماس فى عالم الحركات الدينية الجديــدة والجماعــات الروحيــة psycho- groups وقد بدأت تفاصيل هذا الفصل بالصدفة أيضا عندما قــرأ توماس إعلانا فى الجرائد مفاده " سيعقد الليلة حفلة موسيقية كنسية " وإتباعا لهذه الدعوة ذهب توماس إلى هذا اللقاء الذي عقد فى إحدى الكنائس الكبرى. وقد اختفت مشاعر الرهبة التى تملكه بسرعة شديدة من تعايشه الفوري مــع هذا الجو السحرى ، فقد أثرت فيه قصة حكتها له سيدة لطيفة مفادها كيف أن السيد المسيح حى وقدم لها المساعدة فى الكثير من المواقف، ولم يكن توماس متأكداً من مدى تفهمه وافتتانه بإيمان هذه السيدة على هذا النحو، وعلى أيــة حال قرر توماس الالتزام بحضور قداس الأحد أسبوعياً، ولتستمع إلى هــذه الخبرة كما تصورها كلمات توماس:- ذهبت إذن إلى هناك، وكنت مضطراً إلى الصياح بصوت مرتفع- ومضطراً كذلك للذهاب إلى الحمام أكثــر مــن مرة، لأنى .... ، لأنى لم أكن قــادراً علــى .... هــذا المنــاخ .... ، كان إلى حد ما .... هذه الحفلة الموسيقية المنــسية دعنــى

أقول .... بطريقة أخرى .... حسناً فالناس مسترخون .... يرقصون .... رافعين أيديهم .... يغنون .... يغنون بصوت مرتفع ، غناء لم أسمعه أو أشرك فيه من قبل .... حـسناً لقـد غنـوا وأنشدوا ..... وقد كنت كأنى أسبح فى بحيرة من العرق الناتج عن الحماس والدفء المصاحب للإنشاد......

وقد أثرت هذه الخبرة فى توماس بشكل عميق لدرجة أدت به إلى أن يصبح عضواً فاعلاً وناشطاً فى هذه الكنيسة ذات التوجه الأصولى الحرفى، وهنا تقابل مع إمرأة أبلغته ونصحته بضرورة قطع صلته بالجماعة الدينيـة السابقة، وقد استجاب توماس بشكل فورى لهذه النصيحة ممزقاً كل الأوراق الخاصة بهذه الجماعة.

ومن المثير للدهشة بعد هذه الرحلة المكثفة والمتواترة الحلقات خلال الجماعات الدينية المختلفة والتى هى بالأحرى مضادة لروح المسيحية الحقة، لم يكن لدى توماس أية مشكلات مع صيغة التفكير الأصولى المتعصب داخل الجماعة الأخيرة التى ينتمى إليها، وفى ذلك إشارة إلـى أحـد الخـصائص المرتبطة بالتجاهات الدينية المتعصبة التى يمكن الانتهاء إليها من ملاحظـة وتحليل مسار رحلة توماس ومفاد هذه الخاصية أن محتوى الحقيقة أو العقيدة لم يلعب دوراً حاسماً أو قاطعاً فى تفضيلات توماس الدينية، حيث لـم يكـن لهذا المحتوى أى تأثير على إحساسه أو شعوره بحتمية الالتزام أو الانتمـاء كان يتم على المستوى الانفعالى فقط وسرعان ما يخبو نتيجة التحولات فـى الحالة الانفعالية، وبالتالى كانت تتملكه الرغبة بين الحين والآخر فى الهرب من هذه الجماعة أو تلك، ويقودنا ذلك إلى الادعاء بأن الـدوافع الانفعاليـة المبنية على الإثارة والاحساسات الباطنية إن جاز القول وبالتالى مـا كـان

يحصل عليه توماس من راحة وفائدة أو مكاسب علاجية مؤقتة هى المزايـــا النسبية الحقيقية التى تستغلها هذه الجماعات فى إغراء الناس للانضمام إليها وبالتالى تطويعهم كأدوات ناشطة وفاعلة فى الدعوة لها حتى وإن كانت هذه الدعوة تتسلح بالقوة القائمة على القهر والإجبار.

وعندما أجرينا المقابلة الأخيرة مع توماس يبدو أنه كان يعيش حيـــاة هادئة مع هذه السيدة الجديدة وأطفالها، وكان ولاؤه الشديد وتعلقـــه المباشـــر بهذه السيدة يدفعه إلى أن يقرأ لأطفالها يومياً فصولاً من الإنجيل، وبـــالعودة إلى استنطاق دلالة رحلته خلال المنظمات والجماعات التى انتمى إليها نجـــد أن توماس يستخدم لغة دينية إنجيلية إن صح التعبير وعادة ما كان يقتـــبس فقرات طويلة من الكتب المقدسة لشرح وتبرير ماذا يعنى بكونه مسيحياً، إلا أنه اتضح من تحليل هذه النصوص أن توماس لدية رغبة كامنة فى الإفلات من اسر الرؤى الدينية الأصولية المتعصبة

وما علينا بعد هذه الرحلة الطويلة إلا ان نتوقف ونتسائل ترى مـــا الذى كان توماس يبحث عنه ؟

تظهر القراءة المتأنية لفصول قصة توماس إصرار وضغط داخلـــى جارف للبحث عن الأمن والسلام النفسى بوصفها رغبة إنـــسانية متأصـــلة ومتجذرة الوجود فى البنية النفسية لكل إنسان على سطح الأرض ومنذ بـــدأ الخلقية فقد تحدث توماس باستفاضة عن ما اسماه بالعبء الثقيـــل Heavy burden الذى عاشه فى حياته الأسرية فى طفولته وما تصاحب مع هذه المرحلة من خبرات وصدمات كثيرة وعليه فنحن نتفهم بشىء من التبـــصر رغبته الجارفة وبحثه الشغوف عن الحب غير المشروط والتقبل كأهم مطلب حياتى سيطر عليه وبالتالى يمكن تفسير تحول توماس للانضمام إلى اكثر من

جماعة دينية لهثاً وسعياً حثيثاً وراء جماعة قادرة على منحـة هـذا الحـب والتقبل لأقص درجة وكان يجد فى كل مرة حلا مؤقتـا تهـدأ بـه حالاتـه الانفعالية ثم سرعان ما تعود إلى درجة اعلى من الإثارة المؤلمة والبغيضة .

وهنا قد نلمح خاصية كامنة فى الطبقات اللاشعورية العميقة تـرتبط بالثورة والرفض الكامن لكل الضغوط الأيديولوجية والتمـرد أيـضا ضـد مصادر القمع والقهر مهما كان شدته وهذه الخاصية ربما يعزى إليهـا هـذا التحول فى جزء منه على الأقل

* نتـائج المـشروعين البحثيـين Results of the research projects لقد قمنا بالتوثيق الشامل لكل البيانات التى أتيح لنا الوصول إليها من العينات والحالات التى أجريت عليها الدراسة وقد أمكـن تحليـل هـذه البيانات استنادا إلى ثلاث أبعاد للتحليل يـدور الأول حـول الموضـوعات الحياتية – والثانى حول الرموز والبناء الطوبولوجى بينمـا يتعلـق الثالـث بالمتغيرات الشخصية والنمائية.

<u>أولا :- النتـائج المرتبطـة بالمـشروع الأصـولى المتزمت :-</u>

Results from the fundamentalism project .

١) تحليل محتوى الحديث والموضوعات التى تضمنها Themata قد لا نصل من تحليل موضوعات الحياة التى تعكسها أحاديث الشخص إلى الوقوف على البناء المثالى لسيرة حياة الشخص ، وفى المثال السابق – توماس يرتبط هذا البناء بالتحولات المذهبية التى انتهت فى نهاية الرحلة إلى اعتناق فكر دينى أصولى متزمت حيث لا يوجد مقطـع فى هذه السيرة يرتبط مباشرة بهده التحولات ولا يوجد محتوى محدد يمكن من خلاله القبض إن جاز القول على المتغيـرات المرتبطـة

بدوافع هذا التحول وكل ما تقوله فى هذا الإطار مجرد استنتاجات فقط منها الخبرات الصادمة فى مرحلة الطفولة – القلق الحاد فى مرحلة الطفولة – الحاجة الماسة إلى الحب والتقبل .

٢) التحليل كلبنيه الطوبولوجية أو الرمزية Typology على الرغم من النتائج السلبية المرتبطة بالبعد الأول يوجد على أية حال بعض النتائج الإيجابية أمكن تحديد ثلاث أنماط للشخصية ذات التوجهات الأصولية المتعصبة وذلك بناء على تحليل محتويات ومسار السيرة الشخصية أو سيرة الحياة

أ- النمط الخاضع للتقاليد A type governed by tradition

ب- الشخصية ذات التحول الواحد إلى عقيدة أو مذهب دينى أو توجهات دينية خلال مسار الحياة The mono -convert

ج- الخروج الدائم والمتراكم أو الهرطقة المتراكمة وتميز ذلك الشخص الذى يظهر تحليل سيرة حياته اعتناقه لموجهات دينية متعددة بشكل متقطع وبعد ذلك نمط نوعى للتنشئة الدينية .

وعندما قدمنا دراسات الحالة بناء على هذا التصنيف يبدو أن توماس حالة نموذجية للنمط الثالث أى ما يعرف بالنمط البدعى المتهرطق.

على الرغم من ان المرء يفترض ان توماس كان قد تخطى مرحلة المراهقة عندما أجريت المقابلة معه ، وقد تم اختياره هنا لكونه يمثل حالة ذات خصائص متميزة لنمط جديد فى التنشئة الدينية أما هايكى فتمثل نموذج للنمط أحادى التحول القائم على التعلق السحرى والافتتان غير العقلى بأفكار ومعتقدات جماعة معينة .

٣) التأثيرات والتطورات الشخصية أى تحديد المتغيرات الشخصية والنمائية التى تقف وراء هذه الظاهرة :

أعطينا اهتماما مركزيا خاصة فى تحليلنا للمادة المتجمعة من المقابلة مع الحالات للديناميات الشخصية والنمائية والعواقب المرتبطة بالسيرة الذاتية أو سيرة الحياة وعندما قمنا بتحليل المؤشرات الأولية للتحول وعدم الرضى كشف التحليل أنه على الرغم من صراع المفحوص مع صدمات الحياة وعدم وجود علامات لعدم الرضى أو عدم القناعة ويخالف ذلك ما يتصوره معظم الناس من أن عدم الاقتناع سبب للتحول إلى حركات دينية جديدة ومن تحليل حالة توماس يتضح أن الرغبة فى الحصول على الحب غير المشروط هو الدافع الأساسى لانضمامه إلى بعض هذه الحركات .

ويمكن الاستناد إلى الاطار النظرى المرجعى الذى يتناول الأساليب الدينية الذى صاغه وطوره (Strieb) الذى طبقة على ظاهرة الأصولية الدينية والإطار النظرى صيغ وتطور على يد

(oser & Gom under) (fowler) والذى يعتمد فيه على ما يعرف بالمنظور الارتقائى البنائى للدين

The structural – developmental prespectives on Religion

خاصة نظرية النمو الدينى لفويلر مع إدخال بعض التعديلات الدالة منها إعطاء أولوية خاصة للتفاعلات الاجتماعية المتداخلة بين الأشخاص لتفسير ووصف هذه الظاهرة وقد أمكن من خلال ذلك التوصل إلى تحديد الأساليب التالية :

(أ)الأسلوب الدينى الذاتى غير الموضوعى

. the subjective religious style

(ب) الأسلوب الدينى الاعتمادى الوسيلى أو التبادلى .

- The Instrumental – reciprocal or " do – ut – des " religious style .

(ج) الأسلوب الدينى القائم على المشاركة الحميمة the mutual style

(د) الأسلوب الدينى الفردى المنظم

– the Individualive systemic style

(هـ) الأسلوب الدينى القائم على الجدل والحـــور the dialogical style

ويفسر الاتجاه الدينى الأصولى المتعصب بناء على هذه الأطـر المرجعيـة النظرية بصعوبة تأطيرة أو وضعة تحت أى من الأساليب الدينية السابقة

ثانيا : النتائج المرتبطة بالمشروع أو النمط السحرى الخفى :-

١) تحليل محتوى الحديث :-

يسمح لنا التحليل السردى الاستبصار والـدخول إلـى عمـق الـسيرة الشخصية خاصة التفضيل المشروط لموجهات النظر المرتبطـة بعـالم سحرى والممارسات الشعائرية الدالة على التفضيل لوجهات النظر هـذه بالإضافة إلى موضوعات أخرى مثل الحزن والفجيعة بسبب انتحار أحد أعضاء الأسرة أو الإهمال الحاد الذى تتعرض له الحالة فى الطفولة وما يصاحب ذلك من قلق وجودى متجذر أو بالأحرى التوافـق مـع القلـق الطفولى ،الخيال الواسع ولكن الدال والمرتبط بالخوف والرغبـة الدالـة على التمسك بالحياة وهذه الرغبات تنمو فى مرحلة الطفولـة وتتجـذر وتتطور فى مرحلة المراهقة ليؤمن المراهق بالجان والشياطين وبالتالى الالتزام بطقوس شعائرية سحرية عن قصد وقد أظهـرت المقابلـة مـع هايكى هذه التوجهات حيث بدأ من الواضح أن قصة هايكى مع الجـان

والشياطين من خلال جلسات تحضير الأرواح وليدة القلق الذى عانتــه وتعايشت معه فى مرحلة الطفولة .

٢) **التحليل بهدف الوقوف على نمط الشخصية أو بنيتها Typology**

يمكن أن تصنف الحالات وفقا للإطار النظرى لــ " Strpib, 1996 " وبالتالى نقترح الاختلافات الواضحة فى الأبعاد التالية:

(أ) أنماط التوقع Types of Expection : حيث نميز هنا بين الهوى والولع المرتبط بمرحلة المراهقــة بالأشــياء الخرافية ذات الطابع السحرى بناء على الدوافع :

* البحث عن الراحة الحسية * التوافق مع الطقوس* البحث عن المعنى

(ب) أنماط التطبيق العملى للشعائر الخرافية السحرية types of occult praxis : نستطيع أن نميز اســتنادا إلــى وظــائف الطقــوس الــسحرية كمــا صــاغها (streib, 1996) بين الطقوس الــسحرية والطقــوس العامة أو الشائعة من جهة والطقوس العامة أو الــشائعة الشاملة واختيار الطقوس من جهة أخرى

٣) **التأثيرات والتطورات الشخصية والمتغيرات الشخصية والنمائية:-**

نحتاج من أجل التحليل العميق للديناميات النمائية ومعرفــة الآثــار المستقبلية للانضمام على الجماعات أو الحركات الغامضة والقائمــة على السحر والجدل أن نعرف الطرق التى يتعامل بها المراهقون مع نزعاتهم وخبراتهم الخرافية أو السحرية المتخيلــة وذلــك بتحليــل ميكاينزمات الدفاع النفسى وإستراتيجيات التوافق ويتضمن ذلك أيضا العلاقة بين النزعة أو الميل إلى الجدل والسحر أو النزعة والميــل

إلى الدين وهنا قد يساعدنا اقتراح نمط بنيوى ثالث فى التفسير وهو التمييز بين أساليب التفكير والفعل السحرى وهذه الأساليب تختلف بشكل مواز مع الأساليب الدينية والتى يمكن أن نضمها فى المتقابلات التالية :

- النموذج الاستكانى القابل / النموذج الدفاعى المتمرد .
- النموذج الأسطورى الخرافى / النموذج المشارك
- النموذج الوسيلى النفعى
- النموذج التبادلى الحميم .
- النموذج القائم على الضبط المنظم
- الأنماط الرمزية للجدل والسحر .

خاتمة :- التغيرات فى الخريطة الدينية .

لقد خلصت من الدراستين إلى الوقوف على نتيجتين هامتين :-

الأولى : تتعلق بنظرية ومنهج البحث البيوجرافى فى مجال الدين .

الثانية : تتعلق بالنتائج المرتبطة باستخدام المنهج البيوجرافى فى البحث الدينى .

وقد ظهر بجلاء حدوث تغير دال فى المشهد أو الخريطة الدينية بشكل عام فالإضافة إلى أن التدين محكوم فى بعض جوانبه بالتراث الدينى التقليدى tradition وبالبحث عن المعنى نحن نواجه الآن بتوجهات دينية ذات أنماط جديدة حيث لم يعد الإجبار أو الإلزام الدينى المسند إلى التراث التقليدى هو نموذج التنشئة الدينية حيث يوجد نماذج أخرى تهدد عملية الغرس أو التنشئة الدينية المعتمدة على التقاليد الدينية المتوارثة .

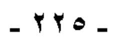
المراجع

١- عرض وتحليل لمقالة:

Heinz streib .off – Road Religion ? A. Narrative Approach to fundamentalism and occult orientations of Adolescents. journal of adolescence 23,235-267 Available online, 1999, at http :// www. Idealibrary .com



الدراسة الخامسة
إساءة توظيف الدين



استكشاف الخلفية الدينية والروحية فى وسائل الأعلام الجماهيرية

Packaging Religion : Exploring the poundaries of religion and Spirituality in Contemporary popular

ينظر إلى الدين والقيم الروحية فى الولايات المتحدة الأمريكية فى الوقت الحاضر بوصفها قضايا تنتسب إلى كونها مهنة أو عمل يتولى إدارته وتفعيله متخصصون ، وتناقش الموضوعات المرتبطة بالدين والروحانيات فى كل وسائل الأعلام ، كالصحافة المطبوعة ، والراديو ، والتليفزيون والأفلام ، وفى نفس الوقت نجد أن الولايات المتحدة أمة متعددة الديانات والأعراق ونتيجة لذلك يصاغ الدين والقيم الروحية أو يعاد صياغته فى صورة تجذب القطاع الأكبر من الشعب ، وتواجه الإجراءات التى تعد لصياغة المادة أو المحتوى الجماهيرى العديد من العقبات والحدود ذات الطابع الثقافى بدءا من المواد الدستورية المنظمة للقانون إلى الجدل والخلاف النظرى والتطبيقى الحاد فيما يتعلق بمعنى الدين المدنى Civil religion ، إلى المشكلات المرتبطة بالأمن السياسى إن جاز القول وعلى أية حال فإن المواد التى لا تثير خلافات هى المواد التى عادة ما يتم بيعها وتسويقها ، ويؤكد ذلك أن الدعوة إلى الدين أصبحت صناعة لها أدواتها ومحدداتها وإستراتيجيات ترويجها ، وتعالج الدراسة الحالية هذه الصناعة بمحاولة استكشاف ورصد التغيرات فى الحدود والعقبات الثقافية ، ومعرفة أثرها على الطرق التى تعد وتصاغ بها الصور الدينية والروحية فى المادة الجماهيرية المعاصرة بما تشمله من إعلانات ، برامج إذاعية وتليفزيونية ، وأفلام سينمائية .

الدين الضار : دراسات فى إساءة توظيف الدين Julius H. Rubin

يوجد اتفاق عام فى العلم الاجتماعى والنظام الـديني علـى أن للـدين دورا أساسى فى الصحة النفسية والأمن النفسى للشخص ، ومن هذا المنظور نجد أن الدين نظام رمزى يستطيع الإنسان مـن خلالـه إسـقاط معنـى علـى والوصول إلى قيم مطلقة تقدم إجابات شاملة للعديد من الأسـئلة المرتبطـة بطبيعة الوجود الإنسانى مثل معنى الحياة والهدف منها . العلاقة من الله عز وجل . مشكلة الشر والمعاناة فى العالم . الوعـد بـالخلاص والنجـاة بعـد الموت.

والانتماء الدينى Religious affiliation يضمن للفـرد عـضوية داخـل جماعات متماسكة ومترابطة ، ومحددات جمعية داعمة للهويـة الفرديـة أو لهوية الفرد Individual identity ، والاشتراك فى طقوس وشعائر روحية ذات طابع انفعالى مريح ومفرح .

ومن الوظائف الإيجابية للدين

١) خفض القلق الوجودى . ٢) خلق معنى للحياة يـستند إلـى الأمـل. والاستبشار بالغد . وتحسين نوعية أو جودة الحياة .

٣) نظام أخلاقى متماسك coherent ethos مرشد وموجه للسلوك .

٤) المساندة والدعم الاجتمـاعى Social support فـى أوقـات المحـن والأزمات .

٥) تجنب سلوكيات تدمير الذات

avoidance of self destructive behaviour

٦) توفير أسس إيمانية قوية لاقامة علاقة قوية مع الله والآخرين وبناء على ذلك يوفر الدين أوقات ممتعة للتواصل الإيجابى النشط مع الخالق عز وجل ومع الشركاء فى الدين [٢].

ومن الجدير بالذكر أن المؤسسات الدينية التى تغالى فى المطالب والالتزامات الدينية والتى تتمسك بحرفية الطقوس والعبادات والتى ترفض الحوار مع المذاهب الدينية الأخرى تحد بشكل كبير من إمكانية انضمام أعضاء جدد إليها وتمنع أعضاءها من تشكيل حياتهم هواياتهم وسلوكهم اليومى بالامتثال الإذعان إلى إرادة الله والسلوك الخلقى بشكل عام . ويميل الناس شديدى التمسك بالتوجهات التى يكتسبونها فى ظل مثل هذه المؤسسات إلى دمج أنفسهم بشكل تام فى الدين ويقولبون أنفسهم لخدمة الغايات الدينية وهذه المؤسسات تؤطر الدين بشكل جامد فى صياغات مطلقة لا يمكن فى ظلها التسامح مع ذوى المذاهب الدينية الأخرى ، وقصر الدور الروحى للدين على أيام الشعائر . هذه الجماعات ترعى المجتمعات الدينية التى تدمج أعضاءها فى نسيج اجتماعى متماسك webs of social solidarity – وروابط الأخوة بين المؤمنين .وبالتالى فإن الدين بهذا الشكل يعارض ويقدم بدائل لأزمات الحداثة التى تميز القرن الحادى والعشرين ومن هذه الأزمات :–

١) العَلّمانية secularization والدنيوية وعدم الاهتمام بالدين ، تعددية القيم Value pluralism ، الفردية أو الذاتية ، ومشكلة فقدان معنى الحياة .

٢) الظروف العدائية القاسية المصاحبة لاقتصاديات السوق الرأسمالى وما نجم عن ذلك من الظلم والتفاوت الطبقى والعرقى .

٣) سطوة وسلطة الدولة اللانهائية ، والتبرير اللإنسانى البيروقراطية الحياة الحديثة .

ويؤدى الانتماء الدينى الذى يغرى بتجمع حقيقى وعائلة حقيقية وعلاقات الإخاء الحقيقى الذى يتناقض مع اليأس والقنوط الذى يتعايش معه الإنسان فى المجتمع المعاصر .

ومن الحركات الدينية التى تشن حربا لا هوادة فيها ضد ظروف وأزمات المدنية المعاصرة الأصولية الأمريكية المتزمتة التى تشكلت بين (١٩١٠-١٩٣٠) حركة الطلبة المسيحيين الأوربيين ، حركة الاشتراكيون الدينيون التى نشأت فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وغيرها من الحركات الدينية الجديدة وقدمت هذه الحركات رؤى دينية مختلفة لمواجهة والتغلب على أزمات المدنية المعاصرة خاصة الشعور بالاغتراب Allienation وفقدان المعيارية Anomie والقلق الوجودى Existential amyst .

ويستفيد المؤمنون الفعليون من إيمانهم ومن قناعتهم بعقيدتهم وتسليمهم الأمر كله لله عز وجل . فهم يعيشون حياة إيمانية حقه منسجمة ومتناغمة مع قيمهم ومعتقداتهم فى ظل وجود اتفاق جمعى ودى مع الآخرين حول التوجه نحو المعانى المطلقة ، والخير والحق والطهر والصفاء [٣].

الطائفة البرديرهوف The Bruderhof communities

سنوضح الجانب الآخر لما يعرف بالبهجة الدينية وذلك بالتناول العميق للبنية الفكرية التحتية إن صح القول لإحدى الطوائف الدينية الأصولية المسيحية المتزمتة أو المتعصبة ، تعرف البرديرهوف The Bruderhof وقد عرفت فى الماضى " بمجتمع الإخوة أو الأشقاء The society of Brothers " وإخوان هوتيريان Hutterian Brethren وهى طائفة دينية

مسيحية أسسها . " إيبرهارد آرنولد Eberhard Arnold سنة ١٩٢٢ فـــى ألمانيا وهى تدخل الآن جيلها الرابع ولها ثمانى مقرات ويبلغ عدد أعضاءها فى الولايات المتحدة وإنجلترا حوالى ٢,٢٠٠ ألفين ومائتى عضو وتمول هذه الطائفة من خلالها قيام أعضاءها بتصنيع لعب أطفال تحت مسمى تجـــارى " community playthings " وتصنيع أدوات ومنتجات لذوى الإعاقـــات المختلفة من خلال مشاريع ديفتون Rifton Enterprises ويجــد زائـــرى مقرات هذه الطائفة أنفسهم أشبه ما يكونوا فى مجتمع قروى مـــن العـــصور الوسطى مملوء أيضا بتكنولوجيا أواخر القرن العشرين بما فيها من تعقيـــد وتقدم مثل أحدث وأرقى وسائل الاتصال عن بعـــد تكنولوجيـــا الـــصناعات اليابانية المتقدمة جدا... الخ وتبدو الحياة هادئة وآمنة حيث لا مكان لجرائم العنف و أو تعاطى المواد المخدرة المحرمة Illicit ، أو التكالب على المال أو المادة ، ويحرم بشكل تام جميع أشكال الممارسة الجنسية قبل أو خـــارج إطار الزواج premarital sexual activity ولا يوجد فى هذا المجتمع ما يعرف بالأسر وحيدة العائل single parent families ولا يسمح بالطلاق مهما كانت الأسباب ويمكن القول بشكل عام أن النظام العـــائلى فـــى هـــذه الطائفة لا يعرف أنماط الأزمات العائلية السائدة فى المجتمع الواسع بـــشكل مرعب ومخيف ومهدد لبقاء واستمرار الاستقرار فى النظام العائلى بـــشكل عام .

وقد مدح أو مجد العديد من الكتاب الصحفيون والزوار والضيوف فـــضائل هذه الطائفة المسيحية من خلال مقالات عديدة ترسم بروفيل مثالى وعاطفى جدا لهذا المجتمع .

وطبعت مئات القصص من قبل الصحف المحلية فـــى المجتمعـــات المحلية الأمريكية المجاورة لمقرات جماعة بيرديرهوف ترسم صورة بالغـــة الروعة والنقاء لآلاف الأطفال شديدى الوسامة تكللهم الورود وهم يحتفلـــون بمقدم الربيع ، ولآلاف الرجال ذو هيئة حزينة ولحـــى طويلـــة وقمـــصان رخيصة ومتواضعة يمشون فى تؤدة وسكينة فى مظـــاهرات ســـلمية ضـــد الحرب النووية وضد عقوبة الإعدام death penalty ولآلاف النساء التـــى يرتدين زى محتشم وبسيط يشاطرن الرجال الأعمال فى طاعة وتواضـــع ، بما يوحى بالاتحاد والتواد فى مجتمع كله يسعى إلى مملكة الـــرب God ,s Kingdom .

هذه هى الصورة بالغة الروعة وبالغة البهاء والبهجة للحياة فى هذه الطائفة وعلى الرغم من أنها صورة صحيحة إلا أنها تهمل الجانب الأخـــر لهذا البهاء والروعة والبهجة إنه الجانب القاتم السوداوى المعتم الكئيـــب إن جاز التعبير ، وهذا ما نحن بصدد استكشاف ملامحه وقسماته فـــى الجـــزء التالى :-

إن الهدف الأسمى والرئيسى لطائفة برديرهوف يتمثل فى التنـــشئة الأخلاقية الصارمة فى ضوء تعاليم الكتاب المقدس ، حيث يخضع أعـــضاء هذه الطائفة إلى إجراءات وممارسات تنشئة دينية قوامها الاستسلام المطلق . Surrendered للسيد المسيح ، والمجاهدة القاسية للتغلب على الاغتـــراب الفاحش عن الله وهم يماثلون emulate الكنيسة البابوية بتكـــريس أنفـــسهم للقيام بالعبادات للوصول إلى أقصى درجات الارتقاء والطهـــر . وباعتنـــاق مبادئ التسامح الدينى المطلق حتى مع ذوى النفوس الشريرة .والإخوة هـــى الرباط الأسمى بين كل الأشياء ويرفضون الخلافات غير المبررة التى تترتب

على الملكية الخاصة وعلى التفاوت العالمى فى الامتيازات والقوة ويتحـــاب المؤمنون ويترابطون فى إطار عام وموحد من الفكـــر والمعتقـــد والحـــب الأخوى المبرأ من كل نزعات الهوى والمصلحة .

ويؤكد هذه الطائفة بناء على الانصياع المطلق conformity لتعليم السيد المسيح على حتمية طهارة المسلك والفكر وغرس الفضائل فى العقـــل والقلب ويخضع المجتمع الكنسى أعضاءه لنظام رقابة صارم ليضمن التزامهم بالأخلاق الدينية و وحرصهم على التصرف وفق موجهات الـــروح القـــدس The holy spirit ويمارسون ما يعرف بالرقابة الأخوية لطهروا أنفـــسهم من الخطيئة .

ويؤثر نظامهم الأخلاقى على أشكال المسلك والاعتقـــاد والمظهـــر والملبس والتصرف مع التأكيد التام على قمع وتحريم كل أشكال الممارســـة الجنسية قبل أو خارج إطار العلاقة الزوجية الشرعية ويحظر تمامـــا علـــى الإخوة والأخوات الغيبة والنميمة ويجب أيضا حل كل الخلافـــات وأشـــكال الصراعات بالطرق السلمية بإعلاء قيم التسامح والتواد .

وتنطلق التربية الدينية الكنسية من الاعتراف بـــــ / والنـــدم عـــن الخطيئة وحتمية القضاء على / أو استبعاد كل مظاهر الآثم والشر من العالم . ولا يمكن أن يتم ذلك إلا بتنمية الوحدة والتماسك التام والمطلق بين البشر وبدأ أول تجمع لطائفة برديرهوف فى مقاطعة سانركس sannerz فى ألمانيا سنة ١٩٢٢ كجماعة ذات سطوة ونفوذ وجاذبيـــة خاصـــة charismatic group بجهد خاص من قبل eberharol Arnold وقد جذبت هذه الطائفة أو الحركة المضادة للثقافة السائدة فى هذه الفترة الشباب المتنور من الطبقـــة الوسطى المنتمين لما يعرف بالحركة الطلابية وللحركة الألمانية المـــسيحية

الذين يرفضون بشكل تام النظم العقلية المبررة The rationalized orders للمجتمع الحديث والمبدأ الأول الذى اعتنقه أعضاء هذه الطائفة هـو مبـدأ الإخاء الأخلاقى الكـونى ethic of universal brotherhood الـذى بشر به مجيئ السيد المسيح المخلص . وقد أعيد تموضع الحركة سنة ١٩٢٧ فى مقاطعة fulda وفى الفترة مـن ١٩٢٨-١٩٣٢ جاهـد " Arnold " ليطور نظام تمويل ثابت ومنظم يضمن استقرار واسـتمرار هـذه الحركـة وناضل أيضا لينظم البنى الفكرية لهذه الحركة . وقد وجد ضالته فيما أطلـق عليه " بالكاريزما البيروقراطية " routinization charisma وذلك بتبنى النظم الدينية والمخطط الإدارى administrative blueprint للجاليـات هاترايت فى شمال أمريكيا . ولذا إرتحل أرنولد إلى الولايات المتحدة وتلقى تعليم كهنوتى ليعمل كاهن وفق النهج الهاترايتى . وقد ضم جاليته لعضوية هذه الحركة فـى اجتمـاع سـرى عقـد لاعـادة تعميـده Anabaptist conventicle .

وقد رفض أعضاء الجالية البيرديرهوفية بصرامة التحالف مع النازية أو قبول التحاق أبناءهم بالخدمة العسكرية الإجبارية أو النطق بقسم الـولاء allegiance للدولة النازية . وقبل الموت المفاجئ لـ: Arnold " بـسنه أسس أعضاء هذه الطائفة مقرا فى مقاطعة ليشتنشتاين فى مطلـع الـدعوة السيطرة لمبادئ الحركة وتعرضت للمطاردة من قبـل أجهـزة المخـابرات الألمانية النازية وقد قامت الأجنحة العسكرية لهذه المخابرات بإغلاق وتدمير مقر هذه الحركة فى مقاطعة Rhon فى سـنة ١٩٣٧ والاسـتيلاء علـى ممتلكاتها ونفى أوترحيل أعضاءها خارج ألمانيا فأعيد تأسيس هذه الحركـة فى إنجلترا سنة ١٩٣٩ إلى سنة ١٩٤١ حتى تاريخ قيام إنجلترا بطرد كـل

الموطنين الألمان منها ولم يكن باستطاعة أعضاء هذه الحركة الحصول على حق اللجوء asylum السياسى إلى أمريكا الشمالية ، ولكـن سـمح لهـم بالهجرة إلى دولة بارجواى Paraguay وإلى مدينة El Arada بيورجـواى Uruguay لتصبح مركز الدعوة لهذه الحركة إلى أن تم تصفيتها من هاتين الدولتين سنة ١٩٦٠ وبعد الحرب العالمية الثانية يتم إحياء هذه الحركة فـى ألمانيا وإنجلترا ولذا يمكن القول أن العقيدة الروحية لهذه الحركة كانـت ذات طابع دولى مسالم وقائمة على روح الإخاء والتسامح خاصة فى فترة الحرب الباردة وقد تولى " Heinrich Arnold " الابن الأوسط لـــ Eberhard زمام الدفاع عن الأسس الفكرية والمبادئ الأخلاقية للحركة فـى مواجهـة التيارات المضادة وقد جاهد وناضل لإحياء وتعميق الرؤية الدينية لوالـده ، وعاصر هينريك ثلاث أزمات طاحنة مر بها وطائفته فى سنة ١٩٤١ . سنة ١٩٤٢ . سنة ١٩٤٤ ، حيث عانى كثيرا من الاضطهاد والأبعاد عن مجتمعه . فلجأ إلى الاستيطان فى الولايات المتحدة بوصفة أحد المبـشرين الـدينين Missionary سنة ١٩٥٠ وأتاح له النجاح فى هذه المهمة وارتفاع معـدل التمويل أرضية ثابتة لاعادة صياغة تعاليم ومبادئ الحركة بشكل فعال ومع ذلك مرت الحركة بنقطة تحول خطيرة ١٩٥٤ مع تأسـيس حركـة دينيـة أخرى أطلق عليها " Wooderest Hof in Rifton " فى ولاية نيويـورك وكموظف عام فى هذه الفترة تحالف هنريك مع هذه الحركة وأعتنق أفكارها والرؤى الدينية لها مما كان مؤذنا بانهيار الحركة التى أسسها والده وتفكيك كل البنى الأساسية لها مثل حركة الإخاء الأوربى والتخلص من الممتلكـات العقارية والمالية للحركة واستبعاد العديد من أعضاءها اللذين سـبق إعـادة

تعميدهم وذلك فى الفترة التى أطلقها عليها بالأزمــة الكبــرى the Great crisis سنة ١٩٥٩ إلى ١٩٦١ .

وتشبه هذه القصة القصص المأسوى الإغريقى ولكــن فــى شــكل معاصر إلا أن من خصائصها الحرب والجهــاد الــضرورى والــصراعات الحادة التى نشبت بين أبنــاء Arnold وأرملتــه widow وزوج ابنتــه Hanszunpe حول القوة والرؤية المرتبطة بمستقبل الحركة الدينية فقد تم اقتلاع مئات الناس وأصبحت حياة العديد منهم لا تطاق خاصة عنــدما تــم رفض انضمامهم لمجتمعات الإخاء وهم المؤسسون الحقيقيون الأول لمقــار الحركة فى باراجوى وألمانيا وإنجلترا

وأصبحت هذه الأزمة الحادث البارز المؤدى إلى التحول عن المسار التقليدى لهذه الحركة الدينية وقد أحيا هنريك هذه الحركة بمعزل عن أصولها وأسسها التاريخية مؤكدا على التمسك الحرفى بالنمــاذج الدينيــة التقليديــة والتطرف الانفعالى الحاد مع نبذ روح التسامح التى كانت المعلم الأساســى للحركة حال نشأتها فى مقابل التأكيد المطلق على التمــسك التــام بحرفيــة العبادات والشعائر .

وكتب Merril mow مبررا هذه الأزمة والأفعال المتطرفة لــروح العداء ونبذ الإخاء والتسامح الذى ارتكبه الأعضاء الجدد للــصيغة الجديــدة للحركة الأصلية ضد الأعضاء القدامى أو المؤسسين الأول للحركة قــائلا : يوجد صراع أزلى منذ أن وجدت الحياة على سطح الأرض وهذا الصراع أو طابع روحى أو دينى وهذا الصراع دائما بين أطروحتين :

الأولى تهدف إلى هدم أسس الإخاء والتسامح والثانيــة تــسعى جاهــدة لاقرار الأخوة والتواد فى الله [٤] .

استبدادية أو طغيان الروح القدس
A dictatorship of the Holy spirit.

يوجد تشابه كبير بين الحركة الدينية المسماة بالبرديرهوف والحركة الدينية المسماة هتيرايت Hutterites فى الرؤى الدينية خاصة فى روح التسامح وإتباع نهج سلمى فى الانفصال عن المجتمع الكنسى التقليدى وذلك لاعادة صياغة مملكة المسيح لمواجهة التوتر الدينامى المتصاعد والتسامح الرهيب نحو الاتجاهات ذات الطابع الشهوانى المادى التى تميز عالم الحضارة المعاصرة وقد نظمت هاتين الحركتين كطائفتين دينين يمكن الدمج بينهما فى صيغة مذهبية واحدة حيث توكل التدريبات والممارسات الدينية والإدارية إلى قادة دينين لهم الحق فى تفسير وترجمة روح وكلمة الله . مسلمين بما يطلق عليه الروح القدس والذى فى ضوءه تحكم كل أشكال التفاعلات والممارسات الدينية فى ظل وجود نظام متفق لتوارث قيادة أو خلافة الحركة ويسبغ على هذا التوارث صفة الشرعية الدينية بوصفة تجسيد لإرادة الله عز وجل وبالتالى فإن هؤلاء القادة يحكمون باسم الله عز وجل ومن حقهم على أتباعهم السمع والطاعة ومن حقهم أيضا إقرار نظام هيراركى لتوزيع السلطة يخضع له جميع الأعضاء ويتصور فى ظل هذا النظام أن الله انزل حكما نافذا لنظام اجتماعى عضوى organic social order يمارس فيه الرجال سلطة وقهرا على النساء والآباء على الأطفال والقادة على الأتباع والأمير أو القائد الأعلى على الجميع وإقرار هذا النظام كسنه للحياة بين أعضاء الحركة أو الجماعة .

ويستغل لاقرار طاعة وإذعان أعضاء الجماعة لهذا النظام الإلهى الهيراركى للسلطة ما يطلق عليه بالدفاع أو الرغبة فى النجاة Salvation بوصفه الرابطة الأساسية بين الأعضاء والمؤشر الأساسى أيضا للتسليم

لإرادة الله عز وجل وبهذه الطريقة تغرس هذه الحركة الطاعـــة المطلقـــة أو العمياء لممثلى السلطة بوصفهم ممثلون لله فى نفس الوقت وفى ظل مثل هذا النظام الصارم لا يتوقع وجود أى قدر من الحوار أو التسامح مـــع الأخـــر وبالتالى فإن الضبط الاجتماعى Social control داخل هذه الحركة يعتمـــد على التهديد بالإبعاد والترويع واستخدام القوة كوسيلة أساسية للقهر والإلزام وتعلو صفة الانتماء إلى هذه الحركة على أية رابطة بين البشر مثل الـــدم أو الزواج أو البنوة ....وفى حالة استبعاد أى فرد من الحركة فإن لعنـــة النبـــذ Trauma of ostracism تنسحب على كل أعضاء أســـرته وصـــحيح أن العضوية فى هذه الحركة اختيارية إلا انه بمجرد انضمام الشخص إليها لابد وان يسلم بديكتاتورية الروح القدس وبمجموع المعتقدات والقيم لهذه الحركة والولاء المطلق والتام لتعاليم الحركة وأى خروج على هذه التعـــاليم يقابـــل بعقوبات صارمة ولا يسمح لمثل هذا الفرد بالتعبير عن التوبة والنـــدم بـــأى شكل من الأشكال (٥).

وقد أدى تركيز القوة الروحية والسياسية فى يد مجموعة من الصفوة داخل الجماعة – حتى وإن كانت السمة الأساسية لها هى المحافظـــة علـــى وحدة الجماعة إلى استمرار الإساءة المنظمة للنظام الكنسى كـــأداة سياســـية تطرد Expel الأعضاء اللذين يثيرون تـــساؤلات أو يعارضـــون سياســـة الحركة أو الطائفة مثل هؤلاء الأشخاص يتهمون بخطيئـــة الكبـــر sins of pride الأنانية selfishness ، والنرجسية والغرور Egoism وينعتـــون بأنهم يسيطر عليهم أروح شريرة wrong spirits وقد لوحظ استخدام مـــا أطلقنا عليه إساءة توظيف النظام الكنسى church discipline كأداة سياسية لخنق أو القضاء على المنشقين وإعادة إحياء أو توجيه الحركـــة فـــى فتـــرة

الأزمات والتطهير التى سبق أن سميناها بفترة الأزمة الكبـــرى the Great crisis ومن حيث تعاليم هذه الحركة أو ما يمكن نعته بالرؤى الفكرية لهـــا نجد ان هذه الرؤى شديدة التناقض خاصة بالنسبة لطبيعة الأطفال ففى جانب ترى الحركة ان الأطفال مثال للطهر والنقاء بوصفهم ملائكة خيرة نجد فـــى جانب أخر أن الحركة تعتبر الأطفال أدوات للشيطان أو لإبليس وهم نقـــاط مستهدفة لهجمات الشياطين ويبدو سيطرة الرغبة القهرية لـــدى قـــادة هـــذه الحركة فى كتب repress منذ هذه السن الصغيرة الذى يمثل سن البـــراءة والطهر ومن اللافت للنظر أن نجد رؤى متناقضة تماما مع هذا المنحنى لدى قادة هذه الحركة حيث يكيلون الاتهامات جزافا إلـــى الأطفـــال والمـــراهقين بوصفهم من وجهة نظرهم ميالون للجنسية المثلية أما الراشدون فهم مذنبون وميالون لارتكاب انحرافات جنسية غيرية heterosexual misconducts وفى ذلك يقول " Eberhard Arnold , 1963,p.99 " إن العملية الجنـــسية هى أخطر السموم التى يصاب بها جسد الشخص فهى تسلب منـــا الحريـــة وتجعلنا أسرى للرغبات الجنسية القذرة والطهر هو الجوهر الحقيقى للحـــب كما أن الثقة Trust هى سر الحياة فى ركب الله لأن حياة الله هـــى الحـــب والطهر والعفة والشيء الأساسى الذى سنسأل عنه فيما يخص أطفالنا اللذين مازالوا فى سن الطهر والنقاء عندما لا يكون بمقدورهم تميز الخير من الشر هو ان نوفر لهم مناخ مملوء بالروح القدس المجسد للحب والطهر ويجب أن يكون ذلك هو مهمتنا الأولى والأساسية وإذا كان الأمر على خـــلاف ذلـــك سنكون مذنبون ومتهمون بارتكاب جريمة منكرة فى حق أطفالنا "

ومعظم المرتدون apostates عن الحركة البرديرهوفيه تمتـــاز طفـــولتهم بشيوع الانحرافات الأسرية وتعرضهم لإساءة المعاملة ومـــن تعـــاليم هـــذه

الحركة أن مثل هؤلاء الأطفال فى حاجة إلى أن يخضعوا لنظـــام تربـــوى صارم يقوم على العقاب البدنى لاعادتهم إلى جادة الطريقة [٦].

وفيما يتعلق بنظره هذه الحركة للمرأة نجدها تسلب المرأة أى قيمة أو أى قوة بل تتعرض للظلم أو التمييز وتوضع قيود كثيـــرة علـــى رغبـــاتهن وطموحاتهن بل ويحظر على النساء الانضمام على هذه الحركة لكونهن السبب المباشر فى الخطيئة الأولى وبالتالى هن مصدر الشر فى الحياة .

وفور انضمام أى عضو إلى هذه الحركة لابد ان يخضع لاعادة تربية أو إعادة صياغة لينتشل من عالم الشيطان والشر ليدخل عالم الإيمان والخير وذلك بتبنى خمس محددات للهوية الدينية للإيمان الحق وهى:

أ) السعى والمحاولات المستمرة للتطهر .

ب) شارة الصليب لا تفارقه .

ج) الطاعة المطلقة لقانون الله .

د) الثقة المطلقة فى الله .

هـــ)التفاؤل والاستبشار .

وأخيرا من أهم متطلبات الحياة الإيمانية التسليم والإيمان المطلق بالله والذى يعبر عنه بروح ارتباط وتعلق مثل روح ارتباط الطفل أو تعلقه وهنا تصبح الحياة اليومية شاهدة على البهجة والمتعة النفسية الحقيقية .

وما نود قوله أن الحياة الإيمانية الحقة من الصعب جدا الوصول إليها أو تحقيقها ويمكن التأكيد على أن التكنولوجيا التى وضـــعها " bruderhof " فى مقار جماعته يتسق مع المفهوم اللـــوثرى Lutheran concept الـــذى أصله وصاغه مارتن لوثر كنهج للإيمان المسيحى الـــذى يتمـــسك بحرفيـــة المعالم الدينية مثل تعليق الصليب والمعاناة والمجاهدة الدينية .

ويلاحظ ميل العديد من المصلحين مثل Heini Arnold إلى توجيه اتباعه لقراءة أعمال " Bonhoeffer .

خاصة كتابة " تكلفة التنشئة الدينيـــة the cost of discipleship والذى يؤكد فيه على ان الخلاص لا يتم إلا بالمجاهـــدة والمعانــــاة ومـــن الضرورى معارضة الوعد الذى تأخذه الكنائس على أنفسها بتقـــديم النجـــاة والخلاص المجانى الرخيص بمجرد انتماء الفرد إليها والخـــلاص والنجـــاة الفعلية لا تكتب إلا لمن يضاهى السيد المسيح والذى يكرس حياته بالكامـــل للتوافق مع التعاليم الدينية ومثلما يقول " Bonhoeffer " المعاناة إذن هـــى الشعار الحقيقى للتدين الفعلى(٧) .

وعليه فإن الحياة الإيمانية تتأرجح بين التسليم الطـــوعى للمـــسيح ، التسليم بالخطيئة ووفقا للاعتقاد الدينى لدى " Bruderhoff " يبدو أن إبليس يقوم بغارات على المجتمع من خلالها الهجوم على أو تخريب علاقات الأخوة بين البشر وذلك باستقلال ذوى النفوس الغارقة فى الخطيئة وأولئـــك الـــذين يلازمهم الإحساس بالذنب وكذا ذوى الأفكار الإلحادية أو ذوى المزاج الدينى السوداوى أو القانط وقد يتعرض كل مؤمن لهمزات الـــشياطين ويواصـــل " Heini Arnold " فى كتابة " الحرية والتحرر من الأفكار الأثيمة أو الضالة " التأكيد على أن المسيح وحدة هو المنقذ من الطرد أو اللعنة من قبل الله ولا يكف Arnold عن تعليم إخوانه انه لا يوجد شك فى أن إبليس يحاول بكل ما أوتى من قوة وبمختلف الأدوات والوسائل أن يوحى للجنس البشر بحتمية رذيلة الكبر والشر وعدم الطهـــارة وبمـــشاعر الكفـــر والإلحـــاد والأفكـــار والاتجاهات الملحدة وقد يصل الأمر إلى الحث على أو الإلحاح بالانتحار(٨).

المـراجع

١- عرض وتحليل لمقالة

Amy lefkowitz,. Packaging Religion : Exploring the poundaries of religion and Spirituality in Contemporary popular Media . American studies department, California state university Home page 2000 . http:// hass . fupperto n . edu / amst / Thesis Abstracts . htm .

٢- للمزيد يرجع إلى :- الدين والصحة النفسية لجون شوميكر .

schumaker , John f . L (1992). Religion and mental Health . oxford university press, London .

٣- للمزيد راجع

Rubin J,. Religious Melancholy and protestant Experience in America . oxford university press , London, 1994.

٤- راجع

Mow , merrcil . Torches Rekindled : the Bruderhol's struggle for reneulal . plough publishing House, new yourk ,1989.

٥- راجع

parsons , Arthur s . the secular contribution to religious innovation ; A case study of the unification church . sociological Analgsis ,1989, vol . 50 , No . 3 , p .210 .

٦- راجع

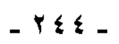
* Pleil ,Nadine moonje. free from Bondage . carrier pigeon press, san Francisco , M .S.A .(1994)

7- Bonhoeffer , Dietrich . The cost of discipleship . MacMillan , New Yourk . U. S . A 1963

8- Arnold , Heini. Freedom from sinful thoughts , Christ alone Breaks the curse Plough publishing House , New yourk . U.S.A,1973.



الفصل السابع
الدراسات المحلية



عنف الشباب
محاولة فى التفسير

مقدمة

يمثل جيل الشباب الجامعى شريحة مهمة فى المجتمع المصرى من حيث العدد والعدة ويحتل موقعاً متميزاً نظراً لتنوع تخصصاتهم وخصائصهم الاجتماعية الاقتصادية والثقافية والتنموية المؤثرة ، يزيد من أهمية هذه الشريحة أنهم الأكثر تأثراً خاصة فى ظل التحولات التى صاحبت العولمة ، وانتشار العنف – على تعدد أشكاله ومظاهره – فى منطقة الشرق الأوسط ، والتى أثرت بقوة على عنف الشباب بصورة أساسية .

إذ يعد عنف الشباب ظاهرة اجتماعية واضحة تتزايد بشكل مطرد وفى حاجة لعمل جاد على المستوى القومى حتى يمكن وضع هذه القوة فى مكانها الطبيعى فى المجتمع للوصول إلى تقليل مثل تلك السلوكيات العنيفة . وبالرغم من أن عنف الشباب ظاهرة عالمية تظهر فى كل المجتمعات فإن هناك ظروف اجتماعية معينة تساعد على زيادة ظهور تلك السلوكيات باضطراد .

كما أن الأزمات الاقتصادية وزيادة معدل الفقر بين السكان أدى إلى التفكك الأسرى وتآكل الجماعات الرسمية وظهور غيرها وبذلك تصبح الثقافات الفرعية المنحرفة أمراً سائداً – خاصة بين الشباب ، ولذات الأسباب فالنماذج القديمة للسلوك لم تعد تتمتع بالمصداقية ، والأدوار الأسرية تغيرت ، وتناقص تأثير المدرسة أكثر فأكثر ، كما أن تكنولوجيا الترويج والوسائط الإعلامية تعرض مواد مليئة بالعنف (بدءاً من عنف الصورة ، فالمضمون ..إلخ) والحياة السهلة وفى المقابل يؤدى تفاوت مستوى الإشباع إلى حالات من الضغط والتى غالباً ما ينجم عنها سلوكيات عنف ، فى ظل تحطم قيم

الحياة وعدم وجود إطار للشباب يجعل من السهل إنزلاقة فى الهاوية واغترابه حتى عن نفسه بما يفقده هويته الوطنية التى تصبح نمو طبيعى للأزمة التى تتخذ أشكالاً دراماتيكية معقدة ، فالشباب متروكين لأنفسهم دون الرعاية والضبط الملائمين فى ظل توفر النماذج السلبية السائدة ٠

ذلك لأن العنف هو فى حد ذاته نتاج لعوامل بنائية أكبر رغم أن النظرة السطحية الجزئية تنظر إلى سلوك العنف على أنه سلوك فردى يرتبط بالموقف أو الشاب ذاته إلا أن نتائج الدراسات تشير إلى ارتباطه بالمستوى الاجتماعى الاقتصادى وبالبطالة وعدم إشباع الحاجات الأساسية ومستوى التعليم المنخفض ٠٠٠ إلخ والعنف يمكن وصفه بالطبيعة الزئبقية فهو صاحب ألف وجه وأشكاله مثل الأعداد تبدو لا متناهية فهى دائما جديدة ومتجددة ٠

لذا لا يمكن فهم هذه الظاهرة بمعزل عن السياق الاجتماعى الاقتصادى فى محيطها المباشر ولكن فى محيطها العالمى بمعنى فى سياقها الكلى والتعامل معها كنتيجة لعدد من المقدمات ، وليست كشئ معطً ٠

ولا يمكن إبعاد الطالب الجامعى عن العنف (الاجتماعى – السياسى ٠٠) بكلام نظرى وبالحقائق التى تنفره من العنف أو بالمعلومات التى تصرفه عنه – رغم أن هذا مطلوب – بينما تكمن المشكلة الأساسية لذلك فى الطريقة التى تنمى بها القيم وتكسب بها الاتجاهات الإيجابية بحيث تتحول المعرفة بواسطتها من قول إلى عمل ويكون ذلك (على سبيل المثال) بتفعيل مشاركه الطالب الاجتماعية والسياسية وتوسيع مساحة الحرية له للتعبير عن نفسه ٠

ولتفسير العنف لدى الشباب الجامعى يجب أولا التجاوز عمـــا وراءه وهنا نفكر على مستويين الأول : مستوى الأحداث أى الوصف التفصيلى لما تتكشف عنه ولشكلها وممارستها وعواقبها المباشرة • والثانى : هو مستوى وعى الناس ودراسة أسبابه ودوافعه وأساليب علاجه وتوظيفه •

هدف البحث

يهدف البحث إلى رصد ظاهرة العنف بين الشباب الجامعى وأسابها فى الحياة الجامعية ومظاهرها وأسلوب معالجتها من خـــلال تفـــسير هـــذه الظاهرة فى ضوء معطيات الواقع الاجتماعى – الاقتصادى المعاش •

تساؤلات البحث

فى ضوء الأهداف السابقة التى يسعى البحث فـــى تحقيقهـــا أمكـــن صياغة هذه التساؤلات :

١ – ما أسباب عنف الشباب فى الحياة الجامعية ؟

٢ – ما أشكال ومظاهر هذا العنف ؟

٣ – ما تفسير ممارسة الشباب للعنف ؟

٤ – ما علاقة الطلاب بأعضاء هيئة التدريس والإدارة ؟

٥ – ما الحلول المقترحة لمعالجة هذه الظاهرة ؟

فى منهجية الدراسة الميدانية

تم الاعتماد على الأسلوب الوصفى فى البحث لأنه يتناسب مع المشكلات التى لا تتوفر حولها معلومات كثيرة ويحاول وصف الظاهرة موضوع البحث ٠

هذا وقد أجرى البحث بجامعة المنصورة على طلاب قسم الاجتماع بكلية الآداب الفرقة الثالثة والرابعة (من الجنسين ، انتظام وانتساب) من عينة مثلت نسبة ١٠% من إجمالى عدد الطلاب بالفرقتين بعدد حالات بلغ ١٠٧ طالب وطالبة من خلال عينة عشوائية منتظمة ٠

وطبقت الدراسة الميدانية خلال شهر فبراير عام ٢٠٠٥ ومثل ذلك المرحلة الأساسية من الدراسة الميدانية التى شملت مرحلتين تاليتين :

مقابلات جماعية مع عدد من الطلاب والطالبات فى حوار مفتوح للتعرف على وجهات نظرهم ورؤاهم وتجاربهم وخبراتهم من خلال لقاءات وديه وطوعية ممن ينتمون إلى أسر النشاط الطلابى بالقسم وأثناء قيامنا ببعض الرحلات الترفيهية ٠

عدد من المقابلات مع أ٠د٠ عميد الكلية وبعض الزملاء أعضاء هيئة التدريس خلال شهر مارس كذلك مع كل من رئيس الشئون القانونية بالكلية ، وقائد حرس الكلية فى حوار مفتوح عرضاً فيه لخبراتهم العملية أثناء التحقيق مع الطلاب القائمين بأعمال عنف من خلال عرض أشكال وصور العنف وأساليب التعامل معها باعتبارهم إخباريين٠

هذا وقد استخدمنا استمارة الاستبيان والتى تضمنت عده محاور

- البيانات الأساسية ٠

- أسباب العنف وأشكاله ومظاهره فى الحياة الجامعية ٠
- الموقف تجاه العنف وشمل عوامل تشجع على مواقف العنف – متى يكون العنف مقبول استخدامه ، من هم المعتدين ، العنف باعتبـــاره سلوك متعلم ٠
- العلاقة بأعضاء هيئة التدريس والإدارة ٠
- الحلول المقترحة للحد من هذه الظاهرة ٠

أهم خصائص العينة

مُثلت العينة بنسبة ١٠% من طلاب الفرقة الثالثة والرابعـــة لأنهـــم الأكثر خبره ووعيا بالحياة الجامعية عن الفرقتين الأولى والثانية ، وقد جـــاء عدد الطلاب ٥٩ طالباً بنسبة ٥٥,١% والطالبات ٤٨ طالبة بنسبة٤٤,٩% ٠ وجاء الطلاب الانتظام بنسبة ٦٧,٣% والباقى انتساب موجه ٠ وجاءت نسبة من يقيم بالقرية ٥٧,١% مقارنة بمن يقيم بالمدينة ٤٢,٩% وكانت النـــسبة الأغلب من أفراد العينة يعيشون مع الوالدين بنسبة ٨٨,٨% ٠ كما جاء تعليم رب الأسرة بالنسبة للحاصلين على مؤهل جامعى بنسبة ٤٩,٦% ، مؤهـــل متوسط بنسبة ٣٠,٨% ، ومؤهل دون المتوسط بنسبة ١٩,٦% ٠ أما بالنسبة لتعليم الأم فقد جاءت النسبة الأكبر من التعليم دون المتوسط على عكس رب الأسرة بنسبة ٤٢% أما المؤهل المتوسط بنسبة ٣٧,٤% وجاءت النسبة الأقل فيمن يحملن مؤهل جامعى بنسبة ٢٠,٦% ٠

أما وفقا لمهنة رب الأسرة فجاء العمل الحكومى فى المرتبة الأولـــى بنسبة ٥١,٤% وجاء العمل الحر بنسبة ٣٤,٦% أما العمـــل فـــى القطـــاع الخاص فجاء بنسبة ١٤% أما النسبة الأكبر لربات الأسر لا تعملـــن بنـــسبة

٥٨,٩% كما جاءت النسبة الأكبر لترتيب الطالب بالنسبة لأخوته كأصغر أخوته بنسبة ٥٢,٣% وجاء الترتيب الأكبر بالنسبة لأخوته بنسبة ٣٧,٤% ٠ أما الترتيب المتوسط بالنسبة لأخوته جاء فى المرتبة الأخيرة بسبة ١٠,٣ ٠

نظريات دراسة العنف

فيما يلى نتناول أبرز نظريات دراسة وتحليل العنف وهى :

- مدرسة التحليل النفسى : وتقدم تفسيراً للعنف من خلال سيطرة الغرائز والدوافع والحاجات ، فالعدوان تمتد جذوره إلى الطبيعة البشرية ٠ وبالتالى يصبح العنف استجابة طبيعية كغيرها من الاستجابات الطبيعية للفرد ٠

- أما المدرسة السلوكية : فتؤكد على المتغيرات الموجودة فى البيئة ، وتولى العوامل الاجتماعية أهمية كبيرة وخاصة نظرية الإحباط والعدوان ، كما تؤكد على أن العنف ليس النتيجة الضرورية لكل عدوان لأن منها ما يهدف إلى إلحاق الأذى بالآخر ، وبعضها يعبر عنه فى شكل عنف لفظى أو معنوى وهناك عوامل أخرى تؤخذ فى الحسبان منها نوع الإحباط وشدته وطبيعة رد الفعل المتوقع منه ٠

- أما مدرسة التنشئة الاجتماعية : فتفترض أن العنف يتعلم ويكتسب خلال عملية التنشئة الاجتماعية ، ويؤكد ذلك أن مظاهر العدوان والعنف توجد بشكل واضح فى بعض الثقافات أو الثقافات الفرعية وتكاد لا توجد بتاتا فى ثقافات أخرى ٠ ففى بعض الثقافات الفرعية قيما كثيرة تمجد العنف وتحض عليه فيشب الصغار وخصوصاً

الذكور ولديهم قناعات ومبررات مؤيدة للعنف وبالتالى تسهل عليهم مهمة توظيفه فى الأنشطة اليومية [١] .

- كما أن هناك العديد من النظريات منها نظرية المصدر (المورد) ، الأنساق العامة ، المنظور الأيكولوجى ، التطورى لدراسة وتحليل العنف .

ولكن كيف يمكن دراسة العنف على أسس وخلفية علمية أو ما هى أنواع الأفعال التى تشكل العنف وكيف يمكن تفسيرها من قبل علماء الاجتماع وغيرهم وأى من تلك المداخل النظرية العامة يمكن أن تعتبر – بشكل واضح – المدخل الأمثل لشرح جذور السلوك العنيف .

إذا تستخدم الدراسة العلمية للعنف حاليا العديد والعديد من النظريات منها أن معظم الأفراد يفترضون أن العنف سلوك منحرف بنائى من قبل عوامل تؤثر على شخص سواء كانت عوامل داخلية أو خارجية . وترجع النظريات الطبيعية العنف إلى الأسباب الوراثية مثل الجينات والهرمونات والنوع والأمراض مثل الشيروفرينا (انفصام الشخصية) والأمراض العصابية . ومن العوامل البيولوجية التى يُعتقد أنها تؤثر على حدوث السلوك العنيف : تلف الدماغ والإساءة البدنية وسوء التغذية .

أما النظريات التى ترجع العنف لأساليب خارجية فترى أن أفعال العنف تنشأ من قبل التنشئة الاجتماعية النوعية (تفرقة بين الجنسين) والأمراض العقلية أو ظروف البيت والمدرسة والمجتمع وتعتبر نظرية العنف المستحث من قبل وسائل الإعلام من النظريات الشائعة بين علماء

الاجتماع ٠ فى حين أن علماء الأعصاب يدرسوا تأثير التعـرض للأفعـال العنيفة على الحالة العصبية للفرد ٠

أما علماء الانثروبولوجيا فيقفوا على النقيض من غيرهم ، حيث أنهم لا يرون العنف كسلوك منحرف بل أنه تكيف تطورى طبيعى [٢] ٠

وفيما يلى نعرض للمحاور الأساسية للبحث وتشمل مفهـوم العنـف والتعريف الإجرائى له ، عرض لنتائج عدد من الدراسات السابقة ، وتـأثير الأحداث العالمية (العولمة) على زيادة مظاهر العنف وأخيراً نعرض لنتـائج الدراسة الميدانية ٠

أولاً : فى ماهية العنف وأهميته

يعد اللجوء إلى العنف بين بعض فئات المجتمع وسيلة لتحقيق أهداف معينة أو غاية فى حد ذاته وأيا كان العنف – وسيلة أو غاية – فهو يعكـس حالة من الخلل والتفكك الذى يسود المجتمع ٠

بل إن تزايد معدلات العنف بأنواعه وأنماطه ومجالاته المختلفة فـى فترة معينة ، وفى فئات بعينها تثير تساؤلات حول ما إذا كانـت مؤسـسات المجتمع المنوطة بعملية التنشئة الاجتماعية (مثـل الأسـرة والمدرسـة ، والمؤسسة الدينية ، ووسائل الإعلام) ، قد أدت دورها بفاعلية ونجاح ، لأنه مع انتشار العنف يصبح وفاء مؤسسات التنشئة الاجتماعية بوظائفها محـل شك كبير [٣] ٠

ترتبط محاولة تفسير عنف الشباب بالوقوف على عدد من القـضايا منها [٤] :

- تعد مرحلة الشباب أكثر المراحل الارتقائية التى يصبح أفرادها أكثر تهيئاً للعنف من غيرها بطبيعة الخصائص الجسمية والنفسية التى تجعلهم أكثر إنفعلاً وتطلعا للمستقبل بهدف تحقيق ذواتهم ٠
- يعد العنف جزء من تفاعلاتنا اليومية فى التعامل مع الذات أو مع الغير كما فى الأسرة أو بين الأخوة والأصدقاء أو مع الجيران وفى المدرسة والشارع والسوق وفى العمل وحتى فى المواصلات ٠
- يرتبط العنف كأسلوب أو وسيلة لحل المشكلات بعدم المقدرة على التفاعل الاجتماعى ومهارات التعامل والقدرات اللفظية والمقدرة على التواصل التى يمكن الاعتماد عليها فى إخفاء مظاهر الغضب أو التحكم فيه فى محاولة لتجاوز المشكلات بدلاً من العنف فى مواجهتها ٠
- تزايد ظاهرة العنف وثقافتها وتنوع أشكالها وابتداع الجديد فى ممارستها كما أنها شملت كل الفئات العمرية والتعليمية والمهنية وأصبحت ثمة فى جميع المجتمعات ٠
- يعد العنف فعل اجتماعى غير مقبول وهو نتيجة لعدد من المعطيات من أهمها أنه مؤشر لأوجه الخلل فى بنية المجتمع من حيث العلاقات ومنظومة القيم السائدة ٠

وفيما يلى نعرض لمعنى العنف وأشكاله وأنماطه ودرجة إنتشاره على مستوى المجتمع العربى والعالمى ٠

وللعنف معانى وتعريفات متعددة بتعدد زوايا النظر إليه والهدف منه وطبيعة القائمين عليه:

فى الحديث الشريف يقول الرسول الكريم ρ " ما كان الرفق فى شئ إلا زانه وما نزع من شئ إلا شأنه " ٠

ويشير " المعجم الوسيط" إلى أن العنف ضد الرفق كان نقول " عنف عليه عنفا وعنف به " والمعنى أن أى عمل يخرج عن دائرة الرفق والرحمة والشفقة والعطف يعد عنفاً ٠

ويشير " مختار الصحاح " إلى أن (العنـف) بالـضم ضـد الرفـق و(التعنيف) هو التعبير واللوم ٠ والعنف قديم قدم الحياة ذاتهـا ٠ إذ عـرف التاريخ أشكال متعددة من العنف أما العنف المعاصر فساعدت التكنولوجيـا وإعمال العقل من خلال تكنولوجيا وسائل إنتاج العنف وتكنولوجيا الإعلام ، والإعداد الذهنى للقائمين بالعنف على زيادته وتنوع أساليبه (٥) ٠

وتشير الدراسات إلى انه فى ظل تكنولوجيا الإنترنـت صـار مـن السهولة بمكان بالنسبة للمراهقين تنظيم جماعات العنف حيث تجذب بـذلك حتى تلاميذ المرحلة الابتدائية(٦) ٠

ويقسم العنف حسب طبيعته أو القائمين به أو طريقة التخطيط له إلى : عنف جماهيرى ، عنف المنظمات ، عنف الأفراد (٧) وهناك عنف شمولى حسب تعبير (حنا أرندت) أو عنف بنيوى بالمعنى الذى بات مألوفـاً نتيجـة لكتابات عالم السياسة النرويجى يوهان جلتونج (٨) ٠

وهناك من يقسمه إلى عنف نفسى وعنف بدنى ويشير العنف النفسى إلى التحقير والاستهزاء والتسلط والاستبداد وإلغاء الشخصية ٠ أما العنـف البدنى فيقصد به الاعتداء على النفس والممتلكات بالقوة دون وجه حق (٩) ٠

أو يتم تقسيمه إلى عنف منظم : ويكون نتيجة تخطيط وتدبير مسبق وهو أكثر أنواع العنف انتشاراً ، والثانى ، عنف تلقائى : وهو عنف يكـــون وليد اللحظة أو الموقف، ويتم بشكل عفوى كرد فعل لطبيعـــة الحـــدث دون تخطيط أو تدبير مسبق وأخيراً عنف مرضى : يمارسه الأفراد الذين يعانون من أمراض عضوية أو نفسية أو عقلية أو بمرض يُلد لـــديهم رغبـــة فـــى ارتكاب العنف (١٠) .

وللعنف أربعة أنماط هى : عنف لا عقلانى غير مسئول يفتقد إلى أية أهداف موضوعية يثور ضدها (ويندرج عنف الشباب الجامعى فى معظمـــه تحت هذا النوع) ، عنف تلعب وسائل الاتصال الحديثة دوراً بـــارزاً فـــى أحداثه وهو عنف المنشأ أما النمط الثالث ، فهو العنف الانفعالى وهو نـــوع من الإنفجار العاطفى الذى يعبر عن توترات ومشاعر متراكمة لها أســـبابها الملائمة . والنمط الرابع : عنف عقلانى وهو أكثر أنواع العنـــف نـــضجا وفاعلية (١١) .

وتأتى أهمية الموضوع من انتشار الظاهرة على مـــستوى المجتمـــع العربى والعالمى إذ تشير نتائج الدراسات إلى أن غالبيـــة مرتكبـــى جـــرائم العنف هم من الذكور صغار السن الذين تتراوح أعمارهم بـــين (١٥ – ٢٤ سنة) (١٢) .

وبالاعتماد على تقارير مصلحة الأمن العام فى مصر خلال الفتـــرة من ١٩٩٦ – ٢٠٠٠ عن أنماط العنف لدى الشباب نجد أنها تمثـــل نـــسبة ٥٨% على مستوى الجمهورية والجدول التالى يوضح ذلك (١٣) .

جدول يوضح التوزيع النسبى لإجمالى المتهمين من الشباب حسب صور العنف منسوبا إلى إجمالى المتهمين على مستوى الجمهورية

صور العنف	إجمالى المتهمين ونسبته		الإجمالى العام للمتهمين
	العدد	%	
القتل	٢٩٨٨	٤٦,٧	٦٣٩٨
ضرب أفضى إلى موت	٨٢٧	٥٦,٣	١٤٦٨
ضرب أحدث عاهة	٢٢٤	٥٨,٦	٣٨٢
السرقة	٢٩٠٥	٧٧,٨	٣٧٣١
الإجمالى	٦٩٤٤	٥٨	١١٩٧٩

ومن المؤشرات الأخرى على إزدياد ظاهرة العنف بين الشباب ، أشارت إليه إحصاءات تقارير إدارة شرطة الأحداث فى مصر من تزايد عدد الأحداث (١٥ – ١٨ سنة) الذين صدرت ضدهم أحكام مقيدة للحريات نتيجة ارتكابهم جرائم متصلة بالعنف حيث تزايد عددهم من ١٠٥٦ عام ١٩٩١إلى ٢٠٨٣ عام ١٩٩٧ ، أى بنسبة ١٠٠% تقريباً (١٤) ٠

وفى ضوء المسوح التى أجريت فى الوطن العربى خلال العقد الأخير تبين انتشار سلوكيات حافلة بالدلالة الخطرة والعنف لدى الشباب منها انتشار التدخين وتعاطى الكحوليات والمخدرات ٠ فالمسح العمانى حول الشباب بين أن نسبة الشباب الذين يدخنون السجائر أو سبق لهم التدخين وصلت إلى ٢٦,٢% لدى الذكور ، ٣,٨% لدى الإناث ٠ أما مسح التدخين بين الشباب فى الإمارات فقد وصل ٢٠,٤% لدى الذكور ممن سبق لهم

التدخين مقابل ١٠,٩% لدى الإناث وان ٢٣% من الذكور الذين سبق لهـم التدخين بدأوا هذه العادة فى سن أقل من العاشرة ٠

وأن الشباب المدخن حاليا أو سبق له التدخين فى سـوريا وصـلت نسبتهم إلى ٣٢,٢% لدى الذكور مقابل ٦,٩% لدى الإنـاث ٠ وأن نـسبة الشباب الذين يدخنون السجائر فى تونس وصلت إلى ٢٩,٥% على مستوى إجمالى العينة ، لدى الذكور ٥٠% ولدى الإناث ٣,٤% (١٥) ٠

كما يعد العنف من الأسباب الرئيسية المؤدية للوفاه فى معظم الـدول فعل سبيل المثال فى الولايات المتحدة الأمريكية نجد أن الأفراد فى المرحلة العمرية ١٠ – ٢٤ سنة أكثر عرضه للعنف ، ففـى عـام ٢٠٠١ تعـرض ٥٤٨٦ شاب فى هذه المرحلة للقتل أى بمعدل يومى ١٥ شاب ٠

وفى عام ٢٠٠٢ تعرض ما يزيد عن ٨٧٧,٧٠٠ شخص تتـراوح أعمارهم بن ١٠ – ٢٤ سنة للإصابة من جراء أعمال عنف ، ويوجد نـسبة (١) من بين كل (١٣) منهم يكونوا فى حاجة لدخول المستشفى ٠

وترجع الدراسة أسباب ذلك إلى عوامل فردية منها : عدم الإهتمام ، النشاط الزائد ، المعتقدات والمواقف غير الاجتماعية ، تاريخ من السلوكيات العدوانية المبكرة ، تعاطى المخدرات والكحوليات والتبغ ، عدم القدرة علـى التحكم بالذات ، الارتباط برفاق السوء (الشِلل) ٠ وعوامل أسـرية منهـا : النظام السلطوى فى تنشئة الأطفال ، التعرض للعنف والخلافات الأسـرية ، الممارسات العنيفة والشاذة وغير اللائقة ، عدم الانخراط فى حياة الطفل (١٦).

وتشير الإحصائيات إلى إرتفاع معدل الإساءة للطفل (بدنيا ونفسيا) خاصة من قبل والدية أو من يرعونه ، وبالتالى يكون عاملا جوهريـاً فـى

التأثير النفسى الشديد على الطفل وتزداد احتمالية أن يقوم بسلوكيات عنيفة وشاذة عندما يكبر (١٧) .

كذلك تشير الدراسات إلى أن الوضع الاقتصادى والحرمان فى الصين يؤدى إلى العنف إذ يقول Wang Kun طالب فى كلية الطب "عندما سمعت أن صديقى وزميلى بالكلية Xue Ronghua طعن سبع من المارة – لم أود تصديق أن ذلك حقيقة – بالقرب من مساكن الجامعة صباح ١٦ مايو ٢٠٠٤ ، ويضيف قائلاً " لم أستطع تصديق أن ما أراه فى الجرائد قد يحدث مع زميلى فى الكلية ، لقد بدأ الأمر وكانى أحلم " وقد قام Xue الذى سلك سلوكاً عنيفا باستخدام سكين الفاكهة وطعن سبع ماره فقتل اثنين وأصاب خمسة إصابات خطيرة – قام بعد ذلك بتسليم نفسه لسلطات مكتب Nanchang عاصمة Jiangxi فى نفس اليوم وكان ذلك كله قبل شهر من تخرجه .

ويقول Sun Quang ، زميل آخر لـ Xue أنه يتذكر أن Xue كان يتخيل أحياناً أن المارة يحاولون أذيته ومع ذلك فإن زملائه كانوا مشغولين بشئونهم الخاصة ولم ينتبهوا لسلوكه .

ويرى .Cwo L أستاذ علم النفس أن Xue يعانى بشكل واضح من مشكلات نفسية تعرف بإضطرابات الشخصية وهؤلاء يتصفون عادة بتلقى مشوه للواقع ويفتقر للشعور بالأمن . وهناك ضغوط اجتماعية وعوامل كثيرة منها الضغط الناجم من المنافسة الدراسية الشديدة وصنفها إلى ثلاث فئات :

- طلاب لا يكون آدائهم مرضى فى الدراسة وعادة ما يشعروا بإحساس الفشل .
- فشل الطلاب فى الاندماج والتوائم مع أقرانهم أو التواصل بشكل جيد لأسباب عدة مهنا الخجل أو الفقر ... إلخ .
- فشل الطلاب العاشقين فى علاقاتهم [١٨] .

ويتداخل مع مفهوم العنف مفاهيم كثيرة :

فهناك مفاهيم مترادفة للإشارة إلى سلوك العنف ، كمفهوم العدوان والانتهاك وإساءة المعاملة ، والإهمال ..إلخ. ويختصر البعض مفهوم العنف فى أنه أى سلوك يستهدف إلحاق الأذى بالآخرين أو ممتلكاتهم . ويذهب البعض إلى أن العنف يتضمن أشكال العنف المادى وأشكال العنف غير المادى (المعنوى) كما يتضمن أيضا مفهوم العنف أشكال العنف الإيجابى (مثل الإيذاء البدنى المتمثل فى الضرب) وأشكال العنف السلبى (مثل الإهمال) وأيضاً كل أشكال إساءة المعاملة [١٩] .

ويُعد مفهوم الإساءة Abuse أكثر المفاهيم ارتباطا بالعنف وهو أى فعل يقوم به احد الأفراد بقصد إيقاع الضرر بشخص آخر ويستخدم كمرادف له فى عدد كبير من الدراسات بذلك النوع من السلوك العنيف الذى يحدث من جانب الآباء لأبنائهم أو تلك الإساءة التى تحدث للزوجة من خلال سلوك عنيف وكذلك الإساءة للوالدين والمسنين وكذلك الإساءة للطالب من معلمه أو القسوة فى المعاملة أو التوبيخ والضرب أو الشجار الذى يؤدى إلى جروح .. إنها صورة متعددة للإساءة تأخذ مظهراً للعنف الذى يصل فى ذروته إلى حالة القتل [٢٠] .

والعنف هو نمط من أنماط السلوك ينتج عن حاله إحباط ويكون مصحوباً بعلاقات توتر ويحتوى على نيه مبيته لإلحاق ضرر مادى أو معنوى بكائن حى ، أو بديل عنه [٢١] .

فالعنف مصطلح ليس من السهل تعريفه ، حيث يميز الباحثون بين أفعال القوة أو العنف المشروع وأفعال العنف غير المشروع : فعلى سبيل المثال كثيراً ما يعد الضرب داخل الأسرة أمراً مقبولاً ثقافياً ومعيارياً ، أما إذا تعرض أحد أفراد الأسرة للضرب من احد الغرباء فإنه يعد سلوكا غير مشروع . ويعرف Gelles and Straus العنف بأنه سلوك عمدى أو شبه عمدى يسعى إلى الإيذاء البدنى ضد شخص آخر [٢٢] .

وقد يكون مفهوم القوة Power مفهوماً مفيداً فى الكشف عن إلية الفعل العنيف ، فالقوة فى جوهرها هى علاقة تأثير أو سلطة أو قسر تمنح أحد الفاعلين قدرة على أن يجعل الآخر (الآخرين) يتصرفون بطريقة لم يكن ليسلكوا بها لولا وجود الطرف مالك القوة ولا نود أن نقول بأن العنف هو سلوك يمارس فيه أحد الأطراف القوة على الطرف الآخر ، فعلاقات القوة منتشرة على نحو طبيعى فى كل ميادين الحياة . ولكن يمكن أن تتحول القوة إلى إنتهاك جسدى أو معنوى ، بحيث تسلب حقوق الإنسان الواقع عليه العنف خاصة – كما يذهب جارفر – الحق فى تقرير المرء لما يقوم به جسده وما يفعل به ، والحق فى اتخاذ المرء لقراراته بنفسه وتعامله مع عواقب تصرفاته . العنف فى هذه الحالة لا يكون إنتهاكاً لموقف التفاعل العادى ، بل قد يكون ملتبثا به ، أى جزء من تكوين الموقف أصلاً . فمعاملة المرأة أو الأطفال بقسوة أو حرمانهم من بعض الحقوق تكون عنفاً رغم أنها قد تكون مقبولة فى حدود الإطار الثقافى لموقف التفاعل والسكوت عن الكلام

عندما يكون مطلوباً هو عنف رغم أنه قد يكون مقبولاً من الناحية الاجتماعية • ومن ثم فإن العنف هو كل فعل يستخدم القوة من طرف فاعـل لانتهـاك فاعل آخر بشكل مادى أو معنوى • والفاعل فى هذا التعريف قد يكون فرداً أو جماعة أو مؤسسة • ومن ثم فإن صور الانتهاك التى يقوم بها الأفراد من اعتداء أو قسوة جسدية أو التوبيخ أو اغتصاب أو قتل أو تهديد أو احتقار أو قذف تعتبر جميعها صوراً للعنف بجانب الشغب والإرهاب والحروب وصور العنصرية والعبودية •• الخ (٢٣) •

وفى التحليل الأخير يختلف تعريف العنف باختلاف الزاويـة التـى ننظر بها إليه فالبعض يعرفه على أساس الهدف منه ، والآخر على أسـاس تعدد مظاهره وأن العنف ليس أمراً هامشياً عارضاً ، وإنما هو جزء من بنية العلاقات بين الناس •

ويعرف العنف بأنه " إلحاق – أو التهديد بإلحـاق – أذى مـادى أو معنوى بفرد أو جماعة أو مجتمع " وبهذا المعنى يمكن أن نقول إن العنف هو ظاهرة قديمة قدم الحياة البشرية فهو ليس عنصراً طارئاً مؤقتاً ، وإنما هـو جزء من طبيعة العلاقات الاجتماعية وهى صراعيه فى بعض جوانبها على الأقل (٢٤) •

يلاحظ أن معظم التعريفات تركز على العنف باعتباره فعـلاً ماديـا يهدف إلى إلحاق الضرر بالآخرين وممتلكاتهم بمعنى ارتباطه بمفهوم الأمن الشخصى كما أن هناك من وسع مفهوم العنف حتـى شـمل أفعـال تتـسم باستخدام أو التهديد باستخدام القوة التى من المحتمل أن يترتب عليها الحـاق الأذى بطرف آخر بغية تحقيق هدف ما •

كما تعد مسألة استخدام العنف كأداة لتحقيق أهـداف معينـة مسألة تحتاج إلى إعادة تفكير وهو ما مثل دوما مصدراً للجدل حول ما إذا كان العنف ثقافة وبنية يمكن تحليلها لدى القائمين به أم هو أداه أو وسيلة ·· الخ إلا أن البعض يفضل دراسة العنف كأداة نظراً للتغيرات والأشكال المختلفة التى يأخذها العنف – فى ظل آحادية النظام العالمى – والذى يتم " إخراجه " أو " ومسرحته " بطريقة تزيد من أثـره الـدرامى وأن إعـداده وغرضـه يستهدفان طرفا ثالثاً أكثر مما يستهدف ضحاياه المباشرين ·

كما أن الاختلاف فى الثقافات – أو كما يبدو – أو أن شئت المصالح أحيانا أضفى نوعاً من التباين والخلط المقصود والمتعمد على تعريف العنف وغيره خاصة فى الفترة المعاصرة (قضية فلـسطين والأراضـى العربيـة الأخرى – العراق) وفى ظل نشاط المنظمـات الدوليـة الحكوميـة وغيـر الحكومية ·

لذا فعند تفسيره اجتماعياً يجب تناوله باعتباره آداه لـشىء آخـر أو وظيفة له·

فى ضوء ما سبق أمكن صياغة تعريف إجرائى للعنـف فـى هـذه الدراسة وهو :

التعريف الإجرائى للعنف

هو تفاعل متوتر (بوعى أو بدون وعى) يأتى به الفرد لتحقيق رغباته (شخصية أو جماعية) أو الدفاع عنها نتيجة سوء فهم لطبيعة الموقف أو عدم

القدرة على تحمل الضغوط أو المرونة فى التعامل ويستخدم فيه الفرد وسائل غير قانونية كوسائل القسر المادى واللفظى والمعنوى ويساعد على ظهورها وتأججها عوامل كثيرة أبرزها الاختلاط داخل الجامعة والظروف الحياتيـــة الصعبة فى ظل التناقضات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية على المستوى المحلى والعالم ٠

ثانياً : العنف فى بعض المجتمعات

يهدف هذا المحور لعرض نتائج عدد من الدراسات السابقة الميدانية فى مجتمعات متباينة للوقوف على أهم العوامل التى تفضى إلى ظاهرة العنف لدى الشباب الجامعى ومظاهرها والآليات التى تم اتخاذهـــا لمعالجـــة هـــذه الظاهرة ٠

وفيما يلى نعرض لعدد من هذه الدراسات ونتائجها على المـــستويين العربى والعالمى ٠

ففى دراسة حاولت الكشف عن بعض المتغيرات المصاحبة لاغتراب الشباب عن المجتمع الجامعى وجد أن هناك علاقة بين اغتراب الشباب وبين بعض المتغيرات كتدنى مستوى دخل الأسرة ونمط الرقابة أو السلطة داخـــل الأسرة[٢٥]

كما بينت نتائج الدراسات انتشار ظاهرة العنف فى المدينة أكثر من الريف ، والسبب كما جاء فى الدراسة أن نسبة الزواج مـــن الأقـــارب فـــى الريف مرتفعة عن المدينة وأن درجة الاختلاف بينهم مهما بلغـــت إلا أنهـــم يظلون يحملون لبعضهم تقديراً خاصا كما أن شبكة العلاقات الاجتماعية فى

الريف أكثر ترابطاً من المدينة مما يؤدى إلى التغلب على كثير من المشكلات [٢٦] .

وتشير دراسة أخرى إلى أن أصحاب المهن التى تحتاج إلى القوة العضلية أكثر من احتياجها إلى توظيف العقل ميالون إلى الشجار واستخدام القوقلحا=ل النزاعات[٢٧] .

كما أشار عدد من الدراسات الميدانية أجراها المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية من بينها ما أشارت إلى صور العنف ضد فتيات المناطق العشوائية سواء بالمعاكسات أو التحرشات المختلفة [٢٨] وأخرى أشارت إلى أن المرأة داخل الأسر تتعرض للعنف علاوة على تعرض الأسر التى تعولها امرأة للعديد من أنماط العنف لعدم وجود حماية للأسرة تتمثل فى العائل الذكر[٢٩] وثالثة أشارت إلى أن العنف يرتبط سلبياً بمستوى التعليم ، فالأقل تعليماً أشد عنفا [٣٠] .

وفى دراسة هدفت إلى الوقوف على سلوك وأشكال العنف بين الشباب من خلال عينة عمرية طبقت على ثمان مدارس من المرحلة الثانوية إذ جاءت أهم النتائج بان العنف وسيلة للرد على مضايقات الآخرين وأخذ الحق وان سلوكه يتمثل فى المشاجرات بين الطلاب باستخدام الآدات الحادة والألفاظ وذلك بنسبة ١٠٠% وأن المشكلات الأسرية تقف وراء سلوك العنف بنسبة ٩٦% وأن الطلبة تعتمد على نفسها فى حل مشكلاتها بنسبة ٧٦% [٣١].

كما أشارت دراسة عن العنف ضد الزوجة فى المجتمع الأردنى بأن الزوجات تعانين من أشكال متعددة من العنف منها الاجتماعى والجنسى

والجسدى واللفظى والصحى وأشكال التهديد كافة وجاء العنف الاجتماعى من أكثر أشكال العنف انتشاراً إذ بلغت الأهمية النسبية لوجوده ٥٦% وهذا يعنى أن الزوجات يمارس عليهن قهر اجتماعى كبير (٣٢) .

كما أشارت العديد من الدراسات الميدانية التى جاءت ضمن فعاليات مؤتمر الأبعاد الاجتماعية والجنائية للعنف فى المجتمع المصرى والتى أجريت على شرائح مختلفة من المجتمع المصرى وكان من بين نتائج عدد من هذه الدراسات ٠

أن هناك ارتباط بين البطالة والعنف لدى الشباب (٣٣) كما أن هناك مظاهر متعددة للعنف البدنى مصاحبة لعماله الأطفال (٣٤) وأن الحاصلين على مؤهل عال أو أكثر أقل تعرضاً أو إصدار للعنف مقارنة بالفئات الأقل تعليما (٣٥) كما أن هناك ارتباط بين الفقر والعنف فى المجتمع المصرى (٣٦).

وتركز دراسة حديثة عن عنف الشباب فى فرنسا على الأبعاد الاجتماعية لعملية التحول ، إذ تعتبر الانتقال من المجتمع الصناعى إلى مجتمع الخدمات فى ظل سيطرة الأسواق المالية العالمية قد أدى إلى توسع انتشار الفقر فى صيغته الجديدة على نطاق واسع فى العالم ، وأفضى هذا التحول إلى تفكيك فكرة دولة الرعاية ، فوجد الشباب أنفسهم فى وضعية يفاوضون فيها منفردين من أجل مستقبلهم فى ظروف ليس هناك فيها من ضمانات للترقى الاجتماعى ٠

والبحث يسعى إلى فهم ظاهرة العنف المنتشرة بين الشباب والمراهقين وهو نتاج دراسات ميدانية بينت ارتباطاً إيجابيا بين معدلات الجنوح ومعدلات البطالة مع تنامى ظاهرات العنف وتركزها فى المناطق

المحرومة بضواحى المدن ٠ ولذلك ارتباط وثيق بالتحولات الشاملة التى نتجت عن العولمة ، بما فى ذلك اختلاف القيم الأساسية لدى الشباب ومواقفهم وردود فعلهم (٣٧) ٠

وتهدف دراسة أجريت على طلاب جامعة ولاية Kennesaw إلى التعرف والبحث عن العوامل التى يعتقد الناس بأنها تؤدى للعنف ومتى يكون العنف مقبولاً استخدامه (كدفاع عن النفس) ، العنف كسلوك متعلم ، وأن استخدام المثيرات (كالكحوليات والمخدرات) أو الجنس أو المواقف العنصرية هى من العوامل الرئيسية التى تتسبب فى وجود العنف فى مجتمعنا ٠

وتهدف الدراسة إلى اختبار مواقف العنف لدى طلاب جامعة ولاية Kennesaw فيما يتعلق بالعنف والعوامل التى تشجع على مواقف العنف وما إذا كان من المقبول استخدام العنف فى بعض الحالات ومحاولة فهم المواقف والعوامل التى تقود إلى السلوكيات العنيفة كى يتم تجنبها فى المستقبل ٠

وجاءت النتائج أن مشاهدة العنف بين الأبوين وكذلك الإساءة للطفل يعد عاملاً جوهرياً فى توقع ارتكاب العنف البدنى ، كما أن قبول العنف الاجتماعى يشجع بشكل واضح على توقع ارتكاب العنف الجنسى كما أن الجهل والبيئة الأسرية أو التنشئة تلعب دروا أساسياً فى تحديد ما إذا كان الفرد سيلجأ للعنف أم لا (٣٨) ٠

وفى دراسة عن رؤية المسئولين لزيادة العنف بين طلاب الجامعة إذ تشير نتائج الدراسة إلى أن تكرار سلوكيات العنف تزايدت من ٢% إلى ١٠ – ١٢% عند وجود اضطرابات نفسية عصبية وأنه عند حدوث هذه

الاضطرابات بالتلازم مع حدوث استغلال أو إساءة للفرد تحدث زيادة بنسبة ٦٤% فى تكرار السلوكيات العنيفة ٠

كما أن ٤٠% من أصل ٩٧١ طالب جامعى شاركو فى التقييم أقروا بشعورهم بالاكتئاب مرة أو أكثر وقد كان أمراً شديد الصعوبة بالنسبة لهم ٠ وأن نسبة ٣٦% كانوا يستخدمون فى الوقت الراهن أدويـــة طبيـــة نظـــراً لظروف نفسية أو عصبية (٣٩) ٠

وتؤكد دراسة أخرى على تزايد العنف المجتمعى لدى طلاب الجامعة وتضاعفة وقد أجريت الدراسة على ٥١٨ طالب جامعى وذلك بهدف التعرف على تفاصيل تعرض المراهقين للعنف وآثاره النفسيه ، وذلك مـــن خـــلال تطبيق استمارة استبيان وقد أظهرت النتائج أن ٩٣,٢% أقروا بمشاهدة العنف وأن ٧٦,٤% كانو ضحايا للعنف وتراوحت النسبة الأخـــرى الأقـــل بـــين التعرض للضرب أو التهديد أو رؤية سكين ومعظمهم يعانون من الاكتئـــاب والعدوانية والمشكلات الاجتماعية ومعظم أعراض الاضطرابـــات والضغط (٤٠) ٠

وتشير دراسة أخرى تحت عنوان : جماعات العنف المدرسى تؤرق الآباء أجريت من خلال مسح بالعينة قام به " معهـــد البحـــوث التربويـــة " بالتعاون مع جامعة Jeonju وجد زيادة ملحوظة فى انتـــشار العنـــف فـــى المدارس المتوسطة والعليا٠ وفى الجامعة ٠ إذ وجد أن ثلاثة من كل عشرة تلاميذ فى المدارس المتوسطة والعليا فى Ghoua قد استشعروا الخـــوف أو التهديد مرة أو مرتين على الأقل ٠

وشملت الدراسة ٢٠٦٨ طالبا فى ٣٥ مدرسة متوسطة وعليا فى المنطقة حيث أظهرت النتائج أن ٣٠,٢% من التلاميذ قد عانوا من الخوف أو الإساءة وان ١٩% قالو بأن هناك تواجد لجماعات العنف فى الجامعة(٤١).

كما اهتمت جامعة Webster بدراسة العنف بين من تربطهم علاقات خاصة Dating Violence وذلك لتوفير الأمن والتربية والتدريب وخدمات الضحايا ومكافحة العنف داخل المدن الجامعية ، ويعرف العنف بين المتواعدين على أنه العنف المرتكب من قبل شخص على علاقة اجتماعية (أو كان) رومانسية أو شخصية الطابع مع الضحية ويحدد أساس وجود تلك العلاقة على اعتبارات مثل طول مدة العلاقة ، نوع العلاقة ، تكرار وتتابع التفاعل بين المنخرطين فى العلاقة ،

ويكون للطالب ضحية هذا النوع من العنف الحق فى توجيه التهمة للمعتدى من خلال نظام العدالة علاوة على إقامة دعوى فى لجنة الدفاع فى الجامعة (٤٢) ،

كما أشارت دراسة ميدانية عن تأثير ألعاب الفيديو العنيفة أجريت على طلاب جامعة ولاية Humboldt استخدم فيها الاستبيان تم جمع بيانات تتعلق بآثار ألعاب الفيديو العنيفة وكذلك وسائل التسلية الإعلامية الأخرى للحصول على مدى الارتباط بين ألعاب الفيديو العنيفة وسلوكيات العنف أم أن المتغيرات الأخرى هى التى تسهم فى حدوث السلوكيات العنيفة ،

وقد أظهرت النتائج أن هناك ارتباط بين لعب ألعاب الفيديو العنيفة وسلوكيات العنف لدى الطلاب إلا أنه ليس من الواضح إذا كانت تلك العلاقة سببية أم لا ،

كما أظهرت النتائج أن الطلاب الذين يلعبون ألعاب عنيفة يكون معدل العنف لديهم أقل ممن يشاهدوا ألعاب عنيفة (فيديو) ولا يمارسـوها ، ممـا يقودنا إلى اقتراح عوامل اجتماعية أخرى لها نفس الأهمية لذا يجب إجـراء المزيد من البحث فيها ،

وعرض الباحث لعدد من الحلول منها : إظهار أن هذه اللعبـة هـى مجرد خيال وهذا يتطلب تنمية مهارة المشاهدة الناقدة للبرامج بحيث يـصير الفرد أكثر قدرة على فصل الخيال فى اللعبة عن العالم الواقعى وإدراك أن ما يمكن قبوله فى لعبة الفيديو قد لا يمكن قبوله كسلوك فى المجتمـع ، أيـضا محاولة تعليم الطلاب كيفية عمل ألعاب الفيديو كى يعبروا عن كوامنهم فـى اللعب التى يبتكرونها مما قد يقلص من إندفاعهم نحو العنف (٤٣) ،

وفى دراسة أخيرى تحت عنوان ، النظرة للعنف فـى الرياضـات الأمريكية ، على طلبة الجامعة كان الهدف منها هو البحث فى مفهوم العنف وإدراكه فى الرياضة بشكل عام وفى الرياضات الجماعيـة علـى طـلاب الجامعة الذين يمارسون تلك الرياضات،

وتم تطبيق استبيان على ٢٠٠ طالب جامعى ممارس للرياضة فـى جامعة متروبوليتان وجاءت النتائج بأن ٦٣% يؤكدون وجود العنف بـشكل كبير وجاءت أسبابه متمثلة فى الرغبة الملحة فى الفوز بأى ثمـن قـد أدى لزيادة القبول بالعنف كوسيلة للوصول لهذا الهدف ، الاسـتفزاز والتـشجيع الذى يوجهه المدربون لهم أو المشجعين ، الضغط مـن قبـل الـزملاء ، أو الرغبة فى الانتقام والثأر ، أو الإقتداء ببعض النمـاذج أو مراقبـة ضـعيفة وعقوبات غير صارمة (٤٤) ،

الملاحظ على الدراسات العربية فى مجملها أنها تركز على العنف لدى الشباب فى المرحلة الجامعية أو ما قبلها من حيث الأسباب التى تقف وراء عنف الشباب أو تعمل على ظهوره بالتطبيق على أشخاص عنيفين أو من يمارس هذا السلوك ٠

وأن هناك متغيرات فارقة تقف وراء عنف الشباب وهى تعد بمثابة مثيرات أو محفزات على العنف كالإحساس بالاغتراب أو أن شبكة العلاقات الاجتماعية أصبحت أقل ترابطاً أو أن المشكلات الأسرية أو محاولة إثبات تفوق الرجل والتنشئة الاجتماعية وما فيها من القهر الاجتماعى "العنف الاجتماعى" أو تدنى مستوى التعليم ، كما يلعب الفقر والبطالة دوراً أساسياً فى عملية العنف لدى الشباب ٠

ويعد تفكك النموذج المثالى لمراحل الحياة وعلاقاتها الاجتماعية الواضحة والمتفق عليها التى يفضى كل منهما للآخر فمن كنف الأسرة إلى المدرسة ومن التعليم إلى العمل ثم الاستقلال عن الأسرة والزواج والانخراط فى المجال العام ، أما اليوم فيبدو أن المسارات التى بدت مستقيمة بالأمس تغيرت ووجد الشباب أنفسهم فى وضعية يفاوضون فيها منفردين من أجل مستقبلهم فى ظروف ليس هناك فيها من ضمانات للترقى الاجتماعى ٠

كما أشارت الدراسات الأجنبية إلى ارتباط العنف بأسباب تعود إلى الفرد ذاته كالأمراض النفسية والاضطرابات العصبية والإكتئاب والمشكلات الاجتماعية ، والتعرض للاستغلال والإساءة أو علاقات صداقة بين الفتى والفتاة (مستمرة أو منتهية) أو التعرض للعنف من خلال المشاهدة أو ألعاب الفيديو ووسائل التسلية الإعلامية الأخرى والإقتداء ببعض النماذج أو

ارتباطه بالرغبة الملحة فى الفوز بأى ثمن ، كما فى الرياضات المختلفة وما يصحبها من تشجيع واستفزاز ،

ومن خلال الملاحظات السابقة نجد أن هناك فارق ملحوظ بين أسباب العنف بين المجتمعات العربية والأخرى الغربية ،

ثالثاً : عنف العولمة وعولمة العنف

تعد العولمة من أكثر الظواهر الاجتماعية – الاقتصادية أهمية فى هذا الجيل ، فيوما بعد يوم نجد أن التجارة والتكنولوجيا والمعلومات تعمل على تآكل حدودنا القومية وتحويل كوكبنا إلى مدينة كبيرة ترتبط ببعضها عن طريق شبكة المعلومات الدولية (٤٥)

والعولمة ليس بمجرد مفهوم وإنما هى عملية تاريخية ونتاج تراكم طويل فى إطار النظام الرأسمالى (٤٦) ، ويمثل اكتساب المهارات الجديدة أمراً ضرورياً وحيوياً فى ظل التعامل مع التحولات التى أحدثتها العولمة فى الاتجاهات الاجتماعية ونمط الحياة اليومى (٤٧) ،

والعولمة كمفهوم فى أدبيات العلوم الاجتماعية يعد أداة تحليلية لوصف عمليات التغيير فى مجالات مختلفة ولكن العولمة ليست محض مفهوم مجرد ، فهى عملية مستمرة يمكن ملاحظتها باستخدام مؤشرات كمية وكيفية فى مجالات السياسة والاقتصاد والثقافية والاتصال (٤٨) ،

وإذا كان الاقتصاد يتجه نحو المزيد من الوحدة على الصعيد الدولى تخطو السياسة نمو المزيد من التفتت مع نمو الوعى العرقى والنزاعات الأثنية ، فى حين تتراوح الثقافة بين انتشار الثقافات الغربية فى الحياة اليومية وبين إحياء الثقافات والتراث على المستوى العالمى ، كما تنطوى العولمة

على تغليب الماديات والحياة العاجلة على أية قيم مطلقة واختزال الإنسان فى بعده المادى الاستهلاكى وأحياناً الشهوانى (٤٩) ٠

وتخلق العولمة فرص جديدة غير مسبوقة ، وهو الأمر الـذى يعـد بمثابة القوة الأساسية الدافعة فى التسريع بتنامى النظام الاقتصادى العالمى ٠ إلا أن عدم المساواة فى تلك الفرص كان يعد مجرد أمر استثنائى سواء فـى داخل الدول أو فيما بينها ٠ وقد بات واضحاً الآن أن الفوائـد المنتظـرة لا تصل للعدد الكافى من الناس فالعديد من الآباء ممن حققوا مستوى معيـشى منخفض نجدهم يخشوا من أن أطفالهم ربما لا يصلوا إلى حياة أفـضل مـن حياتهم ٠ وفى العديد من الدول أدى تزايد المنافسة العالمية لفقدان الوظـائف إضافة إلى ذلك فإن الوثبات التى تحققها الشركات الكبرى تؤدى إلى أزمات مالية واقتصادية مما يترتب عليها ارتفاع حاد فى معدل البطالة والفقر وعليه ، فإن كل تلك العوامل تسهم فى تنامى الإحساس بعدم الأمان وبالتالى يخلـق مزيداً من العنف (٥٠)

وتشير الإحصاءات إلى أن العولمة أفرزت حتى الآن ٨٠٠ مليـون إنسان يعانون الجوع و ٣ مليارات إنسان لا يزيد دخل الفـرد مـنهم علـى دولارين يومياً كما أصبح ثلث سكان العالم الثالث وعددهم ٤,٥ مليار نـسمة لا يحصلون على مياه نقية و ٢٠% من الأطفال فى العالم الثالـث ينقـصهم البروتين ومليار إنسان فى الدول النامية أى حوالى ٢٥% من سـكان العـالم الثالث يعانون من فقر الدم (٥١) ٠

وفى بحث ميدانى أجرى على عينة من ٢١٧ طالب فقير من جامعة Ningxia بالصين عام ٢٠٠٣ وجاءت النتائج أن العديد من طلاب الجامعة

يشعرون بالتبعية والاكتئاب والفقر فى ظل النظام العالمى الجديد وأن ٥٦% وصفوا حياتهم على أنها غير سعيدة وان ٥٢% يشعرون بالقلق فى ظل نمط الحياة المادى السريع (٥٢) .

وهناك من يؤكد على العولمة باعتبارها نسق للعنف ، فهى تفرض نفسها وتحافظ على بقاءها من خلال استخدام العنف وذلك بسبب التجارة التى تتصاعد بما يتجاوز الحاجات الإنسانية أو الرغبات الشرهة لأسواق كونية من أجل الموارد التى تشن من اجلها الحروب مثال على ذلك أن الحروب من أجل الماس فى سيراليون أو من أجل البترول فى نيجيريا والعراق قد تسببت فى قتل الآلاف من النساء والأطفال وارتباطاً بذلك فإن نقل الموارد التى تملكها الشعوب إلى مؤسسات الإنتاج الكونية يحتاج إلى دول عسكرية تسلح نفسها من أجل مصالح اقتصادية بالإضافة إلى ذلك فإن العنف تشنه الحكومات على القبائل التى تسيطر على مناطق المعادن يحدث ذلك من أجل الحصول على معدن البوكسيت فى أورسا Orissa وكول كارو Kool Karo أو الماس فى الكونغو (٥٣) .

ونجد مظهر آخر من مظاهر العنف الذى يتصل بتحولات العولمة يتمثل فى إنكار صناعة الدواء الكونية لبعض الأدوية وعدم دفع هذه الأدوية المعالجة للمرض إلى الأسواق حيث تنتظر الشركات المنتجة لهذه المواد الفرصة إما للفراغ من استهلاك أدوية راكدة أو انتظاراً للوقت المناسب لتحقيق أرباح عالية بغض النظر عن عدد المرضى الذين يواجهون الموت كل يوم بسبب تأخر العلاج كما هو الحال بالنسبة لمرضى الإيدز .

يتمثل عنف العولمة أيضا فى تحول مجتمعاتها إلى ترسانة سلاح لاستمرار اشتعال جذوره العنف ارتباطا بذلك تؤكد بعض الكتابات على أن الحرب والقوة العسكرية والعنف المنظم تعد أموراً جوهرية بالنسبة لعولمة الشأن الإنسانى خاصة فى الفترة التى تلت الحرب الباردة (٥٤) .

كما يعتبر النمو السرطانى للعشوائيات وانتشار أحزمة الفقر فى المدن تأسيس لمجتمعات العنف ، العنف مع الذات كما العنف مع الآخرين هذه العشوائيات أصبحت منتشرة فى كل مكان فهم سكان مدن الأكواخ Faueln فى ريودى جانيرو ، وهم سكان الباسطى (مدن العشش والصفيح) Bustess فى الهند ومدن الأكواخ Rvanchos فى فنزويلا ومدن الأكواخ فى تونس والجزائر وعزب الصفيح فى مصر ٠

ذلك يعنى أن التحولات الاجتماعية الاقتصادية على الصعيد العالمى جسدت ما أصبح يعرف بالعولمة عولمة نمط أو نوعية الحياة الكائنة فى إحدى قوى المركز ٠ هذه العولمة أصبحت كياناً له عنفه على بعض الفئات الاجتماعية ولا نقصد بذلك عنفاً خشنا ٠ ولكننا نقصد بالعنف هنا تعريض هذه الفئات لظروف حياة قاسية ، مما يدفعها أحياناً إلى مبادلة العنف بعنف مقابل(٥٥) .

والعولمة هى أيديولوجيا تعبر بصورة مباشرة عن إدارة الهيمنة على العالم وأمركته وقد حددت وسائلها لتحقيق ذلك فى استعمال السوق العالمية أداة للإخلال بالتوازن فى الدول القومية فى نظمها وبرامجها الخاصة بالحماية الاجتماعية وكذلك فى إعطاء كل الأهمية والأولوية للإعلام لأحداث التغيرات المطلوبة على الصعيدين المحلى والعالمى ٠ وهى أيضا نمط

سياسى اقتصادى ثقافي لنموذج غربى متطور خرج بتجربته عــن حــدوده لعولمة الآخر [٥٦] .

بأساليب متعددة ومتطورة ولافتات تتغير إلا أن المضمون باقيــاً إذ يصف بعض الباحثين النظام العالمى الجديد الــذى يعــرض لــه الــساسة الأمريكان ديمقراطيين وجمهوريين بأنه يتطابق مع النظام الشمولى لهتلر وقد يُصدم الكثيرين الذين يطالبون بالدليل لكن تلك هى الحقيقة فكــلاً النظــامين سيتوجهان نحو الأهداف ذاتها .

فالنظام الشمولى لهتلر كان يتسم بالديكتاتورية الكاملة سياسياً والفاشية اقتصاديا فهتلر وموسولينى قاما فى الفترة من ١٩٣٣ – ١٩٣٨ بتجهيز العالم لهذا النظام العالمى الجديد من خلال الحرب العالمية ، فى حــين أن بــوش وكلينتون يتبعان نفس المبادئ – لكن بمزيد من الحذر – لتأهيــل الولايــات المتحدة لهذا الدور وأن الحكومة الفيدرالية الأمريكية تقوم بتنفيذ العديد مــن برامج هتلر وتتبع نفس النهج الذى اتبع فى ثلاثينات القرن الماضى [٥٧] .

وأنه بغض النظر عن انتماء شريحة الــشباب فــى العــالم الثالــث لمجتمعاتها ، فإنه لفهم السلوك والتفاعلات الشبابية لابد أن نعطــى اعتبــاراً للبعد العالمى ، أى التأثيرات التى يرجع مصدرها للنظام العالمى [٥٨] .

فالشباب فى عالمنا العربى عندما يشاهد الوجود الاجتماعى للمنطقــة يجد صنوفا من الاحتلال الأجنبى فمن احتلال ومقاومة داما أكثر من نصف قرن فى فلسطين إلى احتلال جديد فى العراق ، إلى حربين فى الخليج مروراً بصراعات مستمرة فى الداخل (السودان ، الجزائر) وجراح لم تنــدمل بعــد (لبنان) وضغوط خارجية سياسية واقتصادية، وأنظمة سياسية تتفاوت مــن

حيث ما تسمح به من فرص التعبير والتغيير وممارسة المواطنة ولكل ذلــك تأثيره المباشر على الشباب وتأثيره غير المباشر والبعيد المدى على القدرات والمقدرات وعلى البنى الاجتماعية والذاكرة الجماعية (٥٩) .

والشباب هم الفئة التى يطولها عنف التحولات العالميــة المعاصــرة ولأنهم طاقة نشطة ، فالخوف منهم يفرض تهميشهم وإقصاءهم عن المشاركة وإذا كان إشباع الحاجات أساس الحياة ومعيار الانتماء ، فإن عدم الإشــباع يثير ردود فعل متباينة لدى مختلف الفئات الاجتماعية ، ليشكلوا طاقة التمرد والرفض فى المجتمع ، فالنظم السياسية عاجزة عن ســماع الــرأى الأخــر ويسلم الإقصاء من السياسة إلى الإقصاء من الاقتصاد فالتحولات العالميــة ، فرضت أن تأخذ مجتمعات العالم – وبخاصة العالم الثالث– بالتكنولوجيــات المتقدمة فى عمليات الإنتاج ٠ ولأنها تكنولوجيات لا تحتاج لعمالة كثيفة فإن البطالة المعاصرة هى بطالة الشباب المتعلم ونصف المتعلم وهى بطالة تفجر كثيراً من المشكلات الاجتماعية والسياسية ، تبحث عن قنوات أو مخــارج ، أحيانا يكون تعاطى المخدرات هو الآلية التى تعمل على إنكماش الفجوة بين الطموح فى الإشباع وعدم تحققه ٠ وأحياناً يكون التكيف مع الحدود الدنيا من الإشباع رضاءاً بظروف القهر نوع من التكيف المرضى المنــسحب وفــى أحيان ثالثة يكون الهروب إلى الدين ، فإذا اختلط الهروب إلى الدين بالتمرد والرفض فإن العنف والتطرف يصبح الحصاد الذى ينتظره المجتمع (٦٠) .

لذا فالشباب أكثر عرضه لتأثيرات العولمة الاقتصادية والثقافية التى تكشف لهم عن حياة سباب آخرين ، وتدفع بهم نحو المقارنــات وتختــصر المسافات بقدر ما تعمق التمايزات والفوارق وتكدس الثروات فى أيدى القلــة ٠ ويتراوح احتكاك الشباب بهذه التأثيرات ، تبعاً لوسائل الاتصال المتاحة لهم

، فما يسمى بالفجوة الرقمية لا يقع بين المجتمعات فحسب وإنما داخلها أيضا ويتراوح كذلك موقف الشباب من تلك التأثيرات ، بين تبنى ما يفد إلـيهم أو الاكتفاء بموقف المتفرج ، وبين التشبث بموقف المحافظة الرافضة الـذى لا يعد أتباعا لتقاليد الآباء بقدر ما هو إعادة ابتداع لها ، على نحو يتحدى ثنائية الحداثة / التقليد (٦١) .

إذ شكلت فكرة دولة الرعاية وقيم العدالـة والتـضامن الاجتمـاعى والمواطنة والتشغيل الكامل والوظائف الثابتة والتوازن بين الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية فى استراتيجيات التنمية ..الخ ، جوهر نظرة الحداثة إلى الدولة والمجتمع . أما النموذج الحالى المعولم فهو يقوم على قيم نقيضة تشدد على الفردية وأولوية طاغية للجدوى الاقتصادية حيث المال والربح هـو القيمـة العليا ، وعلى تشجيع الميول الاستهلاكية ، وإعادة انبعاث النزعات الداروينية الاجتماعية حيث التنافس محتدم ، وحيث البقاء للأقوى فى آليـات الـسوق العالمية . كما أن هذا النموذج الجديد يروج لتفكيك دولة الرعايـة وفكـرة التضامن ليحل محلها استقطاب اجتماعى واقتصادى شـديد بـين الأغنيـاء والفقراء عالمياً ووطنياً . فيتوسع الفقر ويسود منطق الانقسام البسيط إلـى " رابحين وخاسرين " واعتبار هذا الانقسام أمراً طبيعياً وعادياً . كما يـروج للفكرة القائلة أن تغيير وضعية الفرد رهن بقدراته الذاتية ومهاراته فقط دون أى مسؤولية للنظام الاقتصادى أو الاجتماعى (٦٢) .

ينتج عن هذا التحول النوعى تغيرات كثيرة جداً ومتعددة المستويات تطول الوضع الحالى والتوقعات المستقبلية ، بالنسبة لمختلف الفئات السكانية والاجتماعية ، وخصوصاً للشباب والمراهقين . ويتجلى ذلك فى ظـاهرات جديدة فى أوساط هؤلاء ، سواء من حيث الحجم والانتشار ، أو مـن حيـث

النوع ، والتى يمكن رصدها بشكل خاص من خـلال تجلياتهـا المتطرفـة (كالعنف والجنوح) وهو أمر ناتج عن حساسية المراهقين والشباب إزاء قيم المجتمع وفعالية مؤسساته واحتمالات المستقبل ، فى ظل آليات للعولمة قادرة على اختراق الحدود الوطنية بما يمكنها من التأثير أو حتى خلق سـلوكيات ومفاهيم " عابرة للقوميات " فى بعـض أوسـاط الـشباب والمـراهقين (٦٣) وخاصة الشباب الجامعى ٠

فالعولمة تفرض تحديات جديدة عندما لا تكون الدولة وحدها ليـست الموفر الرئيسى للتعليم العالى وأن الاستثمار الأجنبى فى التعليم يفضى إلـى مخاطر فى ظل غياب الإشراف الحكومى المناسب ٠ كما أنه يمدنا بخدمات تعليمية ضعيفة الكفاءة حيث يهدف لتحقيق أعلى ربح دون النظر لأى شىء آخر (٦٤) ٠

وتذهب أهم تحليلات العولمة إلى أنها يـسرت ونـشرت الأشـكال التاريخية للعنف وأدت إلى خلق أشكال جديدة – غير مسبوقة – للعنف تعمل على تهديد ليس فقط الملامح الايجابية للعولمة ، بل تهدد مـستقبل الجـنس البشرى كافة على مستوى الأفراد والأسر والمدارس والجامعات والمجتمعات والمدن ٠

والأكثر أهمية من قدرة العولمة على نشر العنف والجريمـة علـى مستوى العالم ، هو أن العولمة ذاتها قد ظهرت كشكل أساسى مـن أشـكال الانتهاك والاعتداء البشرى ، مما تمخض عنه أنواع جديدة للعنف من حيـث الكم والكيف والسرعة فى انتشاره وتزايد معدلاته ٠ والنتائج الناتجـة عـن

العنف وإن ظل الحال على ما هو عليه ، فمن المتوقع أن تؤدى العولمة إلى نتائج سلبية على النظم المحلية والعالمية فى خلال جيلين أو ثلاثة (٦٥)

ولا يوجد من بين التغيرات الشديدة التى شهدها العالم منذ نهاية الحرب الباردة ما يتساوى فى أهميته مثل إنخراط ومشاركة الشباب فى الجرائم والعنف ولذلك جاء مؤتمر " منظورات متعددة الثقافات للشباب وللأصولية وللعنف " والذى عقد العام الماضى فى الفترة من ٧ – ١٠ أغسطس ، وشارك فيه باحثون من مختلف أنحاء العالم للتباحث فى النتائج الخاصة بظاهرة عنف الشباب فى القارات الخمس ٠

ويقول Watts – الذى أجرى دراسات شاملة ومكثفة فى هذه الظواهر فى ألمانيا – أن نشاط شباب اليوم له آثار ترهيبية شديدة على النقيض من مثيلة فى حقبتى الستينات والسبعينات ٠ ويقول ما الذى قد يحدث أكثر من استخدام الشباب الصغار كأوراق لعب سياسية فى أيدى الساسة وهو يرى أن جرائم القتل الجديدة فى Wisconsin تنجم من الصراع بين الأفريقيين الأمريكان وقادة القوى البيضاء وليس ذلك سوى مثال بسيط لما يحدث (٦٦) ٠

وما نعنيه إجمالاً من الملاحظات السابقة هو تفكك النموذج المثالى والتقليدى لمراحل الحياة وعلاقاتها الاجتماعية الواضحة والمتفق عليها ؛ فحتى ماض قريب كان يبدو أن ثمة سلسلة من التحولات (والعلاقات الصراعية المنضبطة والمعروفة) التى يفضى كل منها إلى الآخر ، فمن كنف الأسرة إلى المدرسة / الدولة ، ومن التعليم / الثقافة إلى العمل ومن ثم الاستقلال عن الأسرة / الزواج والتحقق عبر السعادة الفردية أو الانخراط فى

المجال العام والمواطنة . أما اليوم فيبدون أن المسارات التى بدت مستقيمة بالأمس قد غدت أكثر تعرجاً وانقطاعاً وصراعية وأن المعايير العمرية والأخلاقية المحددة لإنجاز طائفة المهام الاجتماعية التى تفرضها رؤية المجتمع عن المسار الفردى والاجتماعى السوى (الانتهاء من الدراسة ، ثم العمل ، فالزواج) قد فقدت قدراً من دلالتها [٦٧] .

ما سبق إنعكس إجمالاً على انتشار ثقافة العنف أو أن شئت صناعة العنف والذى أصبح يعكس ما يعانيه الفرد والجماعة والمجتمع بأسرة فى ظل انهيار القيم الدينية والاجتماعية وطغيان ثقافة المادة من خلال تسعير كل شيء دون أى اعتبار لقيمة أى شيء من هنا يأتى العنف كمحاولة للدفاع عن النفس والممتلكات (أو هكذا يُعتقد) أو محاولة لإثبات الذات تحظى أحياناً بالقبول والاستحسان الاجتماعى والثقافى فى ظل اضطراب منظومة القيم .

رابعاً : نتائج الدراسة الميدانية :

ويأتى عرضنا لنتائج الدراسة الميدانية على مستويات ثلاث :

الأول : الخاص بالمقابلات مع السيد الأستاذ الدكتور / عميد الكلية وعدد من السادة الزملاء أعضاء هيئة التدريس وكذلك قائد الحرس الجامعى ورئيس الشئون القانونية بالكلية .

الثانى : المقابلات والحوارات الجماعية المفتوحة مع الطلاب .

الثالث : أهم نتائج تحليل تطبيق استمارة الاستبيان على الطلاب .

وفيما يلى نعرض لكل منهم بالتفصيل :

أتت نتائج المقابلة مع السيد الأستاذ الدكتور / عميد الكلية موضحتا أن عنف الشباب فى حد ذاته خاصية من خصائصه وظاهرة صحية و " عنفوان " الشىء بمعنى أوله ولكن يجب أن نوظف تلك الطاقة فى طريقها الصحيح من أجل هذا فنحن نعمل على وقاية الشباب من شتى المظاهرة السلبية عملا بما يحث عليه المثل السائر (الوقاية خير من العلاج) ٠ والعنف بالمعنى المادى أو الحسن غير موجود أو على الأقل له ظروفه الطارئه والتى تعد استثناء ولا يمكن القياس عليها ٠٠ فى ظل انتشار ثقافة العنف التى يغذيها المناخ العام السائد " فلو فيه مجموعة أو شله بتتكلم عن الشطاره وإبداء الإعجاب بفلان اللى عمل كيت وكيت خاصة أمام الجنس الآخر وربما تكون حكايات من وحى الخيال مما يدفع البعض إلى محاولة البحث عن مثل تلك الموضوعات من خلال وسائل الاتصال الحديثة بتعدد أشكالها ٠ إلا أنه وفى ظل العدد الكبير لطلاب الكلية يندر وجود سلوك العنف لعدة أسباب من بينها : التواجد المستمر للإدارة والحرس قلل من العوامل التى تشجع على حدوث العنف ، التزام أعضاء هيئة التدريس بمواعيد محاضراتهم قلل من وقت فراغ الطلاب ، كما أن القيادات الإداريـة المعاونة لى وكذلك قطاع رعاية الشباب واتحاد الطلاب يولى الشباب اهتمام بأنشطتهم العلمية والثقافية والرياضية والترفيهية فى إطار بعد انسانى واجتماعى ، كما كان للعمل بنظام الفرق الكاملة والذى أشرف عليه وكيل الكلية لشئون التعليم والطلاب (والمتمثل فى أن الفرقة الأولى على مستوى الكلية تنتظم فى محاضراتها مثلا يوم السبت صباحا ولمدة ثلاث محاضرات متتالية وفى نفس المكان والمتغير الوحيد هو المحاضر ثم تأتى الفرقة الثالثة

فى ثلاث محاضرات تالية وهكذا يتم التغيير والتبديل بين الفــرق مــا بــين صباحى أو بعد ألظهر ٠٠٠ الخ) ٠

وهذا كان له دور أساس فى عدم وجود أوقات فراغ لدى الطلاب أو ساعات خالية بين المحاضرات وبعضها البعض أو التزاحم للخــروج مــن مدرج إلى آخر وبالتالى قلت الاحتكاكات بين الطلبة وبعضهم البعض كــذلك كادت تختفى الخبرات السيئة و التى تنتقل من طلاب فرقة إلى فرقة أخــرى عن طريق المحاكاة مما قلل سلوكيات العنف بين الطلاب ٠

وذهب عدد من زملائى أعضاء هيئة التدريس إلى أن عنف الشباب ما هو إلا انعكاس ونتاج لما هو موجود فى وسائل الإعلام من عنف وقتــل كما أن فقدان الشباب للأمل فى الحصول على فرصه للتشغيل يجعله أحيانــا ينصرف عن تحصيل العلم بصورة جادة مما كان له أثره على تدنى مستوى المنافسة والتفوق فى النجاح إضافة إلى تزايد تكاليف العملية التعليمية علــى الطالب وأسرته مما يحول بينه وبين دخوله للامتحان أحيانا أو حجب النتيجة عنه ٠ كما أن بعض طلاب هذه الأيام لا يقدرون المسئولية أحياناً ٠

كما أشار رئيس الشئون القانونية بالكلية إلى أن هناك ٦ حالات فقط تم التحقيق معهم حتى الآن خلال العام الجامعى (٢٠٠٤ – ٢٠٠٥) وانتهت بالصلح بين طرفى المشكلة والتى تتمثل فى حماية لأماكن سكن جغرافية بين طلاب من قريتين مختلفتين أو منطقتين مختلفتين طرفها البنــت ومحاولــة الدفاع عنها من خلال تعرض زميل لها بالإعجاب أو أى علاقة عاطفيــة٠ ولا يوجد أى حالة من حالات البلطجة أو ما يمكن تسميته بــالعنف وهــذا يرجع بالدرجة الأولى إلى حضور الإدارة ٠

كما أشار قائد حرس الكلية إلى عدم وجود عنف يذكر مقارنة بعـــدد طلاب الكلية وقال " أنا فى وسط الكلية طول اليوم وعلى البوابة ومفيش أى مشكلة ولكن هناك كام فريق " الجلاء " ، " جديلة " ، " السنبلاوين " " مناطق سكن جغرافيه " وغيرهم بهم كام ولد عارفهم أنا بنجيبة وننصحه ونحـــذره وبالتالى الشِلل دى بتنتهى وليس لها وجود كمـــا أشـــار إلـــى أن المجتمـــع الجامعى بخير مفيش لا مخدرات ولا زواج عرفى وكلها حالات فردية مـــا يقال عن مجتمع الشباب الجامعى كلام ناس مش فاهمه ، والحاجة البـــسيطة اللى بتحدث هى محاولة دخول طلاب الكليات الأخرى إلى الكلية باســـتخدام كارنيهات زملائهم أو طالب على موعد مع زميل له أو زميله ليس إلا ٠

وقد أسفرت المقابلات الجماعية مع الطلاب عن عدد من النتائج من بينها :

نقد لما يقوله جيل الكبار عنا ويحلو للكثيرين أن يصفونا نحن الشباب به مثل التهور والطيش والعنف إلا أننا لسنا كذلك ولكن المجتمع والظروف ورفض مشاركتنا وعدم تلبيه احتياجاتنا ومن هنا فالشباب يرى أن الكبار بهذا الشكل يمارسون نوعا من العنف ضد طموحاتهم وضد توفير منـــاخ طيـــب اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا ٠٠٠٠ الخ٠

فكل شيء ضد إرادتنا فهو عنف بدءا من طريقـــه قبولنـــا بالأقـــسام العلمية داخل الكلية دون رغبة منا نحن الطلاب إلى المناهج التى لا تتناسب واحتياجات سوق العمل وارتفاع أسعار الكتب الجامعية ، وعدم اهتمام عـــدد من أعضاء هيئة التدريس بنا وبأفكارنا ويصفونها بقله الفهم وعدم الخبرة فى الحياة إلى غير ذلك ناهيك عن استخدام البعض لأسلوب التلويح بالتهديـــد ،

كما تتدخل إدارة الكلية أحيانا فى انتخابات اتحاد الطلاب ضد إدارة الطلاب والعمل الادارى روتينى، والأكثر من هذا تقوم إدارة الكلية بعد الساعة الثانية ظهراً بطرد الطلاب من فناء الكلية إلى خارج أسوارها ٠

كما أن هناك مجموعة من العوامل تشجع على حدوث العنف تأتى أيضا من جيل الكبار كالمغالاة فى تكاليف الزواج مما يفضى إلى تأخر سن الزواج أو العنوسة أو الزواج العرفى أو سلوكيات عنف أخرى أقلها المعاكسات ٠

كما أشار الطلاب إلى أن هناك من يتأثر بالاستماع لضحية جريمة عنف (بالتقليد أحيانا) تتحدث عن خبرتها أو الاستماع لمعتدين أو مشاهدة أعمال عنف فى وسائل الإعلام المختلفة وخاصة من خلال شبكة الانترنت ٠٠٠ ففى أغلب الأحيان نجده يقدم على هذا السلوك الذى يحظى بالاستحسان أحيانا أو القبول الاجتماعى ٠

ويرون أن الحل لا يتمثل فى العقوبة القانونية لمواجهة العنف الطلابى وأن مواجهة العنف الطلابى يكون بالحكمة والاستماع اليهم ومحاولة إشغال وقت فراغهم كالعمل جزء من الوقت ٠

وبتحليل نتائج الدراسة الميدانية التى أجريت على الطلاب يلاحظ أنها تشير إلى أن سلوك العنف أصبح يشكل ظاهرة اجتماعية موجودة بصورة عامه إلا أنها نسبيه بنسبة المواقف والظروف ، وهناك أشكال ومظاهرة متعددة للعنف كما أظهرت الدراسة الميدانية حتى ولم يجرمها القانون بدءا من نظرة السخرية أو الاستهزاء والتى تعبر عن عدم الرضا أو الاستهجان

وهى أكثر الأشكال انتشارا فى الحياة الجامعية بالإضافة إلى بعض أشكال الحديث بالصوت العالى أو الاحتكاك ٠

كما وجد أن الشباب أكثر اندفاعا إلى ممارسة العنف (بوعى أو بدون وعى) وترجع نسبة كبيرة من أسباب هذا العنف إلى " الفتاة الجامعية " ، ولم يكن هناك فروق بين يقيم فى المدينة أو القرية ، لأن الشباب يتصرفون كطلاب فى الجامعة حسب الموقف الذى يتعرضون له من حيث درجة الاستثارة أو الإحباط وما يرتبط بهما من اندفاع أو عدم القدرة على التواصل والتكيف وسعة الصدر ٠

كما أن طبيعة موقف العنف لم يتأثر بتعليم وعمل الأب أو الأم ولكن التأثير الفارق لموقف العنف تمثل فى موقع ترتيب الطالب الأصغر بالنسبة لأخوته والذى يحظى بالكثير من التدليل المادى والمعنوى وتلبية لطلباته مما ينعكس على طريقة تفكيره فى تقدير المسئولية ٠

وفيما يلى أمكن تصنيف ما جاء فى أقوال المبحوثين حسب الأهمية والتكرار لأهم أسباب العنف ، مظاهرة ، علاقة الطلاب بالإدارة ، الموقف تجاه العنف وتفسير ذلك وأهم الحلول المقترحة ٠

ويلاحظ أن النسبة أعلى من ١٠٠% نظرا لاختيار الطالب أكثر من متغير ٠

جدول رقم (١)

أسباب العنف كما يراها الشباب

المتغير	أسباب العنف فى الحياة	التكرار	النسبة %
١	الاختلاط برفاق السوء والتدخين والتعاطى٠	٨١	٧٥,٧

٢	**الاختلاط بين الشباب فى الجامعة ومغالات بعض الفتيات فى طريقة اللبس ٠**	٧٣	٦٨,٢
٣	**العنف فى وسائل الإعلام وعدد من مواقع الانترنت ٠**	٦٩	٦٤,٤
٤	**التدليل الزائد وما ينتج عنه من تهور وطيش٠**	٤٦	٤٢,٩
٥	**عدم شعور الشباب بالمسئولية تجاه نفسه ومجتمعه وتكرار مرات الرسوب ٠**	٣٤	٣١,٧
٦	**الفراغ فى ظل قله الوعى الدينى ٠**	٢٨	٢٦,١
٧	**غياب عائل الأسرة للعمل وإعطاء الفرصة للأبناء لتقليد الآخرين ٠**	٢٠	١٨,٦
٨	**الشعور بالظلم وأن لغة القوة هى التى أستطيع من خلالها أخذ حقى**	١١	١٠,٢

يلاحظ من الجدول رقم (١) : أن الاختلاط برفاق السوء والتدخين والتعاطى أو ما يعرف (بالشلة) كانت من العوامل الأساسية فى إقبال الشباب الجامعى على سلوكيات فى العنف كما أوضحت الدراسة الميدانية بنسبة ٧٥,١% وهذا يدلل على أن العنف عملية متعلمه ومكتسبه حيث لا يولد إنسان عنيف بطبيعته ٠

لذا يجب الالتفاف جيدا إلى نوع الأصدقاء الذين يختارهم الأبناء أذ أن كثيرا من الجرائم يرتكبها الشباب المراهق خاصة كنوع من التقليد لأصحابهم أو امتثالا لأوامر الكبار منهم والرغبة فى الحصول على تقدير اجتماعى بينهم فقد يجد الطالب فى أصحابه المنحرفين مجتمعا يوفر له الشعور بالانتماء والإحساس بالثقة خاصة إذا لم نحرص على تنمية أساليب

التفكير المغطى التى تسمح للطالب بأن يميز بين الأشياء الصحيحة والفاسدة وفق منطق العقل ٠

كما يجب العمل على توسيع مفهوم المسئولية عند شبابنا فلا يقتصر الأمر على المسئولية عند ارتكاب الخطأ وإنما يتعداها إلى المسئولية فى كل أداء فى الكلمة مسئولية وأمانة ، بمثل ما أن الفعل مسئولية يحاسب على أدائه الفرد تحقيقا لمبدأ " الوقاية خير من العلاج " ٠

فكلما نعلم أن الشباب فى هذه المرحلة يقلد من فوقه توهما منـــه أن هذا يدخله من أوسع الأبواب فى مجتمع الكبار فتنتشر بين المراهقين ظاهرة التدخين وارتداء أنماط مختلفة من الزى وتقليد عادات تفوق أعمارهم وفـــى هذه المرحلة قد يكون من الطلاب من يميل إلى العنف تقليد عــادات تفــوق أعمارهم وفى هذه المرحلة قد يكون من الطلاب من يميل إلى العنف تقليــدا لما يراه أو إشباع لظمأ فى شهره ، أو أشعارا بوجود وقديما قال الشاعر :

اذا أنت لم تنفع فضر فإنما ٠٠٠ يرجى الفتى كيما يضرّ وينفعا

كما أن طريقة الزى لفتيات الجامعة والمغالاة فيها والاخــتلاط فـــى الجامعة فى ظل انتشار ثقافات مادية متنوعة والإلحاح عليها من خلال وسائل الإعلام وخاصة مع ارتفاع تكاليف الزواج يدعم ذلك المناخ العام الذى يوفر الإعلام فى إبراز العنف من خلال عدد من بــرامج الفـضائيات والقنــوات الإخبارية ومواقع الانترنت التى تدفع الشباب إلى عقد المقارنات يفسر ذلــك من خلال ما يسمى بالتعليم المــصاحبConcomitant Learning الــذى يتشرب فيه المتلقى – عن غير قصد – من المتلقى قيما واتجاهات تلازمــت

مع ما يقدمه الأخير وغالبا مالا يقصد الملقى تنمية هذه القيم أو تكوين هــذه الاتجاهات ٠ وغالبا أيضا ما تكون قيما سلبية واتجاهات غير ايجابية ٠

لذا يجب علينا (الأسرة – المدرســة – دور العبــادة – مؤســسات المجتمع المدنى٠٠) تنمية مهارة المشاهدة الناقدة للبرامج وجاءت بنسب أقل إهمال الأسرة لوجباتها من حيث عملية التنشئة والمتابعة وكــذلك المدرســة ودور العبادة وربما تفسر ذلك بأن الشباب يلجأ إلى مصادر أخرى يكتــسب منها معارفه وخبراته ٠

وجاء الشعور بالظلم باعتباره أساسا فى اللجوء إلى العنــف بنــسبة ١٠,٢% كأقل نسبه ٠

كل ما سبق يؤكد أن العنف محصلة تفاعل مجموع مــن الأســباب والدوافع منها ما هو اجتماعى ، ومنها ما هو اقتصادى ، ومنها ما هو نفــس ومنها ما هو سياسى ، يعنى هذا ضرورة شمول النظرة عند دراسة أســباب العنف ومن الخطأ إرجاع هذه الظاهرة إلى سبب واحــد وإغفــال الأســباب الأخرى التى قد لا تقل أهمية ولكن يمكن أن يكون هناك فرق فى الأولويات بمعنى أن الوزن النسبى أكبر لهذا السبب من ذلك ٠

جدول رقم (٢)

أشكال ومظاهر العنف

المتغير	أشكال ومظاهر العنف فى الحياة الجامعية	التكرار	النسبة %
١	**بعض أنواع المرح والمزاج الغير أخلاقية وغيــر المرغوب فيها داخل الحرم الجامعى ٠**	٧٤	٦٩,١
٢	**معاكسه الفتيات داخل الحرم الجــامعى والتــشاجر من أجلهن ٠**	٦٥	٦٠,٧

٣	**التعالى والاحتقار وأحيانا التعيير واللوم ٠**	٤٩	٤٥,٧
٤	**السب والإهانة ٠**	٤٣	٤٠,١
٥	**المشادات الكلامية التى تصل إلى المشاجرة والإيذاء البدنى ٠**	٢٢	٢٠,٥
٦	**اللجوء إلى التدخين والتعاطى ٠**	١٩	١٧,٧
٧	**البلطجة والعراك والتعاطى ٠**	١٠	٩,٣
٨	**أعمال التخريب ٠**	٤	٣,٧

يلاحظ من الجدول رقم (٢) الآتى : أن هناك أشكال ومظاهر متعددة للعنف فى الحياة الجامعية منها ما هو معنوى ، ومنها ما هو لفظى ، ومنها ما هو مادى ٠ إذ أتت الحرية فى المرح والأحاديث فى المرتبة الأولى بنسبة ٦٩,١ ومن مظاهرها تقليد الفكاهات أو حل الفوازير بالإشارة وغيرها مما تعرضه وسائل الإعلام وبعض القفشات وما يتبعها من ثقافة اللمس (أن يمد الشباب أيديهم ويسلم كل على الآخر بإحداث صوت بالأيدى ويضحكوا٠٠) والتى تفضلا إلى الاحتكاكات بين الشباب وبعضهم البعض وخاصة بين من ينتمون إلى مناطق سكنية واحدة ضد أخرى ٠

وجاءت المعاكسات المباشرة وغير المباشرة بألفاظ قد تخدش الحياء أحياناً أو وصف للشكل ٠٠الخ بنسبة ٦٠,٧% ٠ كما أتى التدخين والتعاطى من بين مظاهر العنف وجاءت تكراراتهما قبل الأخيرة فى قائمة مظاهر العنف ، أما أعمال التخريب فجاءت فى آخر مظاهر العنف بنسبة ٣,٧% ٠

لذا يجب مع تأكيد المجتمع الجامعى على التعليم أن يعمل على تنمية القيم والمهارات الاجتماعية ومعايير الآداب اللازمة للتعامل مع المجتمع

بكفاءة وتحقيق انسجام بين الفرد ومجتمعه وسلوكياته العامـــة ، لأنـــه كلمـــا اقترب الفرد من مجتمعه وتحقق الانسجام معه قلت سلوكيات الخروج عـــن نظام القيم وتلاشى سلوك العنف لديه ٠

جدول رقم (٣)

طبيعة علاقة الطالب بأعضاء هيئة التدريس والإدارة

المتغير	علاقة الطالب بالإدارة فى الحياة الجامعية	التكرار	النسبة %
١	**علاقة الطـــلاب بـــإدارة الكليـــة وأعـــضاء هيئـــة التدريس طيبه وتقوم على التفاهم والود ٠**	٧٨	٧٢,٨
٢	**ننظر إلى أعضاء هيئة التـــدريس كقـــدوة ومثـــل أعلى٠**	٦٦	٦١,٦
٣	**علاقة الطلاب بالقائمين على العمل الادارى تتميـــز بالسهولة والتعاون ٠**	٥٥	٥١,٤
٤	**العلاقة مع حرس الجامعة علاقة تفـــاهم وتقـــدير لدورهم فى تحقيق النظام**	٥٠	٤٦,٧
٥	**علاقة الطـــلاب بـــإدارة الكليـــة وأعـــضاء هيئـــة التدريس يشوبها نوع من التعالى ٠**	٣٠	٢٨
٦	**علاقة الطـــلاب بالقـــائمين علـــى العمـــل الإدارى روتينية معوقة ٠**	١٧	١٥,٨
٧	**الخوف من أعضاء هيئة التدريس والإدارة يجعلنى لا أحتك بهم**	١٦	١٤,٩
٨	**العلاقة مع حرس الجامعة علاقة خوف وقمع ٠**	١٠	٩,٣

يتضح من الجدول رقم (٣) الاتى : جاءت العلاقة الطيبة بين أعضاء هيئة التدريس والطلاب التى تقوم على التفاهم والود بنـــسبة ٧٢,٨% فـــى

المرتبة الأولى وهذا يؤكد على أن العلاقات الايجابية مع الأساتذة (من خلال ساعات الريادة الطلابية أو المكتبية أو غيرها ٠٠) أو مع أخصائى رعاية الشباب أو مع أى شخص بالغ (قريب – صديق – جار ٠٠) متاح للطالب التعامل معه وتلقى الدعم منه عند الجامعة يعد واحداً من أهم العوامل فى الحماية من العنف ، يعنى هذا أن إتاحة الجو المناسب والمناخ الجيد لتكوين علاقات طيبة بين الطلاب وأعضاء هيئة التدريس ومعاونيهم ومنح الطلاب الفرصة للتعبير بأمان وشرح مشكلاتهم والخروج بحلول يمثل ذلك تدخل مبكر يعمل على تضاؤل معدل العنف ويقى شبابنا ٠ خاصة وأن النظرة إلى أعضاء هيئة التدريس كقدرة ومثل أعلى جاءت فى المرتبة الثانية بنسبة ٦٦% وهذا يؤكد على أن للمعلمين أثر كبير وانطباع واضح يجب تفعيلة بتعليم الشباب كيفية ضبط النفس وتقبل آراء الآخرين ووجهات نظرهم وبناء أسس أخلاقية صالحة وكيفية الهدوء فى مواقف الغضب وعدم التفاعل مع أى شيء بالعنف ولكن نعلمه أن يتعامل مع الغضب بشكل موضوعى بدلاً من رد الفعل العنيف ٠ وأن يتعامل الشاب مع الآخرين كما يجب أن يتعاملوا معه٠

كما جاءت العلاقة مع الجهاز الإدارى متميزة بالتعاون بنسبة ٥١,٤% وفى المرتبة الأخيرة بنسبة ٩,٣% جاءت العلاقة مع حرس الجامعة علاقة خوف وربما يفسر ذلك فى ضوء ثقافة الخوف التاريخية فى ظل حقب الاستعمار والنظر إلى جهاز الشرطة على أنه ضد وليس مع أفراد المجتمع يحافظ على أمنهم وسلامتهم يؤكد على ذلك أيضا قلة مشاركة الشباب المجتمعية والسياسية وأسلوب التنشئة التى تجعل من الأفراد كذرات

الرمل فى الصحراء ليس بينها مشاركة أو عمل جماعى أو مشاركة مع مؤسسات المجتمع المدنى والحكومى ٠

جدول رقم (٤)

يوضح ست اختيارات لآراء الشباب ومواقفهم تجاه سلوك العنف

المتغير	مواقف الطلاب تجاه سلوك العنف	التكرار	النسبة %
١	**نتيجة لقلة الوعى الدينى ٠**	٦٣	٥٨,٨
٢	**تدنى مستوى القيم والاعلاء من الماديات ٠**	٤٧	٤٣,٩
٣	**تشمل معظم أعمال العنف التدخين وتعاطى المخدرات ٠**	٧٠	٦٥,٤
٤	**تساعد مشاهدة الكثير من أفلام العنف والمواقع المتعددة على الانترنت على العنف ٠**	٣٩	٣٦,٤
٥	**من المقبول استخدام العنف للدفاع عن النفس ٠**	٧٦	٧١
٦	**العنف سلوك متعلم ويمكن للبشر تعلم ألا يكونوا عنيفين**	٥٨	٥٤,٢
٧	**يحدث الكثير من العنف ضد الجنس الآخر نتيجة للمواقف والمعتقدات الجنسية لدى الرجال ٠**	٣٢	٢٩,٩
٨	**ترتكب معظم أفعال العنف من قبل أفراد يعانون من أمراض نفسيه وعقلية ٠**	١٧	١٥,٨

٩	**المواقف والمعتقدات وأسلوب التنشئة الاجتماعية هى السبب الرئيسى للعنف فى المجتمع ٠**	٣٨	٣٥,٥
١٠	**الفراغ وعدم تحمل المسئولية وراء عنف الشباب٠**	٢٩	٢٧,١
١١	**لا يمكن أبدا تبرير استخدام العنف ضد الآخر ٠**	٤٥	٤٢
١٢	**يشجع بعض الأفراد العنف ليظهروا مختلفين ٠**	٤٠	٣٧,٣
١٣	**استخدام العنف قد يكون ضرورى للحصول على ما تبغاه فى هذا العالم ٠**	٩	٨,٤
١٤	**معظم أعمال العنف ترتكب من أفراد لا يجدون فرصة عمل مناسبة**	٧٩	٧٣,٨

يلاحظ عند تحليل الجدول رقم (٤) والذى طلب من المبحوثين أن يختاروا ست متغيرات من الأربعة عشر المطروحة عليهم فى الاستبيان والتى نحاول من خلالها التعرف على آرائهم ومواقفهم تجاه من يقوم بسلوك العنف وكانت النتائج كالآتى :

إن معظم أعمال العنف ترتكب من أفراد لا يجدون فرصة عمل مناسبة وجاءت فى المرتبة الأولى بنسبة ٧٣,٨% وهذا يدعم انتشار الممارسات الغير سوية فى المجتمع نتيجة قلة فرص التشغيل أكد على ذلك

نتائج العديد من الدراسات التى ربطت بين البطالة وعنف الشباب ، وفى المرتبة الثانية بنسبة ٧١% جاء الدفاع عن النفس باعتباره سلوك مقبول ، كما يعد التدخين وتعاطى المخدرات من العوامل الأساسية التى تدفع الشباب إلى العنف ٠ وجاءت قلة الوعى الدينى بنسبة ٥٨,٨% كسبب فى إقبال الشباب على العنف يعنى هذا أن الاهتمام بتنمية الوعى الدينى وقيام المؤسسات الدينية بواجباتها يجنب المجتمع ثلثى أعمال العنف ٠

كما جاء استخدام العنف للحصول على ما يريده الإنسان كأقل نسبة وهذا يؤكد أن شبابنا بخير وأنه يعرف المسارات الصحيحة من خلال بذل الجهد والعمل للحصول على ما يريده ٠

جدول رقم (٥)

تفسير ممارسة الشباب للعنف كمدخل للعلاج

المتغير	تفسير ممارسة الشباب لسلوك العنف	التكرار	النسبة %
١	**قلة الوعى والاهتمام بأمور سطحية ٠**	٨٧	٨١,٣
٢	**ما يوجهه الشباب من ضغوط نفسيه فى عدم إشباع الحاجات الأساسية وما يترتب عليه من كبت وإحباط ٠**	٧٧	٧١,٩
٣	**غياب القدوة وعدم متابعة الآباء للأبناء ٠**	٦٠	٥٦
٤	**عدم وجود ما يشغل أوقات فراغهم بما يعود عليهم بالنفع ٠**	٤٩	٤٥,٧
٥	**تأثير المشكلات الأسرية والعاطفية على سلوك الشباب**	٤٥	٤٢

٦	**قلة الوعى الدينى لدى الشباب ٠**	**٣٦**	**٣٣,٦**
٧	**أسلوب للتعبير عن الغضب والتمرد على الوضع القائم**	**٢٧**	**٢٥,٢**
٨	**قلة ممارسة الشباب للرياضة والهوايات الأخرى ٠**	**٢١**	**١٩,٦**

فى التعليق على الجدول رقم (٥) يتضح الآتى : يلاحظ أن تفسير الشباب لممارستهم أو بعض منهم لسلوك العنف يعكس وعيا بموقعهم وموقفهم إذ جاء الاهتمام بأمور سطحية وقلة الوعى فالمرتبة الأولى ٨١,٣% وهذا يجعلنا نقدر الظروف الخاصة (ونعمل على مناقشتها بدلاً من تسفيهها ٠٠) التى تدفع بالشاب لارتكاب سلوك العنف ونعمل على محاولة تجاوزها وتنمية مفاهيم النقد الذاتى لدى الشباب والإحساس بقيمة مراجعة الذات عند ارتكاب أى مخالفة ، وأن يفكر تفكيراً منطقياً وبشكل منهجى منظم مدركاً العلاقة بين المقدمات والنتائج ويشعر بخطورة سلوك العنف على ذاته ومجتمعه٠

وأتى عدم إشباع الحاجات الأساسية لدى الشباب فى المرتبة الثانية بنسبة ٧١,٩% وما يترتب عليه من كبت وإحباط وهذا يفرض على مؤسسات المجتمع توفير ذلك ولكن إن كانت هناك تحديات تواجه المجتمع فيجب أن يشارك الشباب فى مواجهة هذه المشكلات ٠

وجاءت قلة الوعى الدينى لدى الشباب كسبب فى إقبال هذا الشباب على العنف نتيجة غياب القيم والمثل العليا ٠ كذلك إهمال ممارسة الرياضة

بين الشباب والهوايات الأخرى فى المرتبة الأخيرة بنسبة ١٩,٦% وهذا يعنى أن الشباب لا يجد من يشجعه على ممارسة هواياته (بل يتم النظر إليها كأمور تافهة وأن يقوم بعمل مفيد أفضل له ٠٠ الخ وهذا رأى الأسرة وكل الكبار ٠٠) مما ينعكس سلبا على سلوك الفرد وعلى مجتمعه ٠

جدول رقم (٦)

الحلول المقترحة من الشباب للحد من مظاهر العنف

المتغير	مقترحات الشباب لحل مشكلة العنف	التكرار	النسبة %
١	**الثقة والمسئولية التى يوليها الكبار للشباب واحترام تفكيرهم٠**	٩١	٨٥
٢	**التحدث إلى الشباب ومحاولة إيجاد حلول فعلية لقضايا تشغيل الشباب**	٨٦	٨٠,٣
٣	**ترسيخ التعاليم الدينية ٠**	٧٣	٦٨,٢
٤	**تعظيم دور الأسرة والمدرسة وتوفير القدوة الحسنة كى يستطيع مواجهة ما تبثه الوسائل الإعلامية المختلفة ٠**	٦٧	٦٢,٦
٥	**توجيه طاقة الشباب للمشاركة فى الأنشطة المختلفة وإكسابهم معارف ومهارات جديدة ومستمرة عن طريق التعلم الذاتى ٠**	٦٣	٥٨,٨
٦	**تشجيع المشروعات الصغيرة والخاصة وعدم الاعتماد على العمل الحكومى ٠**	٦٢	٥٧,٩
٧	**تغيير ثقافة المجتمع السلبية تجاه التقليل**	٥٩	٥٥,١

	من قيمة العمل اليدوى والحرفى ٠		
٨	**عدم مغالاة أولياء الأمور فى تكاليف الزواج والمهور٠**	**٤٤**	**٤١,١**
٩	**تنمية المهارات الاجتماعية من خلال العمل على تحمل المسئولية وتقبل الاختلافات ، القدوة على التواصل وتكوين علاقات والمشاركة فى الأعمال الجماعية ٠**	**٣٨**	**٣٥,٥**
١٠	**تنمية المهارات العقلية من خلال القدرة على التفكير الناقد والتخطيط السليم ٠**	**٣٥**	**٣٢,٧**

فى التعليق على الجدول رقم (٦) يتضح الآتى : عند تحليل ما جاء على لسان حال الشباب فى وضع الحلول للحد من ظاهرة العنف يكشف الواقع الميدانى عن قدرتهم على وضع الحلول لمشكلاتهم عند توجيههم التوجه الصحيح من خلال الثقة فيهم لذا جاءت مقترحاتهم معبرة عن الواقع (وهذا يؤكد ما قالوه فى اللقاءات الجماعية الحرة من أن معظم مشكلاتهم مفروضة عليهم ٠٠) حيث جاءت الثقة فى الشباب واحترام تفكيرهم وإشراكهم فى المسئولية فى المرتبة الأولى بنسبة ٨٥% وهذا يعنى أن محاولة السيطرة والهيمنة على الشباب وآرائهم دون إعطاء الفرصة لهم للتعبير بل والسخرية من آرائهم أحيانا يؤدى إلى سلوكيات عنيفة ٠

وهذا يؤكد أنه فى ظل إتاحة الفرص للشباب للمشاركة الايجابية وأحاطته بعدد من عوامل الحماية قل ذلك من احتماليه خوضة لسلوكيات

عنف ويتضمن ذلك أيضا التوجه الإيجابى نحو تحول اهتمام الشباب بعيـــداً عن التركيز على المشكلات والتوجه نحو زيادة تعرض الـــشباب لنـــشاطات ايجابية وبنائية تعمل على تحسين أوضاعهم وتزيد من قدرتهم على تحمـــل المسئولية ويرتبط ذلك بعدد من العوامل الداخلية والخارجية وتشمل العوامل الداخلية : الولاء وقيم وكفاءات الفرد (مثل : تطلعاته التعليميـــة ومهاراتـــه الاجتماعية) • أما العوامل الخارجية فتشمل : الشباب فى ظل أنظمة متداخلة وإطارات من الدعم والضبط والقيادات التى تعزز دعم الجماعـــة (مثـــل : الإقتداء بالآخرين والحصول على المؤازرة والتشجيع الأسرى) •

كما جاءت قضايا العمل وترسيخ القيم وتوفير القدوة والبساطة وتنمية المهارات كلها عوامل إيجابية تعمل على الحد من ظاهرة العنف •

الخاتمة :

مما سبق نستنتج أن العنف صار فى المؤسسات التعليمية أمرا مألوف الوجود فى مجتمعات العالم فالعنف فى المدرسة والجامعة يعكس ما يحـــدث فى المجتمع ككل ، يصدر ذلك بعـــض الأعمـــال التليفزيونيـــة (مدرســـة المشاغبين) فى مصر •

والعنف مشكلة مجتمعية ولمواجهتها وتقليها فلا بد لكل فئات المجتمع من المشاركة فى ذلك لذا يجب على المؤسسات التعليمية بناء علاقـــات مـــع

المجتمع ومؤسسات عند تنفيذ سياسات وبرامج الوقاية من العنـف وخطـط تنفيذها وربطها بتنمية وتنفيذ السياسات الأخرى ٠

فالمدارس والجامعات أماكن للتعليم لذلك فـإن للطـلاب وأسـرهم والمعلمون والإدارة والمجتمع الحق فى الحصول على مدرسة وجامعة آمنـه وخالية من العنف ومع هذا فلا بد أن يتفهم الطلاب أن العنف خارج المؤسسة التعليمية أمر غير مقبول هو الآخر ٠

لذا يجب على مؤسسات التعليم مساعده الطلاب فـى تعلـيم كيفيـة التعامل مع النزاع والغضب بأساليب غير عنيفه وتأهيلهم للمواطنة المسئولة وقد يواجـه الـدارس (الطالب) هذا التحدى عند ما يكون الطلاب شهودا أو ضحايا للعنف أو الاستغلال أو المشاهدة فى الواقع أو عبر وسائل الأعلام ٠ ويساعد على ذلك الرقابة الأسرية واختلال الآراء الوظيفى للأسرة ٠

والطبيعية الإنسانية فى أساسها خيره فالعنف ظلم للنفس قبل أن يكون ظلما للغير ، وتعد الخطوه الأولى لتحديد كيفية التعامل مع العنف هو التعرف على أسبابه وذلك فى محاولة للقضاء على هذه الأسباب ، لذا لابد أن يكـون الطلاب على دراية ووعى بما هيه العنف وخاصة الأسـرى لأنـه أولـى الأشكال التى يشاهدها الطفل داخل أسرته ٠

هذا وقد أشارت الدراسات إلى عمل ملفات للطلاب المتوقع أقـدامهم على أعمال عنف (وهناك من يؤيد وهناك من يرى أن حذرها أكثـر مـن نفعها) ٠

كما أن هناك من يفضل خلق بيئة وجو من الترابط بـين الطـلاب بعضهم البعض وبين أساتذتهم والإدارة ٠

إلا أن الأساليب الجديدة للتعامل مع العنف تتمثل فى تجنب العنـــف فالآن يتم تعلم كيفية تجنب العنف والتعامل مع الغضب بطريقة بناءة وغيـــر عنيفه وهو أساس منهج الوقاية من العنف ومنهج حل النزاعات ٠

فبالتعرف على مخاطر العنف واختبار العوامل المرتبطـــة بـــالعنف ومناقشة وتمثيل سيناريوهات عن العنف يتعلم الطلاب استخدام استراتيجيات التفكير التحليلى للوقاية وتجنب المواجهات العدائية والـــسلوكيات العنيفـــة ٠ حيث يتم عرض موضوع العنف على هيئة موقف تمثيلى مسجل على شريط فيديو ويقوم الطلاب بتمثيل هذا الموقف كمـــا يتنـــاولوا بالنقـــاش الأســـباب والدوافع المؤدية لهذا السلوك العنيف وكيفية تجنب العنف فى هذا الموقـــف وما إلى ذلك ٠

وهناك علاقات تحذيرية مبكرة للتعرف على الشخص العنيف منها :

الانسحاب من المجتمع والانعزال والتقوقع حول ألذات ، والإحساس الشديد برفض المجتمع له ، أو أن يكون ضحية للعنـــف ، أو التعبيـــر عـــن العنف فى الكتابة أو الرسم ، أو وجود تاريخ قديم من العنف (تاريخ الحالة) ، الغضب الذى لا يمكن التحكم فيه أو الإدمان أو الرغبة فى امتلاك الألعاب النارية ٠٠٠ الخ ٠

وفى ضوء تفسير عنف الشباب يمكن عند تناول موضوع العنف فى الحياة الجامعية العمل على تقليل مخاطر التعرض للعنـــف ودور الجامعـــة والمجتمع وكيفية تجنب العنف كما يلى :

- تعمل الوقاية وجهود التدخل المبكر على تضاؤل معدل العنف ٠

- تعد العلاقات الايجابية مع أعضاء هيئة التدريس وتلقى الدعم عند الحاجة واحدا **من أهم العوامل فى الحماية من العنف ٠**

- المتابعة الأسرية وتقديم القدوة والنموذج القيم من خلال إتباع نماذج أخلاقية جيدة ٠

- التنمية الايجابية للشباب وتحسين امكانات الشباب ومساعدتهم على إشباع احتياجاتهم وتوظيف امكاناتهم ٠

- النمو الدينى والخلقى للطالب عاملا مؤثرا فى تضاؤل معدل العنف اذ يجب على الجامعات علاوة على تنمية المهارات الأكاديمية أن تساعد الطلاب فى أن يعيدوا مواطنين صالحين من خلال :

أ - تدعيم القيم المدنية وكفالة الحريات ٠

ب - دعم وتعزيز القيم المشتركة لمجتمعاتنا المحلية كالولاء والانتماء والأمانة والشرف والمسئولية واحترام الآخر وقبوله

جـ - تعليم الطلاب أنهم مسئولين عن أفعالهم وعن نتائج خياراتهم

- كما أن للطلاب دور مهم إذ لوحظ أن جماعات الرفاق (الشكل) هى من أهم عناصر انتشار العنف بين شبابنا (كما جاء فى نتائج الدراسة الميدانية) لذا يجب أن نبتكر أساليب تجعل الطلاب ليقروا – بأمان – عن مثل تلك السلوكيات التى قد تقوم لأوضاع خطره وحمايتهم وتدعيم تكوين علاقات إيجابية حتى يستشعروا الأمان عند إخبارهم عن المعلومات الخاصة بتلك المواقف ألخطره ٠

- ويأتى دور المجتمع ومؤسساته إذ يحتاج الشباب لمساعدة فى تخطيط مستقبلهم وفى تنمية المهارات التى تؤدى بهم للنجاح فيمكن للجامعات (على سبيل المثال) أن توفر للطلاب الفرصة بلقاء قيادى مؤسسات المجتمع المدنى وبرامج العمل الدراسية إذ أن مثل تلك العلاقات تعزز من شعور الشباب بالأمل والأمان فى المستقبل ٠

أخيرا يمكن تجنب العنف من خلال :

١ - تنمية قدرات الطلاب والأسر والإدارة الجامعية على التفاعل الآمن والفعال٠

٢ - دعم الطلاب فى أن يصبحوا مسئولين عن أفعالهم ٠

٣ - تيسير حصول الطالب على المساعدة من المعلم ٠

٤ - محاولة التدخل بشكل مبكر على قدر الامكان ٠

٥ - تحليل السياقات التى يحدث فى ظلها السلوك العنيف ٠

أهم النتائج :

فيما يلى نعرض لأهم النتائج :

١ - جاء العنف المعنوى كأثر أشكال العنف التى يتعرض لها الشباب فى الحياة الجامعية ٠

٢ - الاختلاط برفاق السوء والتدخين من أهم أسباب العنف بين الشباب ٠

٣ - جاءت مظاهر العنف متمثلة فى المرح والمزاح الغير أخلاقى بين الشباب الجامعى والذى يؤدى فى النهاية إلى التشاجر ٠

٤ – أن علاقة الطلاب بإدارة الكلية وأعضاء هيئة التدريس تقــوم علـــى التفاهم والود ٠

٥ – إن معظم أعمال العنف ترتكب من أفراد لا يجدون فرصـــة عمـــل مناسبة ٠

٦ – إن قلة وعى الشباب والاهتمام بأمور سطحية وراء سلوك العنف ٠

٧ – تعد الثقة والمسئولية التى يوليها الكبار للشباب واحترام تفكيرهم من أهم العوامل للحد من مظاهرة العنف ٠

المراجع

١ – مصطفى عمر التير ، العنف العائلى ، عرض : إيمان شريف قائد ، مجلة إضافات ، العدد الثانى ، يناير ١٩٩٩ ، ص ص ١٩١ ، ١٩٤

حول النظريات التى تفسر العنف راجع :

– أمل سالم العواودة ، العنف ضد الزوجة فى المجتمع الأردنـــى ، دراسة اجتماعية لعينة من الأسر فى محافظة عمان ، ط ١ ، مكتبـــة الفجر ، إربد ، الأردن ، ٢٠٠٢ ٠

2 - Patricia Turrisi, Conflict, Violence and Explanations, Conference Programme, September, 2003, ww.inter-disci plenary.net/.

٣ – عدلى السمرى ، سلوك العنف بين الشباب ، دراسة ميدانية على عينة من طلبة وطالبات المرحلة الثانوية ، فى ندوة الشباب ومستقبل مصر ، تحرير ، محمود الكـــردى ، أبريـــل ، ٢٠٠٠ ، ص ص ٤٥٣ – ٤٥٤ ٠

٤ – تم الاعتماد على الدراسات السابقة حول العنف فـــى صـــياغة هـــذه القضايا ، وهذه الدراسات ستعرض لاحقا ٠

٥ – إيف ميشو ، العنف ، ترجمة : محمـــد ســـبيلا ، تـــساؤلات الفكـــر المعاصر ، دار الأمان للنشر ، الربـــاط ، ١٩٨٧ ، ص ص ٧٥ – ٨٦ ، نقلاً عن سميحة نصر ، العنف فى المجتمع المصرى : دراسات العنف، ببلوجرافيا شارحة ، الجزء الأول، المركز القومى للبحـــوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة ، ١٩٩٤ ٠

6 - Chung ah-Young, School Gany Violence Haunts Parents, 2005, www.scotsman.com/topics. cfm?id

٧ – محمد نور فرحات ، دوائر العنف الثلاثة فى المجتمع المصرى ، مجلة الهلال ، ع ٩٤ ، يوليو ١٩٨٧ ، ص ص ٣٨ – ٤٣ ٠

٨ – ساندرين ليفرانس ، البعد الصحيح حين التعامل مع العنف ، ترجمة : حمدى الزيات ، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ، ع ١٧٤ ، اليونسكو ، ديسمبر ٢٠٠٢ ، ص ص ٤٥ – ٥٥ ٠

٩ – سهير العطار ، علم الاجتماع العائلى ، دار النسر الذهبى للطباعة ، ٢٠٠١ ، ص ٣٢٠ ٠

١٠ – المرجع السابق ، ص ٣٢١ ٠

١١ – على ليلة ، الشباب العربى : تأملات فى ظواهر الإحياء الدينى والعنف ، دار المعارف ، ط٢ ، ١٩٩٣ ٠

– للمزيد حول تقسيمات العنف ومظاهره راجع :

أعمال الندوة المصرية الفرنسية الخامسة : ظاهرة العنف السياسى ، مركز الدراسات السياسية بجامعة القاهرة ، ١٩٩٣، وبخاصة أوراق : على ليلة ، الأبعاد الاجتماعية للعنف السياسى ، قدرى وصفى ، حول العنف السياسى : رؤية نفسية ٠

١٢ – مصطفى عمر التير ، العنف العائلى ، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية ، الرياض ، ١٩٩٧ نقلاً عن : مجلة إضافات ، مرجع سابق ٠

١٣ - تقارير مصلحة الأمن العام ، نقلاً عن : عفاف إبراهيم محمود عبد القوى ، بطالة الشباب والعنف : دراسة استطلاعية لأنماط العنف لدى الشباب المتعطل عن العمل ، المؤتمر السنوى الرابع ، الأبعاد الاجتماعية والجنائية للعنف فى المجتمع المصرى ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ٢٠ - ٢٤ أبريل ، ٢٠٠٢، ص ٣١

١٤ - ليلى عبد الجواد ، محمد سعد محمد ، تصورات الشباب لواقع ومستقبل العنف فى المجتمع المصرى ، مؤتمر الأبعاد الاجتماعية والجنائية للعنف فى المجتمع المصرى ، مرجع سابق ، ص ٧ ٠

١٥ - عبد الباسط عبد المعطى ، تقرير إقليمى : الحالة المعرفية لمسوح وبحوث الشباب فى الإقليم العربى ، جامعة الدول العربية ، شرم الشيخ ١٤ - ١٦ ديسمبر ، ٢٠٠٤ ، ص ٢٦ - ٢٧ ٠

16 - Yoth Violence: Fact Sheet, 2004, ww. Cdc. Gov/ncipc/factsheets/yvfacts. Htm

17 - Oleg Piletsky, Youth, violence and Visual Harassment, 2003, www. Inter – disciplinary .net /ati/ violence /prog 03. htm.

18 - Violence and Suicide on University Campuses Shot Up, Beijing Review, 2004, www. ynw. Nl/ news. Html.

١٩ - عدلى السمرى ، مرجع سابق ، ص ٤٥٤ ٠

٢٠ - سامية قدرى ونيس ، مظاهرة العنف المصاحبة لعمالة الأطفال : دراسة استطلاعية ، مؤتمر الأبعاد الاجتماعية والجنائية للعنف فى المجتمع المصرى ، مرجع سابق ، ص ٧ ٠

٢١ – مصطفى عمر التير ، مرجع سابق ، ص ١٩١ ٠

٢٢ – عدلى السمرى ، مرجع سابق ، ص ٤٥٥ ٠

٢٣ – أحمد زايد ، قراءة فى أدبيات العنف رؤية سوسيولوجية ، مؤتمر الأبعاد الاجتماعية والجنائية للعنف فى المجتمع المصرى ، مرجع سابق ، ص ص ٢ – ٣

٢٤ – عزت حجازى ، عزة عبد الكريم ، العنف ضد كبار السن ، مؤتمر الأبعاد الاجتماعية والجنائية للعنف فى المجتمع المصرى ، مرجع سابق ، ص ٢ ٠

– راجع حول ثقافة العنف :

عبد الغنى عماد ، ثقافة العنف : فى سوسيولوجية السياسة الصهيونية ، دار الطليعة، بيروت ، ٢٠٠١ ، عرض : عاطف عطية ، مجلة المستقبل العربى ، مركز دراسات الوحدة العربية ، أبريل ، ٢٠٠٢

٢٥ – أدريس عزام ، بعض المتغيرات المصاحبة لاغتراب الشباب عن المجتمع الجامعى : دراسة استطلاعية على عينة من طلبة الجامعة الأردنية ، مجلة العلوم الاجتماعية ، ربيع ١٩٨٩ ، ص ٦٩ – ٩٩

– راجع حول ظاهرة العنف السياسى :

سرحان بن دبيل العتيبى ، ظاهرة العنف السياسى فى الجزائر : دراسة تحليلية مقارنة ١٩٧٦ – ١٩٩٨ ، مجلة العلوم الاجتماعية ، جامعة الكويت ، شتاء ، ٢٠٠٠ ، ص ص ٧ – ٥٧ ٠

٢٦ – مصطفى عمر التير ، مرجع سابق ، ص ١٩٧ ٠

٢٧ - المرجع السابق ، ص ١٩٢ ٠

٢٨ - علا مصطفى وآخرون ، الطفل فى المناطق العـــشوائية ، المركـــز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة ، ١٩٩٨ ، ص ص ٢١٧ – ٢١٨ ٠

٢٩ - محمود الكردى وآخرون ، الأوضاع الاجتماعية لسكان منشأة ناصر ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة ، ١٩٩٨ ، ص ص ١٨٠ – ١٨٢ ٠

٣٠ - شوقى طريف ، العنف فى الأسرة المصرية ، التقرير الثانى " دراسة نفسية استكشافية " ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة ، ٢٠٠٠، ص ٤٤ ٠

٣١ - عدلى السمرى ، مرجع سابق ، ص ٤٥٣ – ٥٠٦ ٠

٣٢ - أمل سالم العوادودة ، مرجع سابق ، ص ص ١٢٣ – ١٣٤ ٠

راجع أيضا :

- ناهد رمزى ، عادل سلطان ، العنف ضد المرأة : دراســة عامليــة مقارنة، المجلة الاجتماعية ، المركز القومى للبحـــوث الاجتماعيـــة والجنائية ، القاهرة ، يناير،٢٠٠٠، ص ص ١ – ٢٨ ٠

٣٣ - عفاف إبراهيم محمود عبد القوى ، بطالة الشباب والعنف : دراسة استطلاعية لأنماط العنف لدى الشباب المتعطل عن العمل ، مرجع سابق ، ص ص ١ – ٣٠ ٠

٣٤ - سامية قدرى ونيس ، مظاهر العنف المصاحبة لعمالة الأطفال : دراسة استطلاعية ، مرجع سابق ، ص ص ١ – ١٩ ٠

٣٥ - ليلى عبد الجواد ، محمد سعد محمد ، مرجع سابق ، ص١٠ – ١٢ ٠

٣٦ - مصطفى محمود عبد السلام ، الفقر والعنف فى المجتمع المصرى ، رؤية شاملة ، مؤتمر الأبعاد الاجتماعية والجنائية للعنف فى المجتمع المصرى ، مرجع سابق ، ص ١ – ٢٢ ٠

٣٧ - أديب نعمه ، أشكاليات البحث فى مجال الشباب ومقترحات مستقبلية ، ندوة اجتماع الخبراء الإقليمى حول الحالة المعرفية لمسوح وبحوث الشباب فى الإقليم العربى ، شرم الشيخ ١٩ – ٢١ فبراير ٢٠٠٥ ، ص ١٢ ٠

38 - Sutham Cheurprakobkit, The Attitudes of Students Regarding Violence, 2003, www. Teachers workshop. Com/tw shop/ Perspect. Html.

39 - Jayni Foley, Officials Say violence on rise at University, 2005, www. Cavalierdaily. Com/news asp? Pid=127.

40 - Community Violence Exposure in University Students: A Replication and Extension, journal of

Interpersonal Violence, SAGE, Vol. 17, No. 3, 2002, PP. 253-272.

41 - Chung, Ah-Young, School Gany Violence Haunts Parents, 2005, www. News. Scotsman. com./topics. cfm? Id.

42 - Public Safety Policies, www./violence/ynw.net/ati.

43 - Brian Beggs, The effects of Violent Video Games on Studnets of Humboldt State University, 2001, http://www. Humboldt. Edu/bcb7/.

44 - Larry M. Lance, Charlynn E. Ross, Views of Violence in American Sports: A Study of College Students, 2000, www. Findarticles. com/p/articles/mi-m ofcR/is – 2- 34/ai-63365174.

٤٥ – مهدى محمد القصاص ، الهوية الثقافية والعولمة ، دراسة سوسيولوجية ، ندوة التراث الشعبى العربى وحدة الأصل والهدف ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، سوريا ، ١٤ – ١٦ مارس ، ٢٠٠٥ ، ص ٦ .

٤٦ – السيد يسين ، العولمة – فرص ومخاطر ، تحرير : شبل بدران ، ميرت للنشر والمعلومات ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ، ص ٢٠ .

47- United Nations, Responding to Globalization Skill Formation and Unemplayment Reduction Policies, New York, 2003, PP. 5-6.

٤٨ – السيد يسين ، فى مفهوم العولمة ، ندوة العرب والعولمة ، تحرير أسامة أمين الخولى ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ديسمبر ١٩٩٨، ص ٢٥ .

٤٩ – عمرو عبد الكريم ، مفهوم العولمة

http://www. Islamon line. Net/iol-arabic

50 - United Nations, Globalization and Labour Markets in theESCWA, Region, New York, 2001, P. 11.

٥١ – سعيد اللاوندى ، بدائل العولمة ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، ٢٠٠٢ ، ص ٨ .

52 - Violence and Suicide on University Campuses Shot up., Beijing Review, 2004, Available at, www. ynw. Nl/news. htmL

٥٣ – على ليله ، تقاطعات العنف فى إطار التحولات العالمية المعاصرة ، المؤتمر السنوى الرابع والأبعاد الاجتماعية والجنائية للعنف فى المجتمع المصرى ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ٢٠ – ٢٤ أبريل ٢٠٠٢ ، ص ٢٧ .

٥٤ – المرجع السابق ، ص ٢٨ .

٥٥ – المرجع السابق ، ص ٢٩ .

٥٦ – محمد أحمد السامرائى ، العولمة السياسية ومخاطرها على الوطن العربى ،

http://www. Libyaforum.org.

57 - New Social Consciousness, Available at:http://www. cuttingedge.org

٥٨ – على ليلة ، الشباب العربى : تأملات فى ظواهر الإحياء الدينى والعنف ، دار المعارف ، ط٢ ، ١٩٩٣، ص ٥٢ .

٥٩ - إيمان فرج ، الأبعاد الاجتماعيـــة والاقتــصادية والثقافيـــة للــشباب والمراهقة ، المنتدى العربى للسكان ، ١ - ١٩ نوفمبر ٢٠٠٤ ، ص ٥ .

٦٠ - على ليله ، تقاطعات العنف ، مرجع سابق ، ص ص ٣٧ - ٣٩ .

٦١ - إيمان فرج ، مرجع سابق ، ص ٤

٦٢ - أديب نعمه ، مرجع سابق ، ص ١١ .

٦٣ - المرجع السابق ، ص ص ١١ - ١٢ .

64 - Higher Education in Aglobalized society, Unesco Edncation Position Paper, 2003.

65 - Barry Weisberg, The Globalization of Violence, the Violence of Globalization, Conference Programme, Abstracts and Papers, 25 – 28 September, 2003, www. inter-disciplinary.net/

66 - Gregwalz-Chojnacki, Aglobal Perspective on Youth Violence, UWM Hosts conference on Yoth violence, http://www. uwm. Edu/News/report/old.

٦٧ - إيمان فرج ، مرجع سابق ، ص ٦ .

المحتويات